كتاب الهلال

سلسلة ثقافية شهرية

عن ثورة ١٩٥٢!!

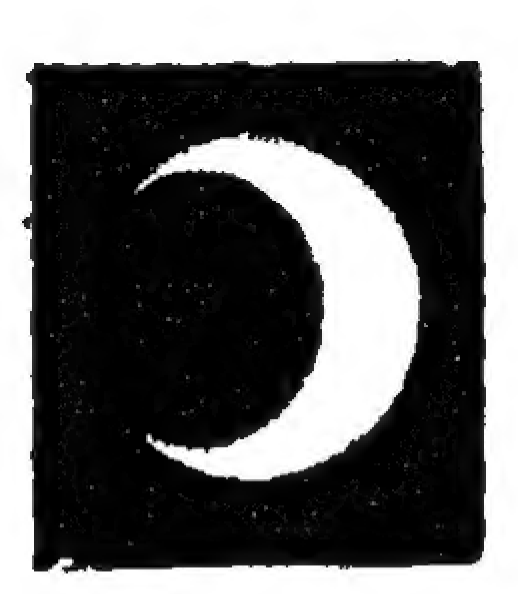
حمدى لطفى



كتاب الهلال
KITAB AL-HILAL
سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد
سكرتير التحرير : عايد عياد
المشرف الفنى : جمال قطب
العدد ٣١٩ ـ رجب ١٣٩٧ ـ يولية ١٩٧٧
No. 319 Juillet 1977
مركز الادارة
دار الهلال ١٦ محمد عز العرب
تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)
الاشتراكات
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أمريكية أو ٥ر٢ جك ـ والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى لأمر دار الهلال جمهورية مصر العربية والأسعار الموضحة بريد الجوى والمسجل

إهــــداء 2005
أ/إبراهيم منصور غنيم
القاهرة

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــلاف بريشة
الفنان جمال قطب

حمدى لطفى

ثوار يوليو
الوجه الآخر

دار الهلال

تقديم

لماذا هذا الكتاب الآن ، عن ثورة يوليو ١٩٥٢؛ ؟

هل لأن الثورة المصرية دخلت فى يوليو ١٩٧٧ عامها الخامس والعشرين ؟

هو بالدرجة الاولى أحد العوامل التى جعلتنى أجمع مادة هذا الكتاب « ثوار يوليو » ليصدر وقد انقضى ربع قرن على قيام الثورة .

ولكن ماذا يضيف هذا الكتاب ؟ ..

ما هو الجديد الذى يقدمه فى عام ١٩٧٧ ؟ ..

ـ أستطيع أن اقول بكل الثقة ان ثورة يوليو لم تطرح « كل » أسرارها بعد حتى الآن ، رغم ما كتب عنها بلغات العالم المختلفة خلال خمسة وعشرين سنة مضت ... هناك أسرار ومعلومات وتفاصيل وخلفيات مثيرة وجديدة لم تذع بعد عبر مرحلة الاعداد للثورة ، وعبر مرحلة مسار الثورة ، وما فعلوه ثوار يوليو بالثورة ، بل وما صنعه « سارقو » الثورة بالثورة !

لقد سرق البعض ثورة يوليو ... أمام قادتها ، فى بداية صراعاتها الاولى السياسية ، والصراعات المتعددة على السلطة ، ووجد هؤلاء اللصوص من يشجعهم ويأخذ

بيـــــدهم ، لا ليقطعها ... بل ليجعلها تطول وتمتد وتسيطر !

وفى هذه المقدمة ، أحاول أن أشرك القارىء معى فى رحلة البحث عن الحقيقة بين ثوار يوليو ، وهى رحلة بدأتها فى اغسطس ١٩٧١ ، باحثا عن هؤلاء الثوار من أحرار يوليو . ولم يكن من السهل على الاطلاق أن أنقب عن الثوار القدامى قبـل مايو ١٩٧١ ، حين صـــحح الرئيس السادات مسار الثورة ، وأزاح عنها اللصوص الذين سرقوها منذ أيامها الاولى ، وهؤلاء لم يكن أقلهم شأنا يرضى أو يقبل أو يوافق على مثل هذا العمل... لأنه فى النهاية سيؤدى الى الحقيقة ، التى عملوا بكل قواهم على حجبها وطمسها ، وأقل الجزاء الذى كان سيوقع ضدى لو قمت بهذا النشاط قبل مايو ١٩٧١، هو اتهامى بالخيانة أو التجسس أو التآمر ، ومصـير أسود بعد ذلك ! ...

وليس فى هـذا التفسير أية مبالغة ، كما سـيرى القارىء بعد ذلك ونحن نقرأ مسار الثورة ، وتحولاتها الخطيرة على أيدى من اغتصبوها ونسبوها الى أنفسهم ، وصبغوها بلون مختلف للتضليل والتمويه ...

لقد قمت بهذه المهمة مطمئنا فى أغسطس ١٩٧١ ، وحتى ابريل ١٩٧٧ ، كنت مستمرا فى التقصى ورحـلة البحث عن الحقيقة ، مؤمنا بأنها أى الحقيقة هى التى ستبقى وتسطع للأجيال وللتاريخ مهما حاولوا طمسها.

ان ثورة يوليو ــ كما ذكرت قبل سطور ــ لم تطرح بعد « كل » أسرارها وخلفياتها ، وفى هـذا الـكتاب أسهم ببعض الجهد لتقديم الجديد عن الثورة ، بفـكر

ورؤيا وطنية مصرية غير متحيزة أو مرتبطة باليسار أو اليمين ، بالشرق أو الغرب ، وهو ما أساء الى الحقيقة والثورة حين كتب عنها البعض من خلال رؤيته أو عقيدته السياسية وارتباطاته غير المصرية .. وللأسف حدث هذا ، وشوهوا التاريخ بالفعل !

اننى أكتب عن ثورة يوليو كجندى من جنودها ، وقد كان لى شرف التواجد بين ثوار يوليو ابتداء من الساعة العاشرة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، حريصا على الالتحام بهم ، وكنت أصغر الصحفيين الذين يترددون على مجلس قيادة الثورة ، أو الذين استمروا يترددون خلال ١٩٥٣ - ١٩٥٤ - ١٩٥٥ ، مرحلة ما يطلق عليها « تثبيت » الثورة ، وهى تستغرق أحيانا عدة اسابيع أو أشهر ، وأحيانا عدة سنوات ، كنت أصغرهم سنا « ٢١ سنة » ولكنى كنت أقواهم ذاكرة ورغبة فى الاستيعاب والتقصى ورؤية الاعماق ..

ولقد ارتبطت بقطاع الجيش مع قيام الثورة عاشقا لها مؤمنا بكل كيانى بها ، وأعتقد ان مشاعرى هذه كانت هى مشاعر الشباب من جيلى الذين رأوا فى ثورة يوليو مستقبل مصر المشرق ، ومجتمعها الذى يحلمون به ، ثم تفرغت لهذا القطاع ، قطاع القوات المسلحة ، صحفيا بعد ذلك ، ولى الشرف أن أقول أن ارتباطى به ظل مستمرا حتى اليوم ، وقد عشت المناخ العسكرى فى الخمسينات والستينات مرورا بنكسة يونيو ١٩٦٧ ، وعواملها المتعددة التى أفرزها هذا المناخ ، كما عشت - مناخ السبعينات الذى قادنا الى حرب رمضان المساجدة عام ١٩٧٣ ، عشت المناخين وأحداثهما ، وخلفياتهما التى بقى أكثرها محتجبا عن الجماهير ،

ولذلك كانت الصــورة أمامى التى أنقل عنها ، أوضح وأشمل .

ان ثورة يوليو ١٩٥٢ ، لم تبدأ من فراغ ... كانت هناك داخل أسلحة الجيش أرضيــة مشحونة بالفكر الثورى ، أوجدها ضباط آخرون قبل الرئيس الراحل جمال عبد النــاصر ، ولظروف مختلفة توقف نشــاط هؤلاء الثوار ، وبعضهم انضم الى عبد الناصر ورفاقه .

ومن هنا يتبين لنا ماذا يعنيه الرئيس السادات حين تحدث مساء ٢٤ ديسمبر ١٩٧٦ قائلا : « لقــد بدأت العمل للثورة ، ثم تسلم منى الرئيس عبد الناصر » .

كان يعنى اشتغاله بالحركة الوطنية الثورية مع بداية الاربعينات ، وتلك حقيقة واقعة ، ملتحما بشباب فى رتبته وعمره من ضباط الطيران والمدرعات حتى قبض عليه بعد أن ابعدوه عن الجيش ، فتسلم عبد الناصر ، قيادة النشاط السرى لهؤلاء الثوار داخــل الاســلحة المختلفة ، وهى قيادة لم تكن رسمية ، ولــكن الجميع كان يشعر بها بل ويعترف مرحبــا بها عن ثقة واكبار واعتزاز .

كان للسـادات ثقل سياسى فى بداية الاربعينات وهو برتبة يوزباشى ، وكان نشاطه الوطنى الثورى يتجاوز طاقة ثلاثة رجال ... وأذكر أن المرحوم يوسف صديق وهو من ابرز قادة ثورة يوليو قال لى عام ١٩٧١و١٩٧٢ عندما التقيت به عدة مرات فى منزله بمدينة المهندسين بالقاهرة :

ــ « للحقيقة والتاريخ .. سمعنا عن ثورية هــذا الضابط محمد أنور السادات عام ١٩٣٩ ــ ١٩٤١ ،

وحتى عام ١٩٤٢ واخراجه من الجيش بقرار ملكى فى ٨ يناير ١٩٤٢ كنا نسمع عن عسكريته وعن اصطدامه بالقادة الانجليز ، وبعضنا كان يبحث عنه ليراه ، كما سمعنا أيضا عن ضابط لا يقل وطنية عن السادات وهو المرحوم محمد وجيه خليل ، أحد شهداء جولة ١٩٤٨ فى فلسطين ، وعرفنا انهما دفعة واحدة ... دفعة السادات . »

لم يكن السادات وحده فى مجال العمل الثورى داخل أسلحة الجيش ، كانت هناك عناصر ثورية أخرى من الضباط الوطنيين ترفض الاحتلال البريطانى لبلادها والقيادة الانجليزية لجيشهم ، بل وترفض وتحارب ذلك الضعف والتهاون والتعاون الملكى أمام الانجليز ومعهم، وهو ضعف ملكى شمل للأسف كبار القادة الضباط من الباشوات ، ورؤساء الاحزاب السياسية فى مصر، وما كان لأحدها أن يحكم الا بموافقة الانجليز ، وفى الدرجة الاولى قائد القوات المسلحة البريطانية فى الشرق الاوسط ومقر قيادتها القاهرة .

هذا النشاط الثورى لعدد قليل من ضباط الجيش المصرى مع منتصف الاربعينات وحتى بداية الخمسينات سمعت عنه خلال صراع الاشهر الاولى لثورة يوليو ، وبداية القبض على مجموعة من الاحرار ومحاكمتهم عسكريا بتهمة التآمر ضد الثورة ، وظهور طبقة جديدة ممن سرقوا الثورة ، وقد أخذوا يظهرون تدريجيا ، وفى توقيت يختارونه بدهاء شديد فوق المسرح السياسى المصرى ، يلعبون أدوارهم بخبرة صاحب التجارب السابقة فى ابعاد العناصر الشريفة عن الميدان ... يقودون «الفرح» ويتقدمونه بالتهليل والتكبير والتعظيم،

وفى أيديهم العصى الغليظة لضرب كل من يتعرض بالاساءة للفرح ، وهم فى الحقيقة يحملونها لارهاب وتشريد أصحاب «الفرح» الحقيقيين ، وهو ماسنتعرض له فى الصفحات القادمة ...

لقد سمعت عن النشاط الوطنى الثورى لعدد من الضباط منذ بداية الاربعينات ، ولم يكن بوسعهم غير طباعة المنشورات السرية ضد السراى والانجليز ، ولكنها كانت بداية لمشوار طويل ، سمعت عن هؤلاء الثوار الذين عملوا قبل أن يلتقوا بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ودون أن يسمعوا به ، وكانوا نقطة البدء فى نشوء الفكر الثورى الوطنى المتحرر بين أسلحة الجيش المختلفة ، سمعت عنهم من المرحوم يوسف صديق ، والسادة رشاد مهنا ثائر المدفعية القديم والوصى السابق على العرش بعد الثورة مباشرة ، ومن الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية السابق ، وعبد المنعم أمين أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وعاطف نصار قائد الاحرار فى الاسكندرية ، والعميد مصطفى الوكيل أحد خبراء الحرب الالكترونية ومحمد سعد عبد الحفيظ ثائر الفرسان القديم ووكيل وزارة الثقافة حاليا ومن محمد عبد العزيز هندى زميله ... سمعت عن تجمعاتهم السرية غير المنظمة ، ولقاءاتهم الفكرية المتقاربة مثل أعمارهم ، واهتماماتهم الوطنية التى تملأ حياتهم وشبابهم ، وتفاصيل مثيرة تذاع لأول مرة ، وتوضح لنا كيف توقف نشاط بعض هؤلاء المتمردين على الاحتلال البريطانى ، وكيف تعثر البعض ، وكيف التقى آخرون بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر قبل الثورة ، سعى هو اليهم ، أو سعوا هم اليه ، وعملوا بجانبه أو تحت

قيادته ، ثم كيف وقع الصدام بعد الثورة ... فكان مصيرهم السجن الى حين ..!

بعض هؤلاء الثوار صدر ضده الحكم بالاعدام ، ثم عدل الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة ولكنه لم يقض من العقوبة غير ثلاثة أشهر فقط ...

وتساءل الضباط الذين عرفوا بالقصة .. ما هى الحكاية ..؟ هل كانت محاكمة جدية او تمثيلية لابعاد هذا الضابط أو ذاك عن الجيش ؟ ! ..

ضابط يتآمر ويحاكم ويصدر الحكم باعدامه ، ثم يخفف الحكم الى ٢٥ سنة أشغال شاقة ، ثم يغادر السجن بعد ٩٠ يوما ... كل هذا يتم سرا ، ويزور الضابط المتآمر زملائه فى وحداتهم لكى يقول لهم انه حر طليق ، وان المحاكمة لم تكن جدية ، وان الهدف كان ابعاده عن الجيش فقط ! ماذا يعنى هذا كله ؟ !

حدثت هذه القصة مع قائد تنظيم الضباط الاحرار فى الاسكندرية « البكباشى عاطف نصار » الذى نقرأ قصته وقصة ضباط الاسكندرية أو أحرارالاسكندرية التى لم يقدر لها أن تنشر طوال ربع قرن مضى على الاطلاق ، نقرأ قصتهم فى نهاية فصول الكتاب .

لقد تردد الكثير عن موقف أحرار الاسكندرية بعد الثورة ، وكلها ترددات داخل نطاق الجيش لم يسمح باذاعتها أو نشرها منذ ١٩٥٢ ، وقيل أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان يرى عدم اشتراك أحرار الاسكندرية فى خطة التحرك مكتفيا « بتجميد موقف وحداتهم العسكرية » فى أنحاء المدينة ، وقيل ان هذا

ليس صحيحا وان عبد الناصر كلف احد الضباط وهو «اليوزباشي أحمد حمروش» الكاتب الصحفى بعد ذلك ، بابلاغ قيادة الاحرار فى الاسكندرية بساعة الصفر ، ولكن « حمروشا » نفذ تعليمات « حركة حدتو الشيوعية » التى كان يعمل معها ، ولم يبلغ الاحرار فى الاسكندرية بشيء ، واختفى فى قريته بالبحيرة ، ولم يظهر الا صباح ٢٤ يوليو ١٩٥٢ بالاسكندرية ، غير ان قوات الاسكندرية امام هذا التراخى فى ابلاغها بموعد التحرك ، قامت بواجباتها لحظة سماعها البيان رقم واحد فى الاذاعة بصوت الرئيس أنور السادات ، وهى واجبات خطيرة سنتعرض لها فى الاجزاء القادمة من هذا الكتاب .

ولقد قال الرئيس السادات ذات يوم ان الاعمال العظيمة لا تتحقق الا بالخطر العظيم ، وكان لابد من وقوع أخطاء وأخطار وحدوث ثغرات فى مثل هذا العمل الضخم ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . ،

قامت الثورة ونجحت وغيرت وجه التاريخ ، قامت لتعبر عن عقم الاحتجاج السلبى داخل الجيش المصرى وتخرج بالطلائع الثورية العسكرية الى العمل الايجابى المشفوع بالرؤيا الوطنية الواعية .

ولم تكن ثورة يوليو تحرز هذا النجاح منذ ساعاتها الاولى لو لم يؤيدها جميع ضباط وجنود الجيش بأسلحته المختلفة ــ الذين لم تضمهم خلايا التشكيل السرى للضباط الاحرار ، ليس عن عدم ثقة بهم ، بل حماية للسرية التى استند اليها التنظيم ثلاث سنوات .

ولم يكن التنظيم لينجح فى خطته اذا توسع فى ضم

أعدادا كبيرة من العناصر العسكرية الثورية الشريفة ، وأكثرها غير قادر على كتمان السر فى صدره !

ولقد استطاع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، بمقدرته الفائقة على إدارة النشـــاط التنظيمى السرى وبامكانياته وطاقته تكوين الخلايا السرية داخل مختلف الاسلحة والاشراف عليهـــا ، فى البر والجو والبحر ، وبأسلوب فريد التزم به منذ عام ١٩٤٩ ، يعتمد على الـكتمان والسرية المطلقة حتى ان أكثر الاحرار لم يكن يعرف من هو قائد الثورة ، أو عقلها المحرك ، بل كان أحرار كتيبة ما فى أحد الاسلحة لايعرفون أحرار الكتيبة المجاورة لها فى نفس السلاح ، وانتشر تشكيل الضباط من ثوار يوليو بين وحدات الجيش فى العاصمة وسيناء والاسكندرية ، دون أن تخرج أسراره الى العلانيـــة ، ولـكن قبل ان البوليس السياسى الملـكى كشف هذا التنظيم قبل أيام من ثورة يوليو ، وعرف الاحرار بهذه القصة ، فعجلوا بالتحرك ، وقد تأكدوا انهم قادرين على تحريك ضباط الجيش جميعا ، تحريكا وطنيا واعيا ، وانهم خلقوا رأيا عاما بين جميع الضباط ، سيجعلهم يؤيدون الثورة مع خطواتها الاولى فكرا وعملا .

ولقد تردد بعد الثورة ان الخطة الرئيسية للحركة كما وضعها الرئيس الراحل جمال عبد النـــاصر كانت تقضى بالآتى :

ـ يقوم مائة ضابط يمثلون طليعة الثوار بالثورة فى القاهرة ، وقد تحرك بالفعل ٩٨ ، وقيل ٩٩ ضابطا .

ـ نفس العدد تقريبا يتحركون فى الاسكندرية وسيناء ، وقد قاموا بواجباتهم .

ـ يبقى حوالى مائة ضابط من الاحرار بدون واجبات وبدون تكليفات بل يحال بينهم وبين معرفة ساعة الصفر ، حتى اذا فشلت الثورة لا قدر الله ، يصبح هؤلاء الضباط المائة نواة لحركة ثورية جديده داخل الجيش تقوم بمحاولة جديده امتدادا لحركة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وقد وضع فى حسابات احتمالات الفشل والقبض عليه جنبا الى جنب احتمالات النجاح والسيطرة !

ولكن عددا ليس بقليل من الضباط الاحرار الذين التقيت بهم منذ بداية الثورة وحتى العام الحالى ١٩٧٧ ، وبعضهم من أعضاء مجلس قيادة الثوره ، كذبوا هذا الجزء من الخطة مفسرين عدم صحته بأن قيادة تنظيم الضباط الاحرار كانت فى حاجة لجهد كل ضابط ، خاصة فى الايام الثلاثة الاخيرة التى سبقت ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبدليل ان عددا ليس بقليل من الضباط الذين تواجدوا ليلة الثورة فى وحداتهم ودون أن يكون لهم صلة بالتنظيم السرى اشتركوا فى التحرك والخروج مع الاحرار حين علموا بالمفاجأة وقد اندفعوا فى تأدية واجباتهم أشجع الأداء ، وكنا فى حاجة اليهم .

وهؤلاء الثوار قالوا لى أيضا انه بالفعل حرص الرئيس الراحل جمال عبد الناصر على عدم ابلاغ بعض الضباط الاحرار بساعة الصفر ، وبذل جهدا كبيرا فى ذلك حتى يحول بينهم وبين الوقوف على موعد التحرك من زملائهم ، فقد كان يخشى وجود هؤلاء الثوار بجانبه اذا نجحت الثورة ، واضعا فى حساباته انهم سيخلقون مناخا يتجدد فيه الانقلابات ، وانهم لن يتعاونوا معه ، ولن يرضوا الا بتحقيق أهداف وطموحات شخصية لديهم ، وان أبعادهم

عن الحركة حتى تتم ويكتب لها النجاح لايعنى استبعادهم الى الابد ، ولكن شوكتهم ستكون قد ضعفت بالضرورة، ويصبح من السهولة التعاون معهم ، أو خضوعهم له ، واذا كانت هذه القصة صحيحة أو تحمل بعض الصحة فمن المؤكد ان الرئيس الراحل لم يكن صائبا ... لأن شوكة هؤلاء الثـوار لم تضعف ولم تلن الا بالقهـر والارهاب داخل السجون أو بالتشريد خارجها ! !

هذه قصة لم تستوف حقها من الدراسة والتقصي والبحث حتى الآن ، وهي تشكل جانبـا من الاهميـة التاريخية فى الاعداد لثورة يوليو لأنها كانت مدخلا منذ الاشهر الاولى بعد الثورة لصراعات عديدة وقضايا تآمر مختلفة ، بعضها حقيقى وبعضها ملفق ، ولم يتوقف هذا المناخ رغم احاطته بسرية مطلقة حتى يناير ١٩٧٠، أى قبل رحيل الرئيس جمال عبد الناصر بشهور تسعة فقط ... وهو ما سنتعرض له عبر الصفحات القادمة.

حمـدى لطفى

عمل عظيم تأخر عن موعده عشرين عاماً

من العدل والانصاف والوفاء أن تبدأ فصول هـذا الـكتاب بهذا الفصـــل الخاص بوثيفة ثوار يوليو من الضبـاط الاحرار ، وكيف جرى أعدادها ... وكيف استردت ثورة يوليو وجهها الحقيقي بملامحه المصرية.

لقد دافع الرئيس الســادات بايمان ونقاء الرجـل الثورى عن « حرمة » الثورة التى أعطاها أحلى سنى العمر ، دافع بكل كيانه وامكانياته عن «حرمة» الثورة التى غيرت مجرى التاريخ فى الشرق الاوسط وافريقيا ، حتى تسترد ثورتنا نقائها وأصالتها .

لم تـكن حرب اكتوبر الرمضانية عام ١٩٧٣ ، هى العمل الجليل الوحيد الذى رد للمصريين وللعرب كرامتهم وعزتهم بعد أن أنتهكتها نكسـة ١٩٦٧ ، فحسب ...

كان هناك عمل جليل آخر ، عمـل جليل عظيم هو بداية الديمقراطية الحقيقية وليس الشعارات ، بداية لمناخ يمارس الشعب فوقه مجتمع الصـــدق والحرية والشرف والامن والطمأنينة ، ذلك المنـاخ الذى أفرز انتصار قواتنا المسلحة فى حرب رمضان الماجدة ، عمل

جليل عظيم قام به الرئيس السادات ، وان جاء متأخرا عن موعده الطبيعى عشرين عاما كاملة ... ولكن الأمر لم يكن بيده !

لقد أخذ الرئيس السادات فى نهاية عام ١٩٧١ يبحث بواسطة مجموعة من قدامى الثوار المعروفين بطاقاتهم الشابه ونقائهم وصدقهم الثورى ، يبحث منقبا فى انحاء الجمهورية عن الضباط الاحرار وما وقع لهم ، ثم وضع وثيقة مصرية ثورية تاريخية فى نوفمبر ١٩٧٢ ، وثيقة تضم أسماء الضباط الاحرار من مجموعات الصف الاول ، وأسماء مجموعات الصف الثانى الذين فجروا الثورة ، لا الذين هربوا وتراجعوا أو انتحلوا الاعذار هروبا ليلة ٢٢ يوليو وليلة ٢٣ يوليو ، كما سجلت هذه الوثيقة التاريخية أسماء الضباط من صغار وكبار الرتب ممن أسهموا مع زملائهم فى التحرك ليلة الثورة ، دون أن تضمهم خلايا التشكيل السرى للضباط الاحرار .

ولقد بذل الرجال جهدا مكثفا ولعدة أشهر فى التقصى والبحث عن ثوار يوليو ، بعضهم صعدت به الايام الى القمة ، والبعض الى منتصف القمة ، وآخرون هبطت بهم السلطة الى القاع دون أن يذكرهم أحد !

ولكن ما الدافع خلف اعداد هذه الوثيقة التى أصدرها الرئيس السادات فى نوفمبر ١٩٧٢ ، ورأى باصالة الفلاح المصرى تواضعا ونكرانا للذات ألا يذيع هذا السر طوال السنوات الخمس الماضية ..؟

ما الدافع وقد طويت القضية بين لفائف النسيان ؟

ـ كل الضباط من الثوار القدامى الذين التقيت بهم وهم أكثر من مائتى ضابط ، وبعضهم رفاق سلاحه أو

زملاء دفعته ، قالوا لى اجابة عن تساؤلى الذى طرحته أمامهم عام ۱۹۷۱ و ۱۹۷۲ حول هذا العمل بالتحديد :

ـ انها صفة الوفاء فيه ، احدى دعائمه الاخلاقية التى نمت مع نمو عمره ، ففمره الاحساس بالعدل والصدق والرجولة ، صبيا وشابا ثائرا، كما دفع مختار من شبابه أغلى الثمن ، دفع حريته الشخصية خلف أسوار السجون ، ورضى أن يبدد بهجة حياته دفاعا عن مصر وحريتها ، وقد غطت الجراح جسده ، لكن روحه ظلت نقية ثرية بأرقى النبض البشرى الذى يرتفع بالانسان فوق المثالب والاهواء .

لقد اهتم الرئيس السادات بعد أن تولى ولاية الوطن، وبعد أن أزاح مراكز القوى الذين سرقوا ثورة يوليو فى مراحلها الاولى ، وبعد أن أبعدهم عن المسرح السياسى فى مايو ۱۹۷۱ ، اهتم بتسجيل ثورة يوليو ـ الخالدة تاريخيا وتصحيح مسارها الوطنى ، ليبقى هذا « السجل » دليلا أمام أجيال شعبنا وأمام التاريخ ...

لم يقبل بأن يبقى الضباط الاحرار خلف ستائر الزمن والنسيان، فانطلق يبحث عنهم ويمسح جراحهم، وما أكثر الذين بذلوا منهم أنبل البذل ، وأعطوا أغلى العطاء وكانوا دائما فى مقدمة المبادرين ايجابا وتطبيقا ، لاينتظرون المقابل على الاطلاق ، وما أكثر الذين تعرضوا منهم للتنكيل والارهاب جزاء ثوريته ونقائه ودفاعه الصادق عن « تثبيت » مبادىء الثورة ، ورفضه الحاسم لمسايرة اجهاض وانتهاك حرمات الثورة !

لقد قال لى أحد الثوار القدامى ممن اقتربوا طويلا من الرئيس السادات فى الخمسينات والستينات : «ان السادات عاش مهموما بهذا العمل، وبذل جهدا شخصيا

فى نهاية الستينات من أجل اصــدار هــذه الوثيقة وتحسين الاوضاع الاجتماعية لـكثير من الضـــباط الاحرار ، وانقاذ بعضهم مما لحق بهم من كوارث ومحن فرضت عليهم ، ولـكنه كان يصطدم دائما بالذين سرقوا الثــورة وركبوا موجاتهــا ، وارتدوا ملابس الثوار ، يبعـــدون عن طريقهم كل من يعرف حقيقتهم ، أو كل من يحاول ازاحة الستائر الكثيفة عن الحقيقة المحتجبة عنوة وقهرا ... وكان فى القمــة من يتركهم يعبثون بأقدار مصائر أشرف الرجال . »

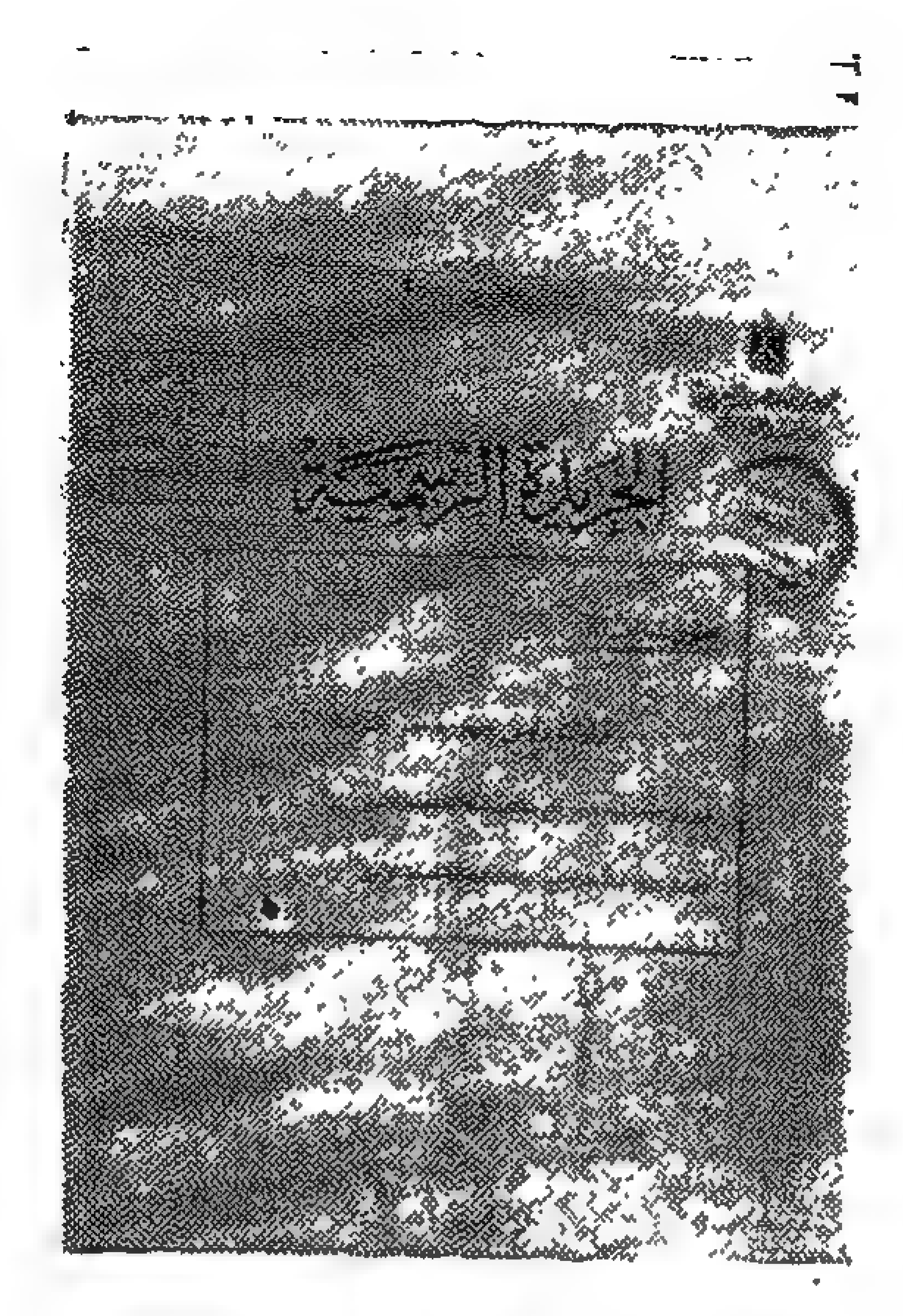
***

ومن هنا ، كان حرص الرئيس السادات على اصدار هذه الوثيقة الثورية التاريخية المصرية، والعمل فى تجميع تفاصيلها ابتداء من يوليو ١٩٧١ ؛ لتصدر الوثيقة فى نوفمبر ١٩٧٢ ، وبعــد موعدها الطبيعى عشرين عاما كاملة !

كيف ... ولمــاذا ؟

انها قصـــة طويلة ، وبالضرورة لابد من طرحهــا ومناقشتها صراحة ووضوحا ... انها قصة البداية .

بعد قيام الثورة بأشهر قليلة ، وجد بعض الضباط الاحرار فى القـــاهرة ان مجموعة ممن أداروا ظهورهم لحركة الجيش قبــل القيــام بها ، وبعد نجاحها عادوا وركبوا الموجة الثورية ، وأفلحوا أوكادوا فى نسب مواقف ثورية وهمية لانفسهم والالتفاف حول قادة الثورة ... وجد بعض الضباط الاحرار ان هذه النوعية من الضباط تسرق الثورة نهارا وعلنا ففكروا فى اعداد سجل رسمى بأسماء ثوار كل ســلاح « المدفعية والمشاة والطــيران والاشارة والمدرعات » على أن يضم هذا السجل اسم


الجريدة الرسمية

الضـــابط وتاريخ تجنيده فى خلايا التنظيم السرى ، والضابط الذى قام بتجنيده ، ثم دوره ليلة الثورة وما بعدها من أسابيع عصيبة حاسمة .

ولقد شرع ضباط المدرعات والمدفعية ميـــدان ، والمدفعية الساحلية بالاسكندرية ، والمدفعية المضـادة للطيران ، فى اعداد هذا السجل على مستوى القـاهرة والاسكندرية بعد أن عرض ضباط المدفعية ميدان هذه الفكرة أو الاقتراح على قائدهم أو ممثل سلاح المدفعية فى لجنة القيـادة أو لجنة القـاهرة الصاغ كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة ، وتكررت اجتماعاتهم من أجل هذا الغرض ، فارتابت « المخابرات » فى أهداف هذه الاجتماعات ، وكتبت تقريرا بمخاوفها الى الرئيس

الراحل جمال عبد الناصر ، الذى طلب من زميله كمال الدين حسين ، كما روى لى الاخير فى بداية العام الماضى، أن يقنع رفاق سلاحه من ضباط المدفعية بالكف عن هذا النشاط ، وأن يطمئنهم الى وجود سجل بالفعل لدى مجلس قيادة الثورة !

فى ذلك الوقت كان الضباط الاحرار فى مدينة الاسكندرية وغالبيتهم من المدفعية الساحلية ، قد فرغوا من اعداد سجل خاص بهم باشراف قائدهم المقدم عاطف نصار ، وقد ضم هذا السجل أسماء أحرار الاسكندرية مدفعية ، وطيران ، واشارة ، وبحرية ، ومهندسين ، وقاموا بوضعه فى ثكنات مصطفى باشا ـ مقر القيادة الشمالية ـ وأضافوا اليه ما حدث وقاموا به من مهام يوما بيوم ، وساعة بساعة ، ابتداء من السابعة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مدينة الاسكندرية .

وبعد عدة أشهر اختفى هذا السجل ، وقال البعض انه لم يسرق ، ولكنه انتقل الى القاهرة ، ثم اختفى من القاهرة أيضا ! !

ولاذ الجميع بالصمت ، بينما استمر لصوص الثورة يزحفون اليها والى مراكزها القيادية والحساسة، ويفرضون ارهابهم بين أسلحة الجيش وضباطه الاحرار ، ويشكلون خلسة وسرا أولى مراكز القوى ، يعاونهم بعض الهوى فى نفوس أقلية من القادة كان لها أغلبية النفوذ والسيطرة ، والرغبة غير المعلنة فى ابعاد عناصر معينة من الضباط الاحرار عن مسرح السلطة !

وبدأت سلسلة من المحاكمات العسكرية السرية ، كما أخذ بعض ضباط المخابرات ممن تسللوا اليها بالتبليغ عن معارفهم عسكريين ومدنيين وعن مؤامرات وانقلابات

وهمية ينسجون خيوطها وقوائم بأسماء ضباط من مختلف الرتب يقترحون فصلهم أو محاكمتهم ، ولقد نجا البعض من هذا المصير نتيجة علاقاته الشخصية بهيئة القيادة ، وكما ضم السجن الحربى أو سجن الاجانب فى بداية السنوات الاولى للثورة مرورا بشهورها الستة الاولى « مرحلة تثبيت الثورة » كما ضمت السجون مجاميع من العناصر المضادة ، ضمت أيضا كثيرا من الضباط أصحاب الاهتمامات السياسية ممن اعتادوا مناقشة الاحداث التى تعيشها بلادهم وثورتهم فى لقاءات داخل وحداتهم العسكرية أو فى بيوتهم ، وفى أذهانهم ان رجال القيادة هم رفاق سلاح أو زملاء دفعة لا حرج من مناقشة قراراتهم ، غير ان القيادة كانت ترى فى هذه اللقاءات أو السهرات وما يدور فيها عملا معاديا ونشاطا مضادا ؛ ورغبات مستترة فى القيام بانقلاب جديد ، وفى مثل هذا المناخ الذى ينشط فيه بعض أصحاب الطموح المنحرف والمشروع ، تطوع عدد ليس بقليل من الضباط ، ومن المدنيين للعمل كعيون للثورة وكما هو معروف لمع نفر منهم بعد ذلك انطلاقا من هذا الاسلوب ، وأحدهم أخذ يحكم مصر حتى وفاة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وأعنى به «سامى شرف ! »

لقد تخرج سامى شرف فى الكلية الحربية ـ دفعة فبراير عام ١٩٤٩ ، وحين قامت الثورة كان ضابطا برتبة ملازم أول بالأنوار الكاشفة ـ سلاح المدفعية المضادة للطائرات بالاسكندرية ، وقد أظهر فرحا شديدا واهتماما وطنيا بالغا بثورة يوليو أمام ضباطه وقادته ، وظل دائم الثناء على كل ضابط استمر فى عمله بعد

حركة التطهير الاول ، وخاصة من يحمل رتبة صاغ أو بكباشي ، كما برع فى اختيار الالفاظ والكلمات التى يعبر بها عن اعجابه بهذا الضابط أو ذاك : مرددا جملة واحدة يبدأ بها حديثه كلما التقى بهؤلاء القادة : « انا مبهور بأسلوب سيادتك وعسكرية سيادتك يافندم » ، فأطلق عليه كبار الرتب : « الولد المبهور » ! !

وبقى سامى شرف دائم التنقل والتواجد بين ضباط المدفعية فى القاهرة والاسكندرية ، متمتعا بحرية الحركة واجازات لا نهاية لها ، حريصا على البقاء بينهم ليل نهار ... خاصة طوال المرحلة الدقيقة التى أخذ فيها عدد ليس بقليل من الضباط الاحرار فى المدفعية موقفا مستقلا عن مجلس قيادة الثورة فى ديسمبر ١٩٥٢ ، دفاعا عن مطلب طرحوه فعارضته الاغلبية ، وكان هذا المطلب يتلخص فى ايجاد جمعية عمومية للضباط الاحرار تقوم بانتخاب اعضاء مجلس القيادة ، وأن يعرض مجلس القيادة كل القرارات الهامة قبل اصدارها على هذه الجمعية العمومية ، وقد رفض الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هذا المطلب ، أيده فى ذلك ضباط المدفعية من أعضاء مجلس القيادة ، مثل صلاح سالم وكمال الدين حسين ، وعبد المنعم أمين ، فتعددت اجتماعات الثوار الاحرار من ضباط المدفعية ، ونشط بينهم سامى شرف ، وتردد وقتها انه كان يقوم بابلاغ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كل ما يسمعه ويزيد عليه من عنده ، أقصد من استنتاجاته وتحليلاته ! !

تصادف فى نفس الوقت ان الاخوان المسلمين كانوا يجتمعون كثيرا ، وأخذوا يناقشون موقفهم من الثورة ، وموقف الثورة مستقبلا منهم ، وضمت هذه الاجتماعات

عناصر متطرفة من الاخوان المسلمين كانت تشغل وظائف مدنية ، ووظائف عسكرية ، من بينهم النقيب عز الدين شرف الضابط بالشرطة الذى قبض عليه فى بداية عام ١٩٥٣، وهوالشقيق ألاكبر لسامى شرف ، وقد ترددت فى تلك الايام قصة ابلاغ سامى عن شقيقه أمام السيد زكريا محيى الدين ، ثم أمام الرئيس الراحل ! كما تردد أيضا ان سامى شرف طلب الاذن ليقتل شقيقه عز الدين وأن الرئيس الراحل طلب منه التريث ، وكان يبدى أعجابه بعد ذلك بهذا الضابط الصغير المتحمس للثورة فى كل لقاءاته بالضباط الاحرار بعد ذلك !

ولقد تلقف السيد زكريا محيى الدين وكان مشرفا على جهاز المخابرات هذا الضابط المتحمس ، ثم التقطه على صبرى ، وتمر الايام والسنوات واذا به يحكم مصر ... حتى بقية القصة المعروفة ..

هذا نموذج واحد ، أو مثال واحد لمن صعدوا حتى قمة السلطة بالاساليب الملتوية ، ولقد ذكرت سامى شرف لأنه أحد النجوم الذين ظلوا طويلا يعملون خلف الستار ، ثم صعد علانية فوق خشبة المسرح السياسى، وكان محل ثقة الرئيس الراحل، وثقة الاتحاد السوفييتى، كما نشر خلال الاعوام القليلة الماضية ، ومثله كثيرون للأسف ، كل مؤهلاتهم شعار « أهل الثقة قبل أهل الخبرة . »

ليس معنى حديثى هذا ان الثورة لم تواجه عناصر متمردة وأنقلابات ومؤامرات مضادة ، بعضها كاد ينجح بالفعل لولا يقظة بعض الكفاءات الواعية فى أجهزة المخابرات وأفرع الجيش ، وفى قطاعات مدنية كثيرة آمنت بالثورة ، وشاركت فى مسئولية حمايتها ، ولم

تطلب المقابل أبدا ... ولـكن كانت هناك فى الوقت نفسه مؤامرات وانقلابات وهمية لفقها بعض الضباط فى هذه الاجهزة أو تلك للتخلص من « عناصر معينة » من الضباط الاحرار فى مختلف أسـلحة الجيش ممن رفضوا مسايرة الخطأ والعروض المغرية بمناصب كبيرة فى الداخل أو الخارج ، وحاولوا أن يرفعوا أصـواتهم عاليا ، ولكن بعض القادة ممن سرقوا الثورة ، واحتلوا مراكز ذات نفوذ على مستويات قيـادتها وأجهزتها ، أخمدوا هذه الاصوات على الفور ، وقبضوا على أصحابها بتهمة التآمر ، ثم أخذوا ينشرون سيطرتهم المطلقة على الرئيس الراحل ، وكانوا يقدمون له المؤمرات المزيفة لكى يضمنوا اقنـاعه بأنهم الحامون لحياته ، وهكذا وقع عبد الناصر اسيرا لهذه الاجهزة ... حتى انه قال ذات مرة لأنور السادات :

ـ « البلد بتحكمها عصابة يا أنور » .

« ٥٠ أو « ٩٠ » جنيها !

كان طبيعيا فى هذا المناخ أن يسكت الجميع عن طلب سجل يضم أسماء الضبـاط الاحرار للتاريخ والاجيال ، وأن يتفرغ أكثرهم لحماية ظهره من طعنـة فى لحظـة ظلام ، وأن يبذل جهده المشروع وأحيانا غير المشروع للابقاء على وظيفته فى الجيش أو فى القطاع المدنى الذى نقل اليه ، بدلا من الفصل والتشريد والجوع ، وربما لحق به بعد هذا كله اتهام بالتآمر .. !

لقد تشرد عدد من الضبـاط الاحرار ، لا عمل لهم ولا مرتب ولا معاش ، بل بعضهم حصـل على وظائف

مدنية فى القطاع الخاص فكانت أجهزة السلطة كالمباحث العامة أو رئاسة الجمهورية أو مكتب المشير عامر تطلب فصلهم على الفور ، ولم يكن أحد لديه القدرة ليعترض، وحرصا منى على كرامة العسكرية المصرية رأيت عدم نشر أسماء هؤلاء الثوار الذين اضطر عدد قليل منهم الى كتابة الالتماسات للرئيس الراحل ، بعد أن عضه الجوع كما عض أفراد أسرته ، فيأمر عن طريق سامى شرف ، أو شمس بدران ، أو الآخرين بصرف معاش ما بين ٥٠ و ٩٠ جنيها ... وفى بعض الحالات كان قادة مكتب المشير عامر يصرون على أن يذهب هذا الضابط أو غيره ليتسلم المعونة ... وهى فى الحقيقة معونة وليست معاشا ، يتسلمها من ادارة المخابرات ، فى بداية كل شهر ، مما جعل بعض الضباط من أصحاب هذه الالتماسات يعدلون عن تسلم هذه الهبة بهذا الاسلوب المهين ، وقد ظل آخرون يحصلون على هذه المعونات من ادارة المخابرات ، حتى جاء الرئيس السادات وأمر بالغاء هذا كله فى منتصف عام ١٩٧١ ، مقررا لهم معاشاتهم الرسمية ، ثم مسجلا لدورهم فى الوثيقة التاريخية التى أصدرها عام ١٩٧٢ بحصر الضباط الاحرار وتعديل معاشاتهم .

هذه القصص سمعتها من بعض الثوار الاحرار فى نهاية الخمسينات ، وأكدها لى عدد آخر منهم عام ١٩٧٢ والعام الحالى ١٩٧٧ ، وكنت قد شرعت فى اعداد دراسة صحفية عنهم مع بداية عام ١٩٧٢ ، وهى الدراسة المبتورة التى نشرها « المصور » فى الاسبوع الاخير من يوليو ١٩٧٢ ، محاولا اليوم استكمالها عبر هذا الكتاب ...

لقد قال لى بعض هؤلاء الضباط :

ـ « أن عددا من زملائنا لم يحصلوا على هذه المعونة الا بعد أن أكدوا بكافة الاساليب أمام سامى شرف ، أو على صبرى ، أو عبد الحكيم عامر ، انهم أصبحوا يؤمنون بالفكر الاشتراكى ، أو بالفكر الماركسى ! »

***

فى نهاية عام ١٩٦٣ ، كتب السيد سعد عبد الحفيظ وكيل وزارة الثقافة حاليا ، وهو أحد الضباط الاحرار فى سلاح المدرعات ، وكان قد شارك منذ منتصف الاربعينات بنشاط ثورى بارز عبر التنظيمات الثورية المتعددة تلك الايام فى مختلف أسلحة الجيش المصرى ، والتى قدر لها أن تتوحد بعد ذلك ، وبعد الجولة الاولى من الحرب مع اسرائيل فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، تحت قيادة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ـ كتب سعد عبد الحفيظ الى اليوزباشى محمود الجيار مدير مكتب رئيس الجمهورية للشئون الداخلية يقول :

ـ « ان الأمر الذى أكتب اليك بشأنه يستحق العرض على السيد الرئيس بوصفه قائدا للضباط الاحرار .. »

« لقد نبهتنى الضجة والخلاف حول حقائق ثورة ١٩١٩ ، ودور أفراد الجهاز السرى بها الى أن أقترح ما يلى :

فى نطاق القوات المسلحة مهد لثورتنا المجيدة ، وأعد لها وقام بها نفر محدود من الضباط ، وبعد أن قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، انتشروا فى قطاع الخدمة العامة على اختلاف مواقعها ... فمنهم من كانت له وظل على صلة بأحد أبناء الثورة ذوى المناصب المسئولة

ففتح له فرص العمل فى المركز المناسب لامكانياته » .

« ومنهم من تقطعت عنه هذه الصلة ، فانطلق بعضهم بطاقاته وثوريته وتمكن من شق طريقه ، وبعضهم تعثرت بهم المقادير أو وقفت فى طريقهم المظالم أو الاحقاد . »

« والهدف الذى أريد ان أصل اليه هو ضرورة عمل حصر شامل دقيق للضباط الاحرار الاوائل ودور كل منهم حتى قيام الثورة ثم يتبع ببحث الظروف التى تمر بكل منهم حاليا » .

والغرض من ذلك ...

أولا : استغلال طاقاتهم الثوربة العميقة الواعية بتكليفهم بالخدمة العامة فى المراكز العامة التى تحتاج اليهم .

ثانيا : تسجيل امين لفترة حاسمة من حياة امتنا للتاريخ والاجيال القادمة .

ثالثا : وفاء الثورة لأبنائها الاحرار ، ورفع «الظلم» ان وجد ـ وفتح الطريق لمن تعثرت بهم الظروف ...

***

ولكن لماذا سعد عبد الحفيظ بالذات هو الذى يتصدى الى هذا الطلب فى نهاية عام ١٩٦٣ ، وبعد ١١ عاما من قيام الثورة ؟

والاجابة عن هذا السؤال كما سمعتها من بعض رفاقه تقول : « ان سعدا عرف بيننا بجرأته واقدامه على التصدى دائما لمثل هذه الموضوعات الشائكة » ولعلمهم ان الرئيس الراحل كان يقدر دائما فى اليوزباشى سعد عبد الحفيظ ماضيه الثورى وصدقه ، وصراحته

وتقديسه للزى العسكرى ، ورفضه للنفاق والتزييف والتزلف للسلطة ... رغم ان هذه المميزات دفعت به فى نهاية عام ١٩٥٢ الى الوقوف فى قفص الاتهام متهما بالتآمر ضد الثورة ، ولكن لا السجن ولا العقاب جعلاه يعدل عن سلوكه المستقيم ، ومن هنا طلب رفاق السلاح أن يكتب للرئيس الراحل طالبا حصر الضباط الاحرار ومعاونته للذين تعثروا منهم ، ففعل سعد على الفور .

ولقد كتب سعد عبد الحفيظ الى محمود الجيار بصفته احد الضباط الاحرار ، مما سيجعله يعجل بعرض الخطاب على الرئيس جمال عبد الناصر والحصول منه على تأشيرة ايجابية ، ولكن سعدا لم يكن يعلم ان الجيار أصبح لابد أن يمر أولا على باب سامى شرف !

ما هو موقفهم الآن ؟ !

أمسك الجيار بخطاب سعد عبد الحفيظ ، وكتب الى « الاخطبوط » الخطاب التالى :

السيد عبد الرءوف سامى شرف

سكرتير السيد الرئيس للمعلومات

تحية طيبة ـ مرفق لسيادتكم الاقتراح المقدم من السيد سعد عبد الحفيظ بشأن عمل حصر شامل للضباط الاحرار الاوائل ودور كل منهم ووضعه فى المكان المناسب .

رجاء التفضل بالعرض مع جزيل الشكر

تحريرا فى ٢ يناير ١٩٦٤

وقرأ الرئيس الراحل الاقتراح وكتب التأشيرة

التالية كما هو مبين بصورة الخطاب المنشورة فوق هذه الصفحات . كتب جمال عبد الناصر مخاطبا الجيار :

« أوافق على الاقتراح ويمكنك مع شمس ، « يقصد شمس بدران » عمل المطلوب . »

« أولا : حصر الضباط الاحرار ــ ثانيا : ما هو موقفهم الآن ؟ امضاء : جمال »

ويقول محمود الجيار فى مذكراته :

ولكن هذه التأشيرة لم تنفذ على الاطلاق . تهرب شمس بدران من عقد أى اجتماع لانجاز المهمة لأنه كان قد حشد أصدقائه ودفعته من الضباط ممن لا صلة لهم بالثورة فى جميع المناصب العسكرية والمدنية لكى يدينون له بالولاء ــ وهو ما ذكره وتنبه له جمال عبد الناصر ما بين يونيو وأغسطس ١٩٦٧ بعد الهزيمة ، فلجأ شمس الى التسويف ثم التخويف ... تخويف الحاكم من الشعب ! ومن مؤامرات سرية وهمية !

ومضت حكاية حصر الضباط الاحرار الى بئر النسيان ولكن الى حين .

قال لى بعض الضباط الاحرار ممن التقيت بهم عام ١٩٧٢ ، وأطلعهم الجيار على تأشيرة الرئيس الراحل فرحا بالنتيجة عام ١٩٦٤ :

ــ ان التأشيرة تدعو الى التعمق فى كلماتها ، والخروج بنتائج محددة ، منها هذه المواقف :

١ ــ لماذا اختار الرئيس الراحل «شمس بدران» ليعمل معه « الجيار » فى حصر الضباط الاحرار وهو يعلم ان شمس نكل بأكثر ثوار يوليو وكان بامكانه أن

يعهد بالمهمة الى بعض الاحرار ممن بقوا فى الخدمة العسكرية أو ممن تركوا الجيش الى مناصب مدنية ويتمتعون بسمعة طيبة ؟

ويجيب هؤلاء على « سؤالهم » بقولهم :

ـ ان معنى ذلك هو الرغبة فى تجميد الاقتراح ، وليس الموافقة عليه ... لأن حصر الضباط الاحرار سيفتح على الرئيس الراحل بابا جديدا ، طالما سعى بكل جهده فى الاعوام الاولى للثورة على غلقه واحكام غلقه جيدا .

٢ ـ ان تساؤل الرئيس الراحل ... ما هو موقف الضباط الاحرار الآن ؟ يشير الى أكثر من اتجاه ، وهم يستنبطون هذا التفسير من معرفتهم بشخصية الرئيس الراحل ضابطا بالمشاة وقائدا لخلاياهم السرية قبل الثورة ، وقد احتكوا به طويلا عن قرب وفى أكثر من موقف مختلف ..

هل يعنى ما هو موقفهم الآن من النظام ، والسلطة ؟

أم يعنى ماهو «حالهم» اجتماعيا ومعيشيا وماليا ؟

ويميل أكثر الضباط الاحرار ممن ناقشوا هذه التأشيرة وقتلوها تحليلا وتفسيرا الى الاخذ بالتفسير الاول ، موقفهم من النظام ، ومن السلطة ، ومنه شخصيا ، ومن الرجل الاول مكرر كما كان البعض يطلق عليه ، المشير عبد الحكيم عامر ، ومن الصراع المقنع الدائر أو المشتعل سرا بين رئاسة الجمهورية والاتحاد الاشتراكى ، وبين القيادة العامة للقوات المسلحة واجهزة مخابراتها الحربية والعامة ... وكان

معروفا ان السيد صلاح نصر مدير المخابرات العامة يقف كثيرا فى جانب عبد الحكيم عامر !!

انقلاب يناير ١٩٧٠

ومرت الاعوام . ووقعت النكسة ، ومضى عبد الحكيم عامر الى لقاء ربه ، ولم تتوقف عملية كشف المؤامرات والانقلابات داخل الجيش منذ قيام الثورة عام ١٩٥٢ ، حتى يناير عام ١٩٧٠ ، العام الذى صعد فيه جمال عبد الناصر الى رحاب الله ، ففى يناير من هذا العام ، قبل وفاته بثمانية شهور ، قبض على عدد قليل من صغار الرتب العسكرية ، وهى القضية - رقم ٨ - أمن دولة لعام ١٩٧٠ ، المتهم فيها « نقباء حسن محمد بهجت ، ومحمد أحمد خميس ، وهشام مصطفى حسين » وغيرهم ، لأنهم ناقشوا العوامل الحقيقية التى أدت الى هزيمة يونيو ، وعذبوا ونكل بهم بواسطة بعض من ورث مهمة شمس بدران ، وحمزة البسيونى ، وأراد استمرار الدور تقربا الى قمة السلطة !

وهكذا استمر المناخ يفرز بيئته رغم الشعار الذى طرحه عبد الناصر فى نوفمبر ١٩٦٧ ، قائلا : « لقد سقطت دولة المخابرات ! ! » .

لم يطالبه أحد على الاطلاق بالغاء نظام المخابرات ، ففى كل أنظمة الدنيا أجهزة مخابرات ، ولكن مطلبنا الشرعى والمشروع هو اسقاط أسلوب التلفيق والتزييف وتجريم الاحرار !

فى جو هذا المناخ سمعت ان الرئيس عبد الناصر وكأنه يشعر بقرب نهايته كان يستدعى بعض رفاق

السلاح من ثوار الامس . المعروفين بصدقهم وصلابتهم الوطنية ، وان الحديث بينه وبينهم تطرق الى موضوعات شتى ، من بينها حصر الضباط الاحرار ، وقيل انه ذكر مؤكدا أن خزينته الخاصة التى اشتراها له السيد حسن التهامى من الخارج بمواصفات معينة تضم كشوف أسماء الضباط الاحرار فى كل سلاح ، بل وتضم أسماء الضباط الاحرار الذين هربوا ليلة الثورة ، وأسماء الضباط الذين لم تضمهم خلايا التنظيم السرى . ولكنهم بمبادرة وطنية منهم ، اشتركوا فى الثورة وقاموا بدورهم خير أداء ، ومذكرات شخصية كتبها الرئيس الراحل عن أحداث عامة تتصل بشخصيات لمعت وبرزت خلال سنوات الثورة ، ووثائق على درجة كبيرة من الاهمية التاريخية تتصل بمرحلة الاعداد للثورة عبر السنوات الاربع التى سبقت عام ١٩٥٢ ، وما بعد ذلك حتى عام ١٩٥٦ ، حين صدر قرار الرئيس بحل مجلس قيادة الثورة ، ومذكرات أخرى عن المراحل والصراعات التى تلت عام ١٩٥٦ ، كلها اختفت بواسطة سامى شرف ، بعد وفاة عبد الناصر بأيام قليلة ، وعملت بعض صنائعه فى رئاسات النيابة العامة أيامها على طمس القضية حين حقق فى السرقة ، فالكل كان فى التنظيم السرى الطليعى سواء !

***

وتولى الرئيس السادات رئاسة الجمهورية ، وكما قلت ... وفاء منه واصالة ، وحرصا على تصحيح الاخطاء شرع فى حصر الضباط الاحرار ، ولم تكن هذه العملية لتمضى فى طريقها الذى رسمه لها قبل أبعاد « سامى شرف » وأعوانه من مراكز القوى ، ذلك العمل التصحيحى العظيم الذى حدث فى ١٥ مايو ١٩٧١ ،

بعد ذلك عهد الرئيس الى مجموعة من الرجال الصادقين بالقيام بعمل الحصر ... الاحياء والاموات ... ذلك السجل التاريخي الذي أشرت اليه في الفصل الاول .

هذه هي قصة العمل الجليل العظيم الذي جاء متأخرا عن موعده عشرين عاما ، العمل التاريخي الذي قام به السادات ؛ ليرد لثورة يوليو وثائقها ، وليضع أمام التاريخ وأمام أجيال شعبنا أسماء ثوار يوليو ، هؤلاء الشباب الثائر الذين غيروا وجه التاريخ في الشرق الاوسط وافريقيا ؛ حين تحركوا رجلا واحدا ، ذات مساء ، ليحفروا فوق صفحات نضال شعبنا المصري الاصيل ، نضال مصر الموصول ابدا ، يحفروا فوقه يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، أحد الايام التاريخية البارزة التي هزت أسماع العالم أجمع ..

لقد كان موعد تسجيل هذا العمل الثوري الضخم مقرونا بمرور ستة أشهر على ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ثم تأخر الموعد قهرا ، ولكن ارادة الله شاءت تحقيقه فوق مناخ مختلف ، بعد عشرين عاما من موعده الطبيعي .

أنـور الســادات
وتنظيم الضباط الأحرار

لم تبدأ انطلاقته الثورية فى الـكلية الحربية بعد أن التحق بها عام ١٩٣٦ ، بل بدأت من قبل ... فى تلا ـ حين دعا هو وبعض رفاق المرحلة الثانوية المرحوم عبد العزيز فهمى باشا قطب الاحرار الدستوريين ليخطب فى أبناء المدينة الريفية الصغيرة « تلا » عام ١٩٣٥ ، وتكلم الطالب أنور السادات بعد عبد العزيز باشا فهمى وقال خطابا كان نغما جديدا على اذان أبناء تلا والقرى القريبة الذين تجمعوا ليستمعوا الى رجال السياسة القادمين من القاهرة .

لقد تكلم الطالب أنور السادات عن المقـاتل المصرى الفلاح ابن الارض الطيبـة واستشهد بأقوال جنرالات الانجليز وفرنسا القدامى ، مؤكدا ان المقـاتل المصرى العملاق دائما قادر على تحرير الوطن من الاحتــلال الاجنبى .

فى العام التالى مباشرة قدم الطالب أنور الســادات أوراقه الى الـكلية الحربية ، ليبدأ مشــواره الوطنى الثورى مرتديا أشرف الزى .

أنور السادات ضابطا ١٩٣٨ ـ ١٩٥٢

كان جيلا مختلفا عن الاجيال التى لحقت به ، ذلك هو جيل العشرينات .. لقد رضع أبناء هـــذا الجيل حتى شبوا وأصبحوا فتيانا أحداث ثورة ١٩١٩ ، ومن قبلها ثورة الرديف عام ١٩١٦ ، بل عاشوا فوق كل هذا واقعا مستنزفا فى وطنهم ، ذلك المجتمع المصرى الذى أخذ يترنح ويتصدع ويتمايل للسقوط . بعد أن قدم أكثر مقوماته لقوات الاحتلال البريطـــانى خلال الحرب العالمية الاولى ، الى ما بعد نهايتها عام ١٩١٨ .

فى هذا المناخ ولد القائد الرئيس محمد أنور السادات « ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ » وعاش السنوات الاولى من عمره يملأ خياله ووجدانه ، بل ويتزود كل يوم مثل أطفـال جيله بقصص الآباء والابناء مع قوات الاحتلال فى الحرب الاولى وما قدمه الوطن من شهداء ، ثم أحداث «ثورة ١٩١٩ » الخالدة ، ومحاكماتها البربرية التى أقامهـا الاستعمار وغطت أنحاء البـــلاد فى الدلتا والصعيد والاسكندرية ، بعد القضاء على الثورة ، ثم مقتل السردار الانجليزى للجيش المصرى عام ١٩٢٤ ، ونزول الجيش المصرى من السودان .

ولكن « ثورة الرديف عام ١٩١٦ » ، كانت تستحوذ فى كثير من الايام على فكر وحديث الصبى ، التلميــذ بالسنة الاولى الثانوية ، محمد أنور السادات ..

كيف ، ولمـاذا ؟

ـ فى لقاء مع بعض أصدقاء طفولته وصباه وتلاميذه أحدهم يعمل منذ سنوات فى احدى الشركات العالمية ،

والآخر تفرغ لأرضه . والبعض لازال يؤدى واجبه فى صفوف قواتنا المسلحة .. رووا عن تلك الفترة ؛ السنوات العشر الاولى من أعمارنا ، التى تنسج شخصية الانسان وتشكلها وترسم ملامحها سلوكا وبنية وادراكا.

ـ « فى صبانا ونحن تلاميذ بالمدرسة الابتدائية بقرية « طوخ دلكة » المجاورة لقريتنا ميت أبو الكوم ؛ ظل مشدودا بعواطفه الى جنود الجيش ، كلما جاء بعضهم فى اجازة الى القرية ، يقترب منهم ويجلس اليهم طويلا مستمعا الى احاديثهم ، نفس الاهتمام كان يبديه حين انتقلنا الى مدرسة فؤاد الاول الثانوية بالعباسية فى العاصمة .. » .

ولكن لماذا هذا التعلق بجنود الجيش ، وهو فى العاشرة وما بعدها من العمر ؟

يقول أحد أفراد الاسرة مفسرا ذلك الاحساس ، بأن مبعثه هو « جدة الرئيس لأبيه » ..

لقد ولدت هذه « الجدة » يتيمة الأب فقام عمها بتربيتها وقد تعلقت به كما تعلق محمد بجدته ، فكانت تروى له كل يوم عن عمها ووطنيته ، وتذكر له ادق التفاصيل ، ولم يكن هذا العم غير ضابط من أعوان « الثائر البطل احمد عرابى » الذين ضحوا بحياتهم من أجل مصر ..

ولقد كان لهذه « الجدة » تأثير بالغ فى تربية حفيدها حين تركه أبوه اليها ورحل هو الى عمله بالسودان. كما كان لأحاديثها تأثير دينى واخلاقى فى تكوينه البشرى .. ولقد ربته على كراهية الاحتلال والسلطة العميلة له ، وأرضعته حب مصر والاخلاص لها ، كما حرصت على

تلقينه يوميا دروسا فى القرآن الكريم وتفسيره ، فكان مثال الطفل المتدين المهذب المتفوق فى دروسه ، ولفترة طويلة حتى سن الشباب كان أصدقاء الطفولة ينادونه « بالشيخ محمد الضابط» حين يتوجه الى زيارة مصدر قوته واصالته وايمانه . قريته « ميت أبو الكوم » .

وفى المرحلة الثانوية ، كان الطالب محمد أنور السادات يبحث عن حقيقة ثورة عرابى ، بينما السلطة تلقن تلاميذها ان عرابى كان جاهلا ، وقد قام بأحداث فتنة فى البلاد نتيجة جهله وهمجيته ، وبتنا نرفض هذه السموم من خلال رفض « أنور » لها ، وكان يقول لنا هذه أكاذيب .. لقد روت لى جدتى عنها الكثير ولم نعدم بعض المدرسين الوطنيين الذين لمسوا فينا هذا الاحساس الوطنى ، فأخذوا يشرحون لنا حقيقة الاوضاع، وبطولة عرابى ورجاله ومعاركه ضد الانجليز وقمة السلطة العميلة لهم ... الخديوى توفيق وأسرته المالكة واقطاعييه .. ثم عرج المدرسون الأوفياء لمصر ولابنائهم الطلبة على احداث ثورة ١٩١٩ . ومن قبلها ثورة الرديف عام ١٩١٦ وقد تركت هذه القصص والاحاديث خطوطا بارزة أشبه بالاخاديد فى وجدان ومشاعر ورؤى الطالب محمد أنور السادات ، وربما هى التى دفعته الى الالتحاق بالمدرسة الحربية ، الكلية الحربية فيما بعد، ليلتقى برفيق الطريق وقائد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ..

١٢ الف مجند ثائر

ان ثورة الرديف لم تلق حتى أليوم الكفاية أو العناية الكافية من رجال الاعلام أو التاريخ لتقديمها الى الاجيال

التى جاءت بعد العشرينات وخاصة بعد قيام الثورة ، بهدف تصحيح المعـــــلومات التاريخية المزيفة فى كتب التاريخ القديمة ، والتى لقنت للأجيال السابقة .

كانت مصر عام ١٩١٦ وكل مواردها وثرواتها من الرجال والمحاصيل الزراعية تقدم فى سهولة ويسر الى قوات الاحتلال البريطانى لخدمة جنودها فى ســـيناء والعراق وفلسطين والدردنيل وفرنسا ، خلال الحرب العالمية الاولى .

وفى ١٦ يناير عام ١٩١٦ أصدر اسماعيل سرى باشا وزير الحربية بناء على ترخيص من مجلس الوزراء قرارا بطلب جميع الرجال الموجودين «بالرديف» أى الاحتياطى للخدمة العســـكرية ما عدا المستخدمين منهم بمصـــالح الحكومة استجابة لطلب قائد الجيش البريطانى .

وقد جمعت الحكومة المصرية اثنى عشر الفــا من الرجال ، جندتهم من أنحاء البلاد وعوملوا أسوأ معاملة وكان الغذاء يقدم لهم مرة كل اسبوع فاسدا أو قليلا فتجمعوا فى أول مظاهرة احتجاج لهم أمام قصر عابدين قادمين من معسكراتهم فى عين شمس ، وجاء اليهم رئيس الوزراء ووعدهم بالاستجابة الى مطالبهم . ولكنه كان وعدا كبقية وعود تلك الفترة من حكم مصر . ولذلك عاد الجنود مرة أخرى اكثر ثورة وأكثر التحاما ، الى ميدان عابدين فصدرت الأوامر باطلاق الرصاص عليهم ، وسقط عشرات منهم شهداء فى ساحة الميدان ـ وتفرقوا بعد ذلك بالارهاب وظلت هذه الثورة حديث الجماهير والفلاحين وكانت « ثورة الرديف » كما قال الرئيس السادات ، هى الارضية الجماهيرية التى اطلقت بعد ثلاث سنوات ثورة مصر الوطنية الكبرى فى ٩ مارس عام ١٩١٩ ،

وقد عادت الى خياله فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢. وهو يخترق متقدما العربات المدرعة ميدان عابدين للسيطرة على وزارة الداخلية ، فقرأ الفاتحة مترحما على أرواح شهداء ثورة ١٩١٦ . ولم يدر أحد من الضباط الاحرار حوله سر قراءته الفاتحة أمام قصر عابدين .. حتى حدثهم بها - أثناء عودتهم الى القيادة العامة بكوبرى القبة بعد انتهاء مهمتهم .

ولقد روى الرئيس السادات ضمن ما رواه فى ذكرياته وتاريخه النضالى - ديسمبر ١٩٧٥ - كيف وعيت ذاكرته وهو فى السادسة من العمر حادث قتل السردار الانجليزى « سير لى ستاك عام ١٩٢٤ » وعودة الجيش المصرى من السودان ، وعودة أبيه الذى كان يعمل هناك مع الوحدات المصرية العسكرية بالخرطوم الى القاهرة ، وكيف أصبح يعشق سماع مواويل زهران بطل دنشواى ، وأدهم الشرقاوى ، ثم انتقاله للاقامة مع أبيه فى منشية الصدر بحمامات القبة فى العاصمة وحديث الأب عن الثائر التركى كمال اتاتورك وثورته فى تركيا ، وتعلق الابن بسيرته ثم اشتراك التلميذ أنور السادات فى المظاهرات الشعبية عام ١٩٣٠ - ضد اسماعيل صدقى باشا - لأنه الغى الدستور ..!

« وتعلمت وقتها وعمرى ١١ سنة أن رئيس الوزراء اسمه صدقى ، وانه الغى الدستور ، وهتافنا ضده كلمة واحدة « الدستور - الدستور » وأنا لا أعرف ما هو هذا الدستور ... وكانت المرة الأولى لاشتغالى بالسياسة ، ثم اشتركت فى مظاهرة أخرى ضد وزير خارجية لندن التى تحتل قواته بلادنا وكنت فى نهاية المرحلة الثانوية » .

وفى لقاءات حرصت عليها مع بعض أبناء تلا وبعض زملاء المرحلة الثانوية ، ثم مرحلة المدرسة الحربية — عرفت انهم كشباب لم تكن لهم حياة خاصة ، كانت مصر كل حياتهم وغرامهم ، وقضية سيادة مصر واستقلالها تملأ كل اهتماماتهم ، وفى منتصف الثلاثينات يتجمعون فى تلا أو ميت ابو الكوم أو القاهرة ، وكل منهم يقترح أو يطرح وعاء يحتوى طاقاتهم وانشغالهم بالقضية الوطنية ، كانوا فى السابعة عشر او فوق ذلك بقليل ولكنهم كشباب جيلهم أعطوا مصر وقضية خلاصها من الاحتلال كل طاقاتهم ، فتوجهوا بكل النقاء الى الاحزاب والهيئات السياسية يحاولون الانضمام اليها وممارسة النشاط الوطنى أو الفدائى معها اذا تطلب الأمر ذلك . ولكنهم صدموا جميعا حين أدركوا ان الكثير من المشتغلين بالعمل السياسى لايفعلون شيئا غير رفع الشعارات وترديدها فقط واستغلال هذه المظهرية فى الحصول على المال والمنصب والنفوذ ..

ذات يوم جمع « أنور السادات » عددا من زملائه عام ١٩٣٥ وتوجهوا الى « تلا » على نفقتهم الخاصة لمناقشة « المرحوم عبد العزيز باشا فهمى » وكان قد جاء المدينة ليخطب فى أبنائها كما قلت فى بداية هذا الفصل ، ثم وضح بعد ذلك ان الطالب أنور السادات وبعض زملائه كانوا خلف زيارة قطب الدستوريين الاحرار ، للالتقاء بجماهير بلدتهم بوحى من اهتمام هذه المجموعة الصغيرة من الشباب الوطنى المتحمس لقضية الأرض المصرية واسترداد سيادتها ، قبل البحث عن الخبز ، كما كانوا يطرحون من أفكار ثورية تضيع بين الزحام المفتعل لمحترفى الاشتغال بالقضية الوطنية .

وتكلم « الطالب أنور السادات » خطيبا أكثر من مرة وكان حديثه ذا نغمة جديدة على الاذان . اذ دأب على الحديث فى المعارك التى خاضها الجيش المصرى ، ثم يستشهد بما قاله قادة الانجليز عن المقاتل المصرى الفلاح ابن هذه الارض الطيبة . فى حملة فريزر على رشيد ، ومعركة الاسطول المصرى فى نفارين « جنرال ستيوارت » الذى قال : « ان الجنود المصريين لا يكترثون بالمصائب عندما تسقط فوقهم أثناء القتال » وجنرال كودرنجتون البحرى : « لقد أصابنا من الجنود المصريين والسفن المصرية أكثر مما كنا نتوقع وأكثر مما نحتمل » .

وكان واضحا فى صيف ١٩٣٥ ان الطالب محمد أنور السادات سيحاول الالتحاق بالمدرســــة الحربية حين فتحت القيادة الانجليزية فى مصر باب الالتحاق بالمدرسة أمام أبناء الشعب البسطاء لامتصاص غضب الجماهير المصرية ولتنفذ خطة استعمارية أعدوها سرا ، وكان أنور السادات أحد الذين طبقت عليهم الخطة الاستعمارية فذهب الى الصحراء الغربية بعد تخرجه ضابطا برتبة ملازم ثان فى ٦ فبراير عام ١٩٣٨ . ثم الحق به الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بعد أربعة شهور من تخرجه.

كانت بريطانيا تخطط استراتيجيا للحصول على جيش مصرى شاب قوى يتخرج فى المدرسة الحربية بعد فتح أبواب القبول أمام الطبقات الشعبية الفقيرة عام ١٩٣٦ لكى تدفع به الى شمال افريقيا الدفاع عن مصالحها الاستعمارية فى المنطقة .. وكان هذا سرا وقتها .

لقد اقترن عام ١٩٣٥ و١٩٣٦ بأزمة الحبشة وايطاليا كما اقترن بالحرب الاهلية فى اسبانيا ، وقام هتلر يهدد فى المانيا وكان طبيعيا أن تتوقع لندن مواجهة أزمة دولية

نتاجا لهذا المناخ ، قد تدفعها للدخول فى معارك حربية ، فتصورت دورا للجيش المصرى وقد تزود بشباب جدد تدفع به وهى المسيطرة على مصر الى اية معركة قادمة للدفاع عن استعمارها فى افريقيا شمالا والشرق العربى جنوبا ، ولذلك أرسلت بالمتفوقين ممن تخرجوا عام ١٩٣٦ و ١٩٣٧ الى بعثات عسكرية فى انجلترا ، كما ارسلت بالمجاميع الجيدة من الضباط المصريين الذين تخرجوا فى أعوام ١٩٣٨ و ١٩٣٩ الى الصحراء الغربية ومنطقة القناة والحرب العالمية الثانية تدق الابواب .

مصرى فى رئاسة الاركان

تخرج أنور السادات فى ٦ فبراير عام ١٩٣٨ ، وفى رأسه أحلام وطنية كثيرة ونفس عامرة ايمانا بالعسكرية المصرية وقدرتها على أداء دور وطنى فى سبيل خلاص مصر .... غير ان رؤى ضابط حديث السن تبلورت فى بداية الخدمة حول تمصير كل ما هو عسكرى مصرى واسترداد السيادة المصرية على كل قطعة أرض عسكرية أو معدة قتال يملكها الجيش المصرى .

وكان على رأس الجيش تلك الايام « رجلان » برزا فى تاريخ العسكرية المصرية ، أولهما اللواء المرحوم محمود شكرى باشا وقد تولى رئاسة أركان حرب الجيش المصرى فى بداية عام ١٩٣٧ وبدأ عمله بمباحثات عسكرية مع « ميجر جنرال جيمس مارشال كورنوال » رئيس الجانب الانجليزى لتجهيز القوات المصرية بمعدات الحرب الميكانيكية واستقلال قياداتها ولم يكن الانجليز فى مباحثاتهم جادين ، خاصة وان رئيس الجانب الآخر « اللواء محمود شكرى » هو أول قائد مصرى ينتزع

رئاسة أركان حرب القوات المصرية من جنرالهم الانجليزى « سبنكس باشا » بعد أن ظل مسيطرا عليها ١٣ عاما كاملة ــ ولذلك دخلوا معه فى صراع طويل أحرز القائد المصرى خلاله عدة انتصارات ؛ فأنشأ مدرسة الضباط العظام ؛ ومدرسة أركان حرب ، وسلاح الصيانة الملكى وكان « حدثا » بالنسبة لمعدات الجيش وحاجتها الملحة الى الصيانة الدائمة وآلاى مدفعية سواحل جديدة . وعدة مدارس عسكرية لصف ضباط ، كما انتزع عددا من الطائرات الانجليزية ، زود بها سلاح الطيران المصرى وكانت هذه الاعمال الوطنية محل تقدير اكبار واهتمام ومتابعة الضباط الوطنيين صغار السن ، غير أن القيادة الانجليزية خشيت من استفحال هذا التيار الوطنى بين قيادات جيش مصر وضباطه ، فعملت على استصدار قرار ملكي باحالته الى المعاش فى نهاية اغسطس عام ١٩٣٩ ، وقد ترك خلفه مناخا وطنيا عريضا .

هذا عن الرجل الاول .. أما الرجل الثانى ، فهو المرحوم الفريق عزيز المصرى باشا ، وقد تولى منصب المفتش العام للجيش المصرى فى نهاية الشهر السابق على تخرج الرئيس السادات بالكلية الحربية ، أى فى ١٩ يناير عام ١٩٣٨ ، وذلك كما هو وارد فى ملفه العسكرى رقم « ٢٢٣٥ » ولقد ظل هذا الملف يتنقل بين قيادة الجيش ورئاسة اجهزة البوليس السياسى وممثل القيادة البريطانية حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فعاد الى مكانه الطبيعى بادارة شئون الضباط بعد أن اختفت منه أهم الاوراق والتقارير والمعلومات العسكرية التى كانت تحمل اسم المرحوم الفريق عزيز المصرى . وخاصة فى فترة الثلاثينات حتى بداية الخمسينات ، وكما هو معروف لدى قطاعات الشعب عن وطنية الرجل وتحمسه

لأى عمل وطنى جماعى يخلص البلاد من الملك والاستعمار البريطانى ، أصبح معروفا منذ بداية الثورة أن أجهزة البوليس السياسى وخاصة جماعات الملك السابق هى التى انتزعت أوراق وتقارير « عزيز المصرى » من ملفه العسكرى رقم «٢٢٣٥» وبات من المستحيل استردادها بعد عام ١٩٥٢ ، أو الوصول الى مكان اخفائها .

ولقد أسند منصب رئيس أركان حرب القوات المصرية الى الفريق عزيز المصرى بعد ترقيته الى رتبة فريق فى ٢٠ أغسطس عام ١٩٣٩ ، وتولى المنصب الجديد فى ٢٧ أغسطس من نفس العام خلفا للواء محمود شكرى وكان توليه هذه القيادة بداية جديدة لسلسلة طويلة من الوقوف فى وجه القيادة البريطانية ومحاولات سيطرتها ، وقد برز أسم « الضابط ملازم محمد أنور السادات » بين الشباب من العسكريين كزعيم لهذه الموجة الوطنية المتدفقة على وحدات الجيش ، وبات اسم « السادات » حديث الضباط دون أن يروه أو يلتقوا به — وفى احدى زيارات المرحوم الفريق عزيز المصرى للقوات المصرية فى الصحراء الغربية ، سأل أحد مساعديه الملازم أول محسن متولى :

— هل سمعت عن أسم محمد أنور السادات ؟

— نعم انتا دفعة واحدة ..

وتساءل رحمه الله فى مكر مكشوف :

— وهل صحيح ما يشاع عنه ؟

— نعم ..

— اذن ابحث عنه ، وعد به ، اننى فى شوق لمعرفة هذا الوطنى الصغير ..

كانت بداية طريق ثورى طويل .. ولقاء زاخر متجدد بالقوة والارادة والايمان بأن شباب مصر قادر على خلاصها .

رفض السيطرة الاجنبية

كان رفضه حاسما حادا لسيطرة الضباط الانجليز على وحدات الجيش المصرى ـ وقد روى لى كثير من رفاق السلاح عن هذا الرفض الوطنى المشفوع بالانضباط العسكرى فى الوحدات التى خدم بها حتى ان الفريق عزيز المصرى قال ذات يوم بعد ان أحيل الى المعاش : « ان الانجليز سيحتارون فيه ، وأعتقد انهم لن يتمكنوا منه ، ولن يدعهم هو يفعلون به ما يريدون » .

هذه القصة رواها لى « اللواء محسن متولى » عام ١٩٦٩ أحد مساعدى الفريق عزيز المصرى فى الاربعينات كما ذكر لى أكثر من رفيق سلاح ان عزيز المصرى كان يصف السادات بأنه « مؤسس الوطنية المصرية بين ضباط وجنود الجيش المصرى ، ويدعوهم الى التعرف به والالتقاء معه كثيرا » .

ولقد خدم السادات كضابط مشاة أول عهده بالعسكرية المصرية بالاورطة الرابعة مشاة بالمكس فى الاسكندرية وهذه معلومة لايعرفها الكثير من الضباط ، ثم انتقل الى الاشارة فى القاهرة ومنقباد ، فالصحراء الغربية مرتين وأخيرا بكتيبة الاشارة بسلاح الحدود ، وبعد عودته للجيش عام ١٩٥٠ خدم فى رفح ، وسيناء حتى عاد ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ الى القاهرة .

قالوا عنه

حين أحال الملك ـ الفريق عزيز المصرى الى المعاش فى نهاية عام ١٩٤٠ جاء باللواء ابراهيم عطا الله باشا ياوره الخاص الى رئاسة الاركان حرب وكان لهذا القرار أكبر الاثر لدى السادات ولدى كل ضابط وطنى، فعمل

هو ورفاق السلاح على تكوين « رأى عام » ضد هـذا التصرف الملكى بين الوحـدات العسكرية وبين دوائر معارفهم من المدنيين كالاقارب والاصـدقاء وظل هـذا « الرأى العام » ينمو ويشمل أخطاء الملك نابها .

كان أنور السـادات قبل اخراجه من الجيش كرشبة الانجليز والملك فى ٨ أكتوبر عام ١٩٤٢ . يرفض أن يقوم الضابط الانجليزى بالتفتيش على وحدته العسكرية . ويصمم فى ارادة حديدية على أن يكون الضابط الانجليزى فى صحبة ضـابط مصرى وللحق كان هناك بعض كبار الرتب من الضباط المصريين يشجع هـذا العمل سرا ، ولقد اهتزت القيادة العليا المصرية بادىء الأمر ثم أذعنت بالرغم منها وانتشر هذا السلوك الوطنى بين الوحـدات العسـكرية الاخرى الـكثيرة ، فطلبت أجهزة البوليس السياسى معلومات عن هذا الضابط الاسمر أنور السادات ومن يتبعه من زملائه فى مختلف الاسلحة .. ولكنه لم يتهدد ولم يلن قط ولم يتراجع وكانت كلها مؤشرات ثورية ..

واستمرت لقاءاته بالجنود كثيرة وعديدة وكلها دروس فى الوطنية والتوعية السياسية . وقد ذكر لى الفريق جمال عسكر أن عددا كبيرا من صغار الضبـاط كانوا يحضرون هذه الاجتماعات بحب ورغبة ونزعة وطنيـة وقد جنـد منهم القادرين على الحركة والانتشار لنشر هذه الافكار وعقد لقاءات مماثلة فى الوحدات العسكرية المجاورة لنا ..

وعلى المستوى العسكرى ظل السادات حريصا على الارتفاع بمستواه الفنى الى مستوى ضـباط البعثـة

الانجليزية التى تقوم بتدريب سلاح الاشارة وقد اعتاد أن يدخل معهم فى مناقشات فنية حول تطبيقات معدلات اللاسلكى وأحب الانجليز هذه المزايا الفنية فيه رغم كراهيتهم له سياسيا وعاش ضابطا بالاشارة ميالا للابتكار وتطوير أجهزة وحدته الدقيقة . وما مل الاستقصاء والمعرفة أبدا ، وما بخل بوقت أو جهد يعطيه لزملائه من الضباط الجدد حتى أسندت اليه القيادة أول قسم ثابت لاشارة لواء مشاة وكان انشاء هذا القسم حدثا مثيرا فى جيشنا تلك الايام .

وفى الصحراء الغربية والقوات المصرية تعمل هناك أيام الحرب العالمية الثانية ، كان النقيب أنور السادات يقود حركة تمرد ضد القيادة البريطانية التى عملت على استغلال كل مقاتل مصرى وتعريضهم لغارات الطائرات والمدفعية الالمانية من أجل تلقى الصدمات والخسائر فى الارواح بدلا من القوات الانجليزية ، فأصدرت القيادة الانجليزية قرارا بتسليم القوات المصرية أسلحتها الى الوحدات البريطانية وعلى الفور استطاع السادات أن يطوف بزملائه وأن يقنعوا قادتهم برفض هذا القرار ، وأن يضعوا خطة سرية مشتركة لتنفيذها اذا حاول الانجليز نزع سلاح القوات المصرية بعد ذلك .

كانت الخطة تقتضى توجيه المدفعية الثقيلة الموجودة بين أيدى الجنود المصريين نحو مخازن الذخيرة الانجليزية ومواقع الشئون الادارية التابعة لها وتدميرها اذا لم تتراجع القيادة البريطانية عن مطلبها وتسمح للوحدات المصرية بالعودة الى القاهرة بكامل أسلحتها ما دام التعاون وفقدان الثقة بينهم وبين الانجليز فى ميدان العمليات قد تعذر أو بلغ هذا الحد .

ولقــد نجح الضــباط المصريون الوطنيون فى وقفتهم الشامخة الصلبة ، وعادوا مع جنودهم بكامل أسلحتهم الى معسكراتهم بالعاصمة .

وجاءت مرحلةجديدة، مارس فيها الضباط الوطنيون من صغار الرتب ــ الضباط الاحرارفيما بعد ــ مارسوا فيها نشاطا عمليا كان أشبه باختبار امكانياتهم ...

وأنا أعود هنا الى ذكريات الرئيس الســادات التى أشرت اليها قبل سطور ، تلك التى رواها فى ديسمبر ١٩٧٥ « الجزء الاول من الذكريات » ..

« عام ١٩٣٩ ، كنا قد بدأنا فى اقامة التنظيم السرى للضباط الاحرار، ولــكنه كما كتبت فىجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣، لم يكن قائما علىنظام الخلايا ، لم يكن تنظيما بمعنى التنظيم ، والاحداث العــالمية تتوالى ، غير ان تنظيمنا كان قائما على العلاقات الشخصية بين الضباط الاصدقاء ، وتوالى الاحداث العالمية أمامنا يدفعنا للعمل كتنظيم ، خاصة عندما جاء روميل الى العلمين، وعرفنا أيامها ان مصر ستكون من نصيب ايطاليــا حين تتقدم الجيوش الالمانية والايطالية نحو الاسكندرية فالقاهرة» .

« وبدأنا نفكر ، وقررنا الاتصال بروميل لــكى يعرف ان فى مصر حركة وطنية ضد الاحتلال البريطانى ، ونحن على استعداد للحرب معه بشرط ألا يستبدل الاحتلال البريطانى لمصر باحتــلال ايطالى ، وعلى الفور صــورنا جميــع المواقع العســكرية الانجليزية فى بلادنا وقررنا ارسالها الى روميل عن طريق الجو كدليل على حسن نوايانا وبواسطة أحد أعضاء التنظيم ، المرحوم طيــار أحمد سعودى ، كان التنظيم يضم أيامها عبد اللطيف

بسدأدى . وحسن عزت ، وحسن ابراهيم ، وأحمد سعودى . وكلهم من الطيران ... »

ويمضى الرئيس السادات فى قصته التى انتهت باستشهاد الطيار احمد سعودى بواسطه المدفعيه الالمانيه المضاده للطائرات . وهى قصه سنعود اليها بالتفاصيل حين نتعرض لحركة الضباط الاحرار بسلاح الطيران فى صفحات قادمة من الكتاب .

نعود الى التنظيم ، وبداية تكوينه ، لنعرف كيف جمع بين السادات ضابط الاشارة ، وبين ضباط الطيران من الشباب الثائر . وكيف تركه السادات ليتولى قيادته بعد ذلك الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، كما قال الرئيس السادات فى الجزء الثانى من ذكرياته ـ ديسمبر عام ١٩٧٦ : « لقد تركت العمل صيف عام ١٩٤٢ ، نتيجة الاعتقال ، وجاء عبد الناصر وتولى فى نهاية العام ، واحتفظ بأعضاء الهيئة التأسيسية التى لم تكن قد تحولت بعد الى مجلس قيادة الثورة .

احتفظ بالبغدادى ، وحسن ابراهيم ، وخالد محيى الدين ، وبدأ عبد الناصر يعمل فى تكوين خلايا التنظيم » .

هذه هى القصة التى ذكرها الرئيس السادات بتركيز واختصار ، وقد حرصت على التنقيب فى تفاصيلها حتى تكتمل الصورة أمامى ، باحثا عن اجابات لعدة أسئلة رئيسية ... كيف التقوا فى البداية ؟

أين ذهب الطيار حسن عزت ؟

كيف انضم اليهم ضابط الفرسان خالد محيى الدين ؟

كيف التقوا بالرئيس أنور السادات ؟

ومن الذى قاد عبد الناصر اليهم أو قادهم اليه ؟

لقد اكتشفت فى جولة بحثى بين نوار يوليو ان بين زملاء دفعة الرئيس انور الســادات ، الضــابط الثائر بكباشى عبد المنعم عبدالرءوف ، هكذا كانت رتبته عند قيام الثورة ، وقد انضم عبد المنعم عبد الرءوف الى سلاح الطيران ، وكان شابا متدينا مؤمنا مثل زميل دفعته أنورالسادات، جمع بينهما التدين والايمان بالله وبضرورة خلاص مصر من الاحتلال البريطانى ومن يسانده من حكام مصر وباشواتها ، وقد قاد الطيارعبد المنعم عبد الرءوف زميل دفعته ضابط الاشارة أنور السادات الى لقاءات تعددت مع زملائه الطيارين الذين يؤمنون بفكر واحد . وآمال واحدة ، فضلا على تقارب أعمارهم وأحلامهم ، وهم المرحوم الطيار أحمد سعودى ، وحسن ابراهيم ، وعبد اللطيف بغدادى ، وحسن عزت ، وكانت بداية التجمع الثورى ونشوء الفكر الوطنى المتحــرر الرافض لمقاييس الحكم الملــكى وأعمدته التى تسانده وهى فى الدرجة الاولى قوات الاحتلال البريطانى فى مصر . وكان هؤلاء الثوار من صغار الضباط خلف فكرة الاتصــال بالفيلد مارشال روميل ، وارسال صورالمواقع العسكرية الانجليزية المنتشرة فى أنحاء المملكة المصرية اليه عن طريق الطيار المرحوم أحمد سعودى الذى سقطت طائرته قبل أن يصل الى القوات الالمانية فى الصحراء الغربية ، بينما نجح «صول» فى اليوم التالى قادطائرة استكشاف للبحث عن طائرة سعودى ، نجح فى الوصول الى الالمان ، وفضل البقاء معهم حتى دخلت قوات الحلفــاء برلين فى نهاية الحرب فأعادوه الى مصر وحوكم وصدر الحكم بسجنه ١٥عاما وتغريمه ثمانية آلاف من الجنيهات ثمنا للطائرة المصرية التى هرب بها ، وبقى فى السجن حتى قامت الثورة وأخرجه عبد اللطيف بغدادى من السجن !

وحين قبض على الضابط الثائر اليوزباشي محمد أنور السادات ، قبض فى الوقت نفسه على الضابط الثائر الطيار حسن عزت وكان برتبة ملازم أول ، وكان الاثنان يعملان معا فى الاتصال بالقوات الالمانية لاسلكيا وهى القضية المعروفة التى أشار اليها الرئيس السادات بالتفصيل فىحديث الذكريات ــ الجزء الاول ــ ديسمبر عام ١٩٧٥ « قضية عوامة الراقصة حكمت فهمى ... والجواسيس الالمان » .

ووضعوا الضابط أنور السادات فى ميس ضباط المدفعية ــ فقد كان محرما وضع اى ضابط مصرى فى حالة التحقيق معه أو تحت التحفظ قبل ادانته داخل السجون ، ذلك أسلوب لم يطبق بين ضباط الجيش المصرى الا فىنهاية عام١٩٥٢ ، وبعد قيام الثورة للأسف!

لقد وضعوا « السادات » فى ميس المدفعية تحت حراسة ضابط المدفعية نقيب محمود ماهر الرمالى محافظ سوهاج حتى عام ١٩٧٢ ، وهو زميل دفعة السادات فى الوقت نفسه ، كما وضعوا الطيار حسن عزت فى ميس الفرسان تحت حراسة ضابط الفرسان ملازم أول خالد محيى الدين ، ومن هنا نشأت أولعلاقة بينه وبين الضباط الاحرار فى الطيران ، الذين قرروا التحرك فور القبض على زميليهما فى النشاط السرى أنورالسادات ، وحسن عزت ، ولقد روى لى تفاصيل هذه المرحلة السيد عبد اللطيف بغدادى عضو مجلس قيادة الثورة قائلا :

ــ « بعد القبض عليهما ، كان الزميل الطيار محمد وجيه أباظة قد انضم الينا ، وقررنا أن تقوم بتهريبهما ، أنا أقوم بتهريب الرئيس السادات ، ووجيه أباظة يقوم

بتهريب حسن عزت ، وذهب وجيه أباظة الى خالد محيى الدين الذى يتولى التحفظ أو الحراسة على « حسـن » وفاتحه فى الامر مخاطبا فيه مشاعره الوطنية ، فرحب على الفور ، وعندما بلغ السـادات وحسن عزت نبـأ اعتزامنا تهريبهما اعتذرا وقالا ان الانجليز سيطلقون عليهما النار اذا ضـبطا بعد الهرب للتخلص منهما بلا محاكمة ، وانهما يرحبان بالمحاكمة بدلا من الهرب الذى قد يودى بحياتهما اذا عثروا عليهما، وهو احتمال لابد من وضعه فى الحساب ، واقتنع ثوار الطيران ، واكتفوا بالوقوف الى جانب أسر زملائهم خلال فترة الاعتقال ، وبدأت علاقتهم بخالد محيى الدين ضابط الفرسان الذى التحم بهم وقاد اليهم بعض زملائه فى السـلاح ، مثل جمال منصور وكيل وزارة الخارجيـة سـابقا ورئيس مكتب العلاقات المصرية ـ السورية فى دمشق حاليا ، وهو الذى جاء بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر اليهم بالاشتراك مع زميله خالد محيى الدين، وبدأ عبد الناصر بأسلوبه وشخصيته وأقدميته فى الرتبة يسيطر عليهم ويتولى قيادتهم ضباط الطيران والفرسان فالمشاة ، وهى مرحلة أخرى سنتعرض لها فى صفحات قادمة عن حركة الاحرار فى المدرعات والمشاة والمدفعية .

هـذه الجزئية الصغيرة تفسر لنا قول السـادات : « لقد تركت العمل صيف عام ١٩٤٢ ، وتولى عبد الناصر فى نهاية العام واحتفظ بأعضاء الهيئة التأسيسـية ، بغدادى ، وحسن ابراهيم ، وخالد محيى الدين ، وأخذ يشكل الخلايا السرية للتنظيم » .

ومرت أعوام عصيبة ما بين أعوام ١٩٤٢ و ١٩٤٩ ، اعتقل السادات خلالها فى معتقلات المنيـا والزيتون ، وسجن الاجانب ، ثم هرب فى نهاية عام ١٩٤٤، فطورد

من المخابرات الحربية الملكية المصرية ، ومن الاجهزة السرية التى أنشأها الملك لتعقب مثل هؤلاء الثوار ، كالحرس الحديدى مثلا ، ومن المخابرات البريطانية وأعوانها « كاخوان الحرية » من المصريين للأسف ، ثم سقطت الاحكام العرفية ، فى سبتمبر عام ١٩٤٥، وقام على الفور بتأسيس جناح مدنى للثوار الاحرار بين شباب الجامعات المتحمس للعمل الفدائى الوطنى ، وقد ضم هذا الجناح « المهندس عمر » الشقيق الاصغر للمرحوم الطيار أحمد سعودى ، غير انه ما لبث أن قبض البوليس السياسى على هذه الجمعية السرية أو الجناح المدنى للضباط الاحرار ، الذى قام بعدة عمليات فدائية ضد القوات البريطانية ، أصابت قيادتها برعب شديد ، وبالتالى فكروا فى التخلص من أعوان الانجليز فى مصر ، فأطلق أحدهم وهو الثائر القديم حسين توفيق النار على أمين عثمان باشا وزير المالية الوفدى ، وأحد عيون ورجال الاحتلال البريطانى المخلصين ، واعترف حسين توفيق على أنور السادات ، فجاءوا به الى السجن مرة أخرى فى يناير عام ١٩٤٦، وبقى به ٣١ شهرا ، وغادره فى نهاية يوليو عام ١٩٤٨ ، بعد أن صدر الحكم ببراءته.

كانت قصة الضابط الاسمر الثائر أنور السادات على كل لسان فى أسلحة الجيش المختلفة بين الضباط والجنود ، وبين جماهير الشعب التى تعاطفت معه والأسر الارستقراطية ممن قرأوا قصة المحاكمة ، محاكمة هذه الجمعية السرية ، وأعجبوا بثورة المتهم أنور السادات حين وقف غاضبا ثائرا فى قفص الاتهام ، صارخا بقوله :

ـ « اننى أفضل الشنق على أن أقف وأستمع الى

النائب العام وهو يسحب الكلام الوطنى الذى قاله ممثل النيابة أمس حين هاجم الاستعمار البريطانى لبلادنا » .

ولقد اهتمت الصحافة المصرية بقصة الثائر الشاب أنور السادات وأبرزت مراحل نضاله وكفاحه وقصة حياته ، مما ساعد على تعقبه وفرض رقابة سرية كاملة عليه ليل نهار .

وجاء عام ١٩٤٩ ، وقد تحول أنور السادات للعمل الصحفى ، ثم عثر على شقة مناسبة بشارع مصر والسودان فاستأجرها هربا من سكنى البنسيونات ، وكانت هذه الشقة تعلو محلا تجاريا صغيرا لتجارة الخردوات يملكه شاب اسمه « سعد منصور » وهو الشقيق الاكبر لضابط الفرسان الثائر جمال منصور .

وفى هذا المحل وفى أكثر امسيات الاسبوع كان جمال عبد الناصر بعد عودته من الجولة الاولى فى الفالوجا عام ١٩٤٩ ، يلتقى بجمال منصور وخالد محيى الدين وحسن ابراهيم وعدد قليل من أبرز ضباط المشاة والمدرعات ، واذا بعبد الناصر يشاهد ذات عصر بينما هو جالس الى « كيس » المحل كعادته زميل المرحلة الاولى من الخدمة العسكرية فى منقباد والصحراء الغربية والقاهرة ، أنور السادات يغادر باب البيت الملاصق للمحل ، محل الخردوات .

والتقى عبد الناصر بالسادات مرة أخرى ، وعرف أنه يسكن أعلى المحل ، وكانت بداية لتجدد العلاقات واللقاءات والنشاط السرى ، ومن هذا المحل خرج ثانى منشور ثورى بتوقيع الضباط الاحرار وباشراف جمال عبد الناصر ، وكان المنشور الاول الذى حمل توقيع

الضباط الاحرار قد أصدرته مجموعة أخرى من الثوار داخل سلاح الفرسان يقودها الضابط الثائر سعد عبد الحفيظ ، وعلم الرئيس الراحل بحكاية هذا المنشور والتشكيل السرى الذى أصدره ، فأوكل الى خالد محيى الدين ضابط الفرسان فى الوقت نفسه ، أن يفاتح زميله سعد عبد الحفيظ وبقية رفاقه فى توحيد العمل السرى تحت قيادته ، ونجح خالد فى ذلك ، وهى مرحلة كما سبق وقلت سنتعرض لها فى الجزء الخاص بالفرسان أو احرار المدرعات بين صفحات هذا الكتاب .

ومضى عام ١٩٤٩ ، وعاد الرئيس السادات الى الجيش المصرى فى ١٥ يناير ١٩٥٠ ، وصدر القرار بنقله بعيدا عن القاهرة ، ليخدم فى العريش ثم رفح حتى ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ، التى استقل فيها قطار غزة عائدا الى العاصمة ويقوم بدوره ليلة الثورة ، وهو دور رواه الرئيس السادات بكافة التفاصيل ، فى حديث الذكريات الجزء الثانى « ديسمبر ١٩٧٦ » .

الضباط الأحرار في الطيران

حوار مع قائد الجناح عبد اللطيف بغدادى يوليو ١٩٧٥

بداية ، يروى لنا ثائر الطيران القديم عبد اللطيف بغدادى بعد طول صمت ، قصة نشوء الفكر الثورى فى الجيش المصرى مع بداية الاربعينات ، ودور ضباط الطيران فى الخروج بالعمل الوطنى من دائرة النقاش الى مجال التطبيق ، قبل أن يظهر الرئيس جمال عبد الناصر ليقود تجمع الثوار فى تنظيم واحد ، وهى مرحلة من أهم مراحل العمل بفكرة التغيير داخل الجيش ، ثم على مستوى مصر بأكملها ، تلك التى عاشها شباب مصرى يافع من صفار الرتب العسكرية فى العشرينات من أعمارهم مع بداية الحرب العالمية الثانية .

مرحلة نضال متصل مستمر ، لم يتوقف ولم يهدأ ، حتى توجوه بالعمل الخالد ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

هل تذكر متى ظهر اهتمامكم بالقضية الوطنية وأين كنتم ؟

ــ عام ١٩٣٥ ، وكنت طالبا بالمرحلة الثانوية بالمنصورة ، جيل اكبر من عمره ، تميزه الجدية والخشونة والاهتمامات الوطنية فى صبانا كنا نسمع قصة ثورة ١٩ ، التى ولد أكثرنا خلالها ، والمحاكمات الانجليزية لجماهير الشعب الثائر ، واعدام المواطنين

بالعشرات ، وسجن وجلد المئات من أقصى الصعيد حتى الإسكندرية ، وأورثتنا هـــذه القصص كراهية مطلقة للاحتلال البريطانى ، وشحنتنا دائما بالمشاعر الوطنية ، والتجمع من أجل عمل شيء ندافع به عن كرامتنـــا وحريتنا .

كانت أحلام وآمال شباب فى الخامسة عشر من العمر او أكثر قليلا ، ولكنها تملأ رءوسنا وحياتنا الخاصة ، وكان حرص هذا الجيل على ممارسة الرياضة البدنية كبيرا ، ربما كنا نفرغ طاقاتنا فى الهوايات الرياضية ، كما كان حلم كل شاب أن يلتحق بالجيش ضابطا .

فى نهاية عام ١٩٣٥ ، ســمع الشعب بقصــة فتح أبواب المدرسة الحربية أمام أبنـــاء الفقراء والبسطاء من الجماهير ، وكان حدثا مثيرا اذ نشرت الصحف يومها انها قبلت أكثر من اربعين طالبا .

ووقعت انجلترا مع مصر معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وفى نهاية العـــام أعلنت المدرسة الحربية عن قبول دفعة جديدة من الطـــلبة المصريين ، واستمر تدفق الشباب المصرى على المدرسة حتى التحقت بها فى سبتمبر عام ١٩٣٧ وتخرجت « طيارا ثانيا » فى يناير ١٩٣٩ .

لقد قدمت أوراقى فى المدرسة الحربية ، ومدرســة الشرطة ، وكلية الزراعة ، وفوجئت بقبولى فى الزراعة والشرطة ، قبل اعلان قبول الحربية ، والتحقت بالشرطة فعلا ، ودفعت المصاريف ، ثم استدعيت لكشف الهيئة بالحـــربية ، وحين قبلوا أوراقى حولت من الشرطة اليها .

وبعد مرحلة الاعدادى فى المدرسة الحربية ، تقدمت

للطيران ونحن فى مرحلة المتوسط ، وتخرجنا فى يناير ١٩٣٩ ، من أجل الاستعداد للحرب ، وكانت تهديدات النازية فى ألمانيا تنذر بها ، والانجليز فى بلادنا يخططون لاستخدام الجيش المصرى وقد تدعم بعناصر كثيرة من الشباب اذا قامت الحرب .

ماهو دورنا ؟ ..

كنا مجموعة صغيرة من الضباط الاصدقاء فى سلاح الطيران ، تتكون من أربعة أشخاص ، أربعة طيارين متقاربين فى الاعمار .

انا والمرحوم الطيار أحمد سعودى أبو على ، ووجيه أباظة ، وحسن عزت ، لنا جلساتنا وسهراتنا ، ودائما حديثنا عن مصر ، وما تعده انجلترا مستقبلا للشعب المصرى .

قلت له .. كنتم أول دفعتكم .. أليس كذلك ؟

ــ نعم ، وخدمت فى مطار الدخيلة ، محطة الطائرات المقاتلة « جلاديو تير » وهى طائرات بريطانية ، وكان الطيران البريطانى يستخدمها فى نفس الوقت ، وفى عام ١٩٤٠ نقلت الى مطار حلوان للاشتراك فى الدفاع عن القاهرة .

فى تلك الفترة من الزمن شهد الجيش المصرى ميلاد الافكار الثورية الرافضة للسيطرة البريطانية ، وكانت بعثة عسكرية انجليزية هى صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة داخل أسلحة الجيش المصرى ، وكنا نحن الاصدقاء الاربعة فى أسراب المقاتلات نبحث عن طريق يقودنا للخلاص ، ونتحدث عن التبعية المطلقة فى القصر والحكومة للاحتلال ، ونتصدى للغطرسة الانجليزية ،

ونأمل فى تمصير الادارة العسكرية ، ويحمل الجميع فى الطيران والجيش شحنات للعمل الوطنى ، مؤمنين أن مصر وخلاصها فى أيدينا ، وكلنا على استعداد للتضحية بالروح من أجل تحقيق هذا الحلم الكبير .

وتساءلنا .. ماذا يمكننا أن نقوم به ؟

ما هو الدور الذى نستطيع تأديته ؟

واتجهنا بأنظارنا الى ألمانيا ..

فى ذلك الوقت ، وفى حدود مفهومنا السياسى ، وتقديرا للموقف ، ورفضنا النامى مع صبانا أيام المرحلة الثانوية ، والقيام بالمظاهرات ضد الاحتلال البريطانى، لم تكن قسوة النازية أو أسلوبها فى الحكم أو تطبيقاتها قد وضحت لنا ، كل ما نراه ويملأ أحلامنا هو التخلص من الاحتلال البريطانى ، حتى عن طريق الالمان .

ولم تكن هذه المشاعر والمفاهيم تخصنا وحدنا ، بل كانت تخص جماهير عريضة من الشباب والرجال الاكبر سنا فى مختلف البيئات والمهن المصرية .

وفى نطاق عملنا كطيارين ، تبلورت فكرة التجمع المستمر قبل ان نصل الى فكرة التنظيم ، وفى تجمعاتنا اليومية تقريبا يدور الحديث والنقاش حول الدور الذى يمكننا تحقيقه والمقابل الذى يمكن الحصول عليه من مطالبنا الوطنية .

واهتدينا فى النهاية الى تهديد الانسحاب الانجليزى .

كان الالمان يحرزون نصرا يتبعه نصر آخر فى الصحراء الغربية ، وأخذت القوات الانجليزية أو البريطانية تعد للانسحاب ، وقررنا ضرب خطوط مواصلاتها .

من هنا نشأت فكرة تنظيم أنفسنا حين وصلنا لغرض معين لدور محدد نقوم بتأديته ، وحتى نؤديه على الوجه الاكمل لابد من وجود تنظيم يمضى بالفكرة الى خطة مدروسة ، نضمن تنفيذها بالامكانيات المتاحة بين أيدينا ، فلم يكن لاحدنا صلة بأى تنظيم آخر . أو سبق له الاتصال به .

وخلال دراسة واعداد الخطة ، وجدنا انه لابد من تأييد جماهيرى لعملنا ، ذلك أن الانجليز سيكتشفون حتما ضرب خطوط مواصلاتهم من الداخل ، وربما قبضوا علينا ، وهنا لابد من حماية لظهورنا، ورأينا توفير هذه الحماية بايجاد مدنيين يستطيعون اشعال الرأى العام دفاعا عنا ، وعن عملنا ، ويكون هذا العمل بمثابة ضغط على الانجليز ، خاصة وهم يعانون من الهزيمة . وفى مرحلة الانسحاب .

قلت للسيد عبد اللطيف البغدادى :

متى بالتحديد مارستم هذا النشاط فى سلاح الطيران؟

ـ ما بين عام ١٩٤٠ و ١٩٤٢

عدت أقول :

كان هنا نشاط آخر معاد للاحتلال والسيطرة الانجليزية على الجيش المصرى فى سلاح الحدود ثم المشاة فالاشارة ، يقوده النقيب أو اليوزباشى أنور السادات ، وقد روى لى بعض كبار القادة ممن تركوا الجيش قبل الثورة ، وبعد سنواتها القليلة الاولى ، أن ضباطهم كانوا يتحدثون عن النشاط الوطنى للضابط الشاب أنور السادات دون أن يروه ، وأن قصص

اصطدامه بالقادة الانجليز ، كانت تنتقل من معسكر الى معسكر ومن سلاح الى سلاح .. ما بين ١٩٤٠ و ١٩٤٢

ــ هذه حقيقة ، فقـــد كان لنا نشاط موحد ضد البعثة الانجليزية فى الجيش المصرى وضد قوات الاحتلال البريطانى ، وكنا كضباط طيران نعمل فى نطاق تجمعنا ، وأصدقائنا حتى تلك المرحلة كانوا جميعـــا من رفاق السلاح ، وكان للبوليس السياسى وللمخابرات الملكية ، وللانجليز ، عيون ترصد نشاط صغار الضباط فكان لابد من الحيطة والحذر .

قلت .. نعـــود الى خطتكم .. ماذا فعلتم بعد أن انتهيتم الى ضرورة الاتصال بالمدنيين ؟

ــ فكرنا فى الاتصال بالمنظمات أولا ، وبرز لنا الحزب الوطنى ، والثائر عبد العزيز على أحد أعضاء الحزب ، وعضو منظمة اليد السوداء خلال ثورة ١٩ ، وما بعدها وذهبنا اليه ، ووجدنا تشجيعا منه ، وارتبط بنا كما ارتبطنا به ، ثم ذهبنا الى المرحوم الشيخ حسن البنا زعيم الاخوان المسلمين .

كيف فكرتم فى الشيخ حسن البنا والاخوان ؟

ــ منذ مرحلة الثانوية كان لى صديق دراسة وهو ابراهيم العزبى ، وقد ظللنا أصدقاء منذ طفولتنا ، وكان لنا نشاطنا الوطنى كطلاب ثانوى فى المنصورة ، ثم اتجه هو الى الاخوان المسلمين ، وعن طريقه ذهبت الى حسن البنا .

ولقد أبدى الرجل استعداده للعمل معنا ، ومساندتنا، وأذكر أنه قال لى « عنـــدى مايقرب من نصف مليون عضو بالجمعية ، وهذا العدد الكبير من البشر فى حاجة

الى قادة يرسمون الخطة ويقودون التنفيذ » .

واتفق معنا على أنه لا يهدف ولا يعمـــل من أجل الحركة الدينية ، وبالحرف الواحد قال : « لسنا مشايخ طرق .. بل لنا أهداف وطنية فى الدرجة الاولى » ثم طلب دمج تنظيمنا العسكرى مع تنظيمه الدينى ، وهنا تراجعنا قليلا ، وكانت لنا تحفظاتنا ، فقد خشينا أن نذوب فى الاخوان ، وتضيع شـــخصياتنا وامكانياتنـا كضباط طيران ..

ولكنه عاد ووافق على التعاون معنا دون الدمج ..

وفى خلال هــذا النشــاط للالتقــاء مع المنظمــات المدنية ، ذهبنا الى طلبة جامعة فؤاد « القاهرة الآن » عن طريق « أمين العزبى » شقيق صديقى ابراهيم ، وكان أمين زعيما سياسيا لطلبة كلية التجـــارة بشارع قصر العينى ، واصبح أمين بعد ذلك حلقة الاتصال مع شباب الجامعة وفى سرية تامة .

ومن بين الواجبات التى كلفنا بها طلبة كلية التجارة مراقبة نشاط وتحركات القيادة الانجليزية وكانت فى حى جاردن سيتى قريبا من مبنى كلية التجارة ، رقابة نهارية وليلية مستمرة .

وأخذنا نعمل على توسيع الدائرة بنظام الخــــلايا ضمانا للسرية ، كل خلية تضم خمسة أشـــخاص ، وكانت مهامنا نحن ضباط الطيران الاربعة ، الاصدقاء ، البحث عن الاشخاص الذين يمكن ضمهم للتجنيد عن طريق المناقشات السياسية غير المباشرة عدة مرات ، ومتابعة العضو المرشح ومراقبته اثر كل حوار معه حتى يتقرر تجنيده أو اسقاطه من حساباتنا .

وبدانا فى جمع الاشـــتراكات ، وأخذنا مســـئولا عن عن اللجنه السياسيه للتنظيم ، ومسئولا عن اللجنـــه المالية ، واشترينا اسلحه صغيره ، وقنـــابل يدويه ، وقنابل مولوتوف ، واستأجرنا شقه بمنشيه البكرى ، واحضرنا محرطه كهربائيه الى الشقه قام بشرائها الطيار حسن عزت ، وذلك لاستخدام المواسير اللازمه لصناعه القنابل ، ثم فكرنا فى الاستعانه بالضباط الوطنيين فى أسلحة الجيش الاخرى .

لقاء مع السادات

وأخذنا نناقش ضم بعض الضباط الوطنيين من الاسلحة المختلفة لتنظيمنا . ورشح الطيار حسن عزت « الرئيس أنور السادات » لمعرفته به ، والتقينا وتحدثنا طويلا ثم انضم السادات الى التنظيم .

اتصلنا أيضا بالمرحوم عز الدين ذو الفقار ، وكان فى ذلك الوقت ضابطا بالمدفعية ليكون ممثلا لسلاحه داخل التنظيم .

واخذنا نتوسع ونتغلغل داخل الجيش ، وأصبح للفكر الثورى على مستوى الاسلحة كلهـــا قاعدة بشرية من صغار الضباط ، وحرصنا على أن نجمع لدينـــا كل المعـــلومات التى تتصل بقـــوات الانجليز فى بلادنا ، معسكراتهم ، قياداتهم ، مخازن تموينهم ، ذخائرهم ، تجمعات حملاتهم الميكانيكية ، وكطيارين قمنا بتصوير جميع المنشآت الانجليزية من الجو ، واعدنا رسمها على كروكيات باليد ، وكانت بداية ناجحة .

عدت أسأل :

حتى عام ١٩٤٢ ، من انضم الى تنظيمكم من أصحاب

الاسماء التى برزت بعد الثورة : غير الاسماء التى جاء ذكرها فى حديثنا ؟

ـ من الطيران « حسن ابراهيم والمرحوم جمال سالم ووجيه أباظة والمرحوم محمد شوكت وعمر الجمال السفير بعد ذلك .. ثم انضم الينا على صبرى ، وشقيقه حسين ذو الفقار صبرى ومصطفى مرتجى السفير بعد ذلك أيضا وصادق القرموطى وحمدى أبوزيد وزير الطيران السابق وعبد الرحمن عنان وعبد المنعم عبد الرءوف » وليس هنا مجال لسرد كل الاسماء ، خاصة وأن جميع ضباط الطيران اشتركوا فى الثورة منذ ليلتها الاولى ..

نعود الى حديثنا .. حول توزيع جهودنا ونشاطنا .

فكرنا فى الاتصال بالمرحوم الفريق عزيز المصرى فقد كان بالنسبة لنا الاب الروحى والقائد الوطنى المشجع . وقال رحمه الله « ان الموقف بالنسبة للألمان فى منطقة العلمين يمثل عنق زجاجة ، ومن السهولة ايقاف تقدمهم فى هذه المنطقة ، والبديل لذلك هو أن يتجه الالمان الى الفيوم ، ثم يتقدموا الى منطقة القناة ، ليصبحوا خلف خطوط الانجليز مباشرة » .

وتساءلنا .. كيف يمكن تحقيق ذلك ؟

فى تلك الايام كان الالمان قد بعثوا بأحد جواسيسهم الشبان الى القاهرة ، والتقى بشاب مصرى وطنى من أم المانية وأب مصرى ، وقد نشرت الصحف اسمه خلال محاكمته بعد ذلك ، وهو الشاب حسين جعفر ، وكان حسين صديقا عن طريق مصرى آخر ، للطيار حسن عزت عضو التنظيم .

واتصلنا بالجاسوس الالمانى بواسطة حسن عزت ، والرئيس أنور السادات ، واكتفينا بهما ضمانا للسرية ، وأردنا آن نجعل من الجاسوس حلقة اتصال بيننا وبين القيادة الالمانية ، غير أنه قبض عليـــه بعد أن اكتشف البوليس أنه يستخدم عملة مصرية مزيفة ، وكان ضعيفا أمام النساء والخمر ، فروقب ثم وقع فى قبضة البوليس، وقبض أيضا على الطيار حسن عزت والرئيس السادات وحقق معهمـــا ، وأصرا على الانكار ، وامام تماسكهما واصرارهما وثباتهما لم يكتشف الانجليز وجود التنظيم السرى العسكرى المصرى .

ولقد قامت القيـــادة المصرية بناء على تعليمـــات القيادة الانجليزية ، بالتحفظ على الضابطين السادات وحسن عزت ، الاول تحفظوا عليه فى سلاح المدفعية ، والثاني فى ســلاح الفرسان ، وكان الضابط المنوط به حراسة الرئيس الســادات ، هو النقيب محمود ماهر الرمالى ، المحافظ فيمـــا بعد ، والضابط المنوط به حراسة الطيـــار حسن عزت ، هو الملازم أول خالد محيى الدين ، عضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، ولم يكن قد انضم ألى أى تشكيل سرى داخل الجيش حتى ذلك الوقت ، ثم أصبح وثيق الصلة بنا وموضع ثقتنا ، وأصبح مرتبطا بالتنظيم بعد أن فاتحناه فى أمر تهريب حسن عزت وأنور السادات عن طريقنا وبمعاونته لنـــا كضابط حرس على حسن عزت ، وذلك على اثر قرار اتخذناه وهو أن أتولى أنا تهريب الرئيس السادات ويتولى وجيه أباظة تهريب حسن عزت ، وخاطب وجيه أباظة فى خالد محيى الدين مشاعره الوطنية فرحب بالفكرة ووافق على المشـــاركة فيهـــا رغم ما سيتعرض له من

حساب .. الا أن حسن عزت والسادات رفضا فكرة الهروب وقررا مواجهة المحاكمة .

وكنا قد فكرنا فى ارسال المعلومات الموجودة لدينا عن القوات البريطانية الى القيادة الالمانية فى الصحراء الغربية ، ووضعنا خطة ، وكان المسئول عن اعداد الخرائط اللازمة للمرحلة هو الطيار وجيه أباظة ، يعاونه « صول » من رجالنا هو الصول أو المساعد « محمد رضوان » وقد أثار ضجة قبل وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وسنعود الى قصته ..

المهم كانت الخطة تتضمن أن يظل « حسن ابراهيم » مستغرقا فى النوم تاركا طيارته للمرحوم الطيار سعودى ، ووضعنا الاوراق داخل حقيبة بمفجر مع شحنة ديناميت حملها حسن عزت واختبأ بها فى أحد الخنادق بالقرب من الطائرة حتى مر به سعودى وتسلم الحقيبة ، وارتفعت الطائرة فى الجو ، ولكنها أسقطت بواسطة المدفعيات المضادة للطائرات أغلب الظن !

ولقد طارت طائرات الاستكشاف أول وثانى يوم ، بحثا عن الطائرة ولم تجد شيئا ، غير انه فى اليوم الثانى كان المساعد محمد رضوان يقود طائرة استكشاف ، ولانه يعلم بحقيقة الموضوع وتفاصيله ، فقد فكر فى الذهاب الى الالمان ، وفعلا ترك تشكيله الجوى واتجه الى الصحراء الغربية ، وهبط هناك وظل مع القوات الالمانية طوال انسحابهم من شمال أفريقيا الى ايطاليا حتى أوربا وألمانيا وحين دخل الحلفاء برلين فى نهاية الحرب قبضوا عليه ، وأعيد الى مصر لمحاكمته وصدر الحكم بسجنه ١٥ عاما ، وغرامة « ٨ » آلاف جنيها تعويضا عن الطائرة ، وظل سجينا حتى قامت الثورة ، وتدخلت

للافراج عنه ، والحق بالعمل فى ادارة الشئون العـامة للقوات المسلحة .

نعود الى هروب « رضوان » بالطائرة ، فقـد شعرت القيادة البريطانية بأن العملية أكبر من اختفاء طائرة المرحوم سعودى ، وانه لابد من وجود شىء خطر خلف هذا الحادث يدعو الى البحث والحذر ، فأوقفت الطـيران بالنسبة للضباط المصريين ، ورفعوا موزع الكهرباء من الطائرات ، لمدة ستة أشهر حتى انسحب الالمان من العلمين ، فسمحوا لنا بالطيران مع وقـود يكفى ساعة زمنية واحدة وتقييد الطـائرات وهى على الارض بالسلاسل والاثقال داخل حظائرها .

ولقد حققوا مع عـدد من الطيـارين المصريين على فترات مختلفة ، ولم يكتشفوا تنظيمنا ، واكتفوا بنقل ١٢ ضابطا من غير أعضاء التنظيم الى وحدات أخرى ، وأخروا أقدمية حسن ابراهيم ، لاعتقادهم باشتراكه فى العملية ، ونقلوه الى سـلاح خدمة الجيش لمدة ثلاث سنوات ، ثم أعيد الى الطيران مرة أخرى .

سألت السيد عبد اللطيف البغدادى :

ـ ما هى تفاصيل محاولة هرب الفريق عزيز المصرى بالطائرة الى الالمان ، وما هى خلفية تلك المحاولة ، وهل كانت من اعداد تنظيمكم السرى ؟

ـ لم تكن المحاولة من اعداد أو من تفكير التنظيم ، كانت الخطة أو الاتفاق بين ثلاثة فقط ، هم الذين قاموا بالمحاولة « الفريق عزيز المصرى ، والطياران عبد المنعم عبد الرءوف وحسين ذو الفقار صبرى » وذلك خلال ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، وكانت محاولة لم يكتب لها النجاح .

* وماذا بعد تلك المرحلة ، وانسحاب الالمان من الصحراء الغربية ؟

ـ حين نزلت القوات الامريكية تونس ، وهاجمت الالمان من الغرب ، وقام « مونتجمرى » بهجومه المضاد من الشرق ، وحصر الألمان بين فكى الرحى ، ثم تقهقروا فى محاولة للانسحاب من شمال أفريقيا ـ أسقطنا الامل فى استغلال قواتهم ضد الاحتلال الانجليزى لبلادنا ، غير ان نشاطنا الوطنى لم يتوقف ، وأعدنا الاتصال مرة ثانية بالاخوان المسلمين ، وكان حلقة الصلة بيننا وبينهم طيار على المعاش من الاخوان وهو « المرحوم محمود لبيب » ، وكان مسئولا أمام قيادة الاخوان عن التنظيم الاخوانى داخل الجيش .

ولقد سهل لنا الاخوان كتابة مقالات سياسية وعسكرية فى مجلاتهم وكنا نكتب عن ضرورة اصلاح أسلحة الجيش والطيران الى جانب وجهات نظرنا فى الموضوعات السياسية ، ونشر هذه المقالات بدون توقيع، وكان لها أثر طيب لدى الجماهير ، وجذب اهتمام الرأى العام الى مطالبنا .

جمعية شيوعية

قلت للسيد عبد اللطيف البغدادى :

ـ لقد ترددت قصة فى بداية الثورة حول اتصالكم بأحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى عام ١٩٤٢ عقب حوادث ٤ فبراير الشهيرة حين حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين .. ما هى حقيقة هذه القصة ؟

ـ انها قصة حقيقية .. فمشاعر الشعب والجيش

ازاء هذا الحادث كانت متعاطفـــة مع الملك ، واجتمعنا كضباط .. كبار الرتب وصـــغارها فى نادينا لدراسة الموقف ، واقترح الضباط الكبار تسجيل الاسماء بسجل التشريفـــات تأييدا للملك ، ووقفت بينهم مطـــالبا بضرورة تكوين خلايا سرية من صـــغار الضباط وصف ضباط لاغتيال أى سياسى ينحرف ويتعاون مع الانجليز وكنت متأثرا بقيام مثل هذا التنظيم فى اليابان أيامها ، فقام الكبار وأخرجونى عنوة من النادى ..

وتوجهت ومعى زميلى الطيار عبد الحميد الدغيدى وكان عضوا بالتنظيم السرى الى أحمد حسنين باشا ، وطلبنا منه معرفة موقف النحاس باشا الذى لم يكن واضحا لنا ، وذكرنا بأننا سنقتله لو كان قد تعاون مع الانجليز من أجل السلطة ، فحاول اقناعنا بأن نترك هذا الامر لمولانا كما جاء على لسانه ، ليتصرف فيه بحكمته ، وأفهمنا أن الانجليز كانوا يهدفون لعزل الملك عن العرش ولكنه فوت عليهم غرضهم ، وخرجنا مقتنعين بأن موقف النحاس باشا هو موقف من يحاولُ انقاذ ما يمكن انقاذه فى تلك الازمة .

كان موقفنـــا موقف الشباب المتحمس لوطنه بكل طاقاته .

واستطرد السيد عبد اللطيف البغدادى :

ـ لم يتوقف نشاطنا قط ، وأخذنا نبحث عن أى ميدان وطنى نعمل به ، وأذكر أننى ومعى بعض أعضاء التنظيم انضممنا الى جمعية تحمـــل اسم « الرياضة وأوقات الفراغ » وهى جمعية شيوعية بقيادة المرحوم حسنى العرابى ،وتعمل تحت ستار استغلال وقت الفراغ بالرياضة ، وكنا نجتمع فى أماكن مختلفة لتدرس لنـــا

الماركسية ، واستمررنا معهم فترة من الوقت : وكل منا يدفع جنيها كاشتراك شهرى ، وذات مساء ذهبت الى منزل حسنى العرابى خلف محـــلات الصالون الاخضر حاليا ، فوجدت بعض الاعضـــاء المؤسسين يتقاسمون الاشتراكات ، ولم يشعروا بى أثناء دخولى فانسحبت صامتا ، ولم أعد أو يعد اليها أحد من تنظيمنا بعد أن عرفنا حقيقة هؤلاء الماركسيين !

* ما هو دوركم فى الجولة الاولى مع اسرائيل فى فلسطين ؟

ــ عام ١٩٤٧ ، كان القائد السورى فوزى القاوقجى يقود جيش فلسطين ، وعلى الفور طلبنا التطوع ، غير أن قيادتنا العليـا رفضت الطلب ، ثم أوكلوا لى مهمة نقل الاسلحة الصغيرة جوا الى دمشق ومطار المفرق فى الاردن ، وكان معى عبد الحميد الدغيدى حين سعينا للالتقاء بالقاوقجى فى دمشق ، وعرضنا عليه أن نساهم معه فى المعـــــركة ، وذلك باعداد طائرات مقاتلة تطير بها من القاهرة الى سوريا ، لاستخدامها لمساعدة جيش التحرير العربى فى معركة ضد الصهيونية فى فلسطين ، ولـــكنه تردد فى البداية خوفا علينا فى حالة الفشـــل ، ومحاكمتنا بتهمة الهروب من خدمة القوات المسلحة ، ووافق فى النهاية تحت الحـــاحنا ، وقال انه سيتصل بطيارين عراقيين للقيـــام بنفس دورنا ، لكى يستخدم الطيران كعنصر مفاجىء فى معركة فاصلة مع اليهود .

وطالبته بمطـــــار سرى شرق دمشق وعلى مسافة ٦٠ ك . م من العاصمة السورية ، ووقع اختيارنا على حسن ابراهيم وزكريا سليمان ، لـكى تطلب الحكومة السورية انتدابهما ، تحت ستار انشاء سلاح جوى سورى

فلم يكن لدى سوريا طيران أيامها ، على أن يتولى حسن ابراهيم الاشراف على انشاء المطار الجديد ، ويقوم زكريا سليمان وكان يشغل رئيس قسم التسليح بالطيران المصرى ، باعداد ذخيرة الطائرات مستغلا المصانع السورية ، كما اتفقنا على ارسال طيارين سوريين الى مصر للعمل معنا تحت ستار التدريب لانشاء سلاح الطيران السورى ، ولقد حضرا بالفعل « محمود الرفاعى ، والدالاتى » وألحقا بسلاح الطيران المصرى ، وبعد أسبوعين تسلمت القاهرة خطابا من وزير الدفاع السورى يطلب انتداب حسن وزكريا ، وقبل أن يطيران الى القاوقجى صنعنا جهازا لاسلكيا بواسطة الزميل « عبد الرءوف عبدوش » عضو التنظيم للاتصال بالقاوقجى ، ثم أعددنا ١٥ طائرة مقاتلة مسلحة بمدافعها ، ولم تكن مركبة بها وزودناها بحاملات قنابل ، واتفقنا مع مجموعة من الميكانيكيين المصريين الوطنيين للعمل معنا هناك ، وأعددنا طائرتين داكوتا من طائرات النقل لتحملهم الى سوريا ، وبقينا ننتظر التعليمات .. ولكنها لم تصل أبدا .

خرجنا من هذا النشاط بنتيجة هامة ، وهى قدرتنا كتنظيم سرى على اعداد الطائرات وتسليحها دون علم القيادة ، واعدادها للطيران فى أى لحظة ، وبفعالية مكتملة ، ظلت تنمو باستمرار ، وكنا نحافظ عليها جيدا .

جمال عبد الناصر

اسمح لى بسؤال : متى ظل نشاط الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ومتى التقيتم به كتنظيم ؟

ــ بعد حادثة هرب الفريق عزيز المصرى واسقاط

طائرته ، ومعـــه عبد المنعم عبد الرءوف وحسـين ذو الفقــار صبرى ، نقل عبد المنعم الى سلاح خدمة الجيش ، كمـــا نقل حسين صبرى الى الســودان ، وانتشرت القصة بين مختلف الوحدات .

ولقد اتصل الزعيم الراحل قبل الجولة الاولى فى فلسطين بعبد المنعم عبد الرءوف ، فى مرحلة كنا كثوار صغار السن والرتب نتجه فيها بكل مشاعرنا الى الاخوان المســلمين ، وكان عبد المنعم بارزا بنشاطه الاخــوانى والثورى معا ، وعن طريق عبد المنعم التقى بكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين ، ثم التقيت به بعد حرب فلسطين ، وذلك عام ١٩٤٩ ، وكانت بداية تكوين الضباط الاحرار ..

نعــود الى الاربعينات .. أين كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر عام ١٩٤٠ وما بعدها خلال سنوات نشاطكم كتنظيم داخل القاهرة ؟

ــ نقل الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر عام ١٩٤٠ الى السودان ، وعاد عام ١٩٤١ ، ليبقى ثلاثة أشهر غرب الاسكندرية ثم نقل للســـودان مرة أخرى وظل هنـــاك حتى عام ١٩٤٣ ، وربما ذهب للصحراء الغربية بدلا من السودان ، لا أذكر الآن .

ايضاح :

عــدت الى الملف رقم ٢٤٢٤ وهو الملف العســكرى الشخصى للرئيس الراحل جمــال عبد الناصر فوجدت الآتى من خلال الوثائق الرسمية .

* ٩ مارس ١٩٤٠ نقـــل الى بور سودان حتى ١١ نوفمبر عام ١٩٤١ .

* نقل الى الصحراء الغربية فى ١٢ نوفمبر ١٩٤١ وظل بها حتى فبراير ١٩٤٢ .

* بقى بالقاهرة ضابطا بالكتيبة الثالثة مشاة ابتداء من مارس ١٩٤٢ حتى نهاية أكتوبر ١٩٤٢ ، ثم تنقل بين الكلية الحربية ، وضابط شـــئون ادارية بكلية أركان حرب حتى نهـــاية نوفمبر ١٩٤٦ ثم التحق بالـكتيبة السادسة مشاة بالعريش لمدة اربعة أيام ، ثم سافر فى مهام مختلفة بين البحر الاحمر وسيناء والصحراء الغربية والقاهرة حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وكان قد حصل خلال هذه الفترة على دورة أركان حرب ونجح فيها عام ١٩٤٨، وفى ١٦ مايو من نفس العام سافر الى فلسطين ليقاتل معركته فى عراق المنشية بالفــالوجا ، ويعود الى منطقة القرش شرق القناة فى ٢٥ ابريل ١٩٤٩ ويبقى حتى ٩ أغسطس من نفس العام ، ويذهب للعمل فى جبل عتاقة يوم ٧ نوفمبر ١٩٤٩ ، وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٥١ ، يقع عليه الاختيار لينضم الى هيئة التدريس بكلية أركان حرب ، ومن هناك قاد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ويستطرد السيد عبد اللطيف البغدادى ، فى حديث الذكريات فيقول :

ــ فى نهاية ١٩٤٩ ، بعـــد الجولة الاولى فى فلسطين ظهرت حركة تجمع ضباط الجيش بين الوطنيين منهم ، وممن قاموا بأدوار بطولية ، وأصحاب المواقف الوطنية القديمة ، وبرز الزعيم الراحل بيننا بنشاطه الشخصى ، وأوقف اهتمامه على تجميع الخــلايا وتنظيمها دون أن تقترب خلية من أخرى ، وقـــدراته على رعايتها بدقة بالغة ، وامكانياته فى دعم العمل السرى من خـــلال شخصيته الكتومة ، الى جانب عناصر عديدة حوله ،

تبذل جهدها حتى الحـــد الاقصى فى سبيل التشكيل وحمايته وصولا الى الهدف الاكبر .

ولقـد استطاع عبد الناصر تجميع ودمج كل أصحاب النشاط الثورى والفكر الوطنى فى تنظيم واحد تحت قيادته .. حدث هذا فى نهاية عام ١٩٤٩ ، واتصل بنا لضم ضباط الطيران الى التشكيل السرى ، وانضممنا معه ثلاثة ضـــباط ، كل من المرحومين صـــلاح سالم وعبد الحكيم وانا ، ولم تكن ثلاثتنا قد التقينا فى نشاط سرى موحد مع الرئيس الراحل حتى نهاية ذلك العام .

وكان المرحوم جمال عبد الناصر قد أجرى اتصالات سابقة مع عبد المنعم عبد الرءوف وكمـــــال حسين ، وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين .

سألته : ماذا كنتم تشغلون أيامها ؟

ـ فى عام ١٩٤٨ توليت قيادة القاعدة الجوية غرب القاهرة بالاضافة الى توليتى قيـــادة أسراب القاذفات حتى عام ١٩٥٠ ، ثم عينت مســـــاعدا لمدير تدريب القاذفات والمواصلات برئاسة القوات الجوية حتى ليلة الثورة .

واين كان المرحوم قائد الجناح جمال سالم ؟

ـ ظل ثلاث سنوات قبل عام ١٩٥٠ يعالج بانجلترا نتيجة حادث طائرة أصابه فى العمود الفقرى ، واجريت له ١٣ عمليـــة جراحية ، وحين عاد الى القـــــاهرة ، اصطحبته معى الى أحد اجتماعاتنا ، ثم انضم الى اللجنة التأسيسية للضـــــباط الاحرار ، وهى التسمية التى اطلقناها على مجموعتنا .

وسافر جمال سالم للعلاج مرة أخرى عام ١٩٥١ الى أمريكا ، ثم عاد قبل نهاية العام ، وبذلنا جهدا ليخدم فى العريش ، وليتابع نشاط التنظيم هنـــاك بالاضافة الى وجود عبد الحكيم عامر وصلاح سالم ، والرئيس أنور السادات الذى انضم الى اللجنة عام ١٩٥١ وكان يخدم فى « رفح » .

ماذا كان دور الضباط الاحرار بعد الغـاء الوفـد لمعاهدة ١٩٣٦ ، فى تلك الايام من نهاية عام ١٩٥١ ؟

ـ لقد ساندنا قرار الوفد بتدريب الفدائيين فى منطقة الشرقية ، وكان وجيــه أباظة مسئولا عن ادارة هــذه العملية باعتباره أحد أبناء أسر الأباظية فى منيا القمح ، وقام أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار ، فى الطيران والجيش بتزويد الفدائيين بالأسلحة والخرائط ، وأعطينا الاخوان كميات كبيرة من السلاح ، وجدناها عام ١٩٥٤ مخبأة بالكامل فى عزبة أحد أعضاء الاخوان ، وقام صلاح هدايت وبمعاونة بعض أصدقائه بصنع لغم كبير أطلقنا عليــه « التيتل » لنسف السفن بالقناة ، وقمنا كضباط طيران بفك اللغم وتحميله فى طائرتى نقل الى العريش ، وتسلمه هنـــاك المرحوم جمـــال سالم والمرحوم عبد الحكيم عامر ، ونقلاه الى المنطقة الشرقية بالقناة ونقل وجيه أباظة بعض الاجزاء ، أو متفجرات اللغم عن طريق السيد فؤاد سراج الدين وزير الداخلية فى ذلك الحين وبواسطة القطار . ثم عدلنا عن العملية بعد أن خشينا ثورة الرأى العام العالمى ضدنا لو نسفنا سفينة وعطلنا الملاحة بالقناة .

وحصلنا من فلسطين وبعض الدول العربية على سلاح للفدائيين الى جانب الاسلحة التى نحصل عليها سرا من

مخازن الجيش عن طريق مجدى حسنين ؛ وقد قمت بالاتفاق مع على صبرى . وكان مديرا للمخابرات الملكية الجوية باخفاء السلاح عنده كأمثل مكان آمين وأذكر أن حسن التهامى وكمال رفعت والبلتاجى كانت لهم أدوار هامة خلال هذه الفترة تدريبا وهجوما على القوات البريطانية .

وبعد قيام الثورة اكتشفنا فى وزارة الداخلية أن بعض من ارتدوا أقنعة العمل الفدائى كانوا جواسيس علينا لحساب البوليس السياسي والقصر الملكى ، فقد وجدنا أسماء بعضنا وتفاصيل لقطاعات من نشاطنا السرى فى تقارير هؤلاء العملاء .

ووقع حريق القاهرة ، وقدنا معركة الانتخابات فى مجلس نادى الضباط بالزمالك ، واستطعنا التأثير فى الاغلبية الكبرى لضباط الجيش ، تحديا لرغبات الملك فاروق ومحاولته فرض بعض الاشخاص ممن يضمن ولاءهم له فى مجلس ادارة النادى ، وانتخب من قام الضباط الاحرار بترشيحهم فى هذه الانتخابات ، وأدركنا أن التنظيم أصبح يعتمد على رأى عام عسكرى كبير يؤيده ويسانده .

كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يرى ان الموعد المناسب للقيام بالثورة هو عام ١٩٥٥ ، وبعد حريق القاهرة ، ومعركة انتخابات النادى ، طالبت بين أعضاء اللجنة التأسيسية بضرورة التعجيل بالثورة حتى لا تسبقنا الاحداث ، وبعد أن أصبح الزمن عاملا أساسيا فى معركتنا وضرورة سبق الملك فى التحرك ، ثم اقتنعت اللجنة بعد أن أمر الملك باغلاق نادى الضباط وحل مجلس ادارته وكأنه يتحدى ضباط الجيش والضباط

الاحرار بالذات بهذا الاجراء ، فضلا على الخطوة التالية له ، وهى محاولة القضاء على التنظيم فكان لابد لنا فى النهاية أن نتحرك بسرعة .

متى انتخبتم جمـــال عبد النـــاصر رئيسا للجنـــة القيادة ؟

ـ عام ١٩٥١

تردد أنه أعاد طرح الثقة به بين أعضاء اللجنة قبل القيام بالثورة .. لماذا فعل ذلك ، ومتى ؟

ـ كان نتيجة صدام فى الرأى بينى وبينه ، وبعـد قرار اتخذه لاغتيال « حسين سرى عامر » أحد أعوان الملك فى الجيش دون الرجوع الى اللجنـــة التأسيسية وانضم اليه كل من حسن ابراهيم وحسن التهامى وكمال رفعت وقد أطلقوا الرصاص عليه فعلا ولم يصب الرجل، وناقشته وكان حوارا ساخنا احتدم بيننا ، لأنه لم يكن يملك حرية التصرف فى مثل هذا الأمر دون الرجوع كما قلت للجنة التأسيسية لـكى يصدر مثل هـذا القرار بأغلبية الاصوات ، فمثل هذا العمل كان من الممـكن أن يهـــدم التنظيم كله لو اكتشفت الاجهـزة البوليسية أمرهم ، فعرض طرح الثقة به ، وأعطى رحمه الله صوته لحسن ابراهيم بحكم اشتراكه معه فى تنفيذ هذه العملية كان ذلك يوم ٨ يناير عام ١٩٥٢ .

وانتم لمن أعطيتم صوتكم ؟

ـ له طبعا ، فهو زميل كفاح ، وقد انتخبناه بمحض ارادتنا ، وأعطيته صوتى حين أعاد طرح الثقة بنفسه بكل الايمان به ، صدقا وزمالة ورفقـــة سلاح ومعركة وهبنا أرواحنا من أجل نجاحها .

« ٩ » أم « ١٢ » ؟

نعود الى ما قبل قيام الثورة ..

سؤال : هل كان عبد المنعم عبد الرءوف أحد أعضاء اللجنة التأسيسية والى متى ؟

ــ نعم ، وقررنا بالاجماع تنحيته لانه عمل ضد قرار سبق للجنة أن اتخذته بعدم الدمج بين الجيش والاخوان اكتفاء بالتعاون فقط ، وقد صدر هذا القرار قبل عام تقريبا من قيام الثورة .

قيل فى بداية الثورة ان عدد أعضاء مجلس قيادة الثورة تسعة ضباط ثم قيل ١٢ ضابطا .. ما هو العدد الحقيقى ؟

ــ ليلة قيام الثورة كانت لجنة القيادة تضم تسعة ضباط فقط وهم المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر ، والرئيس أنور السادات ، ثم المرحومين صلاح سالم وجمال سالم وعبد الحكيم عامر ، بغدادى ، كمال حسين ، حسن ابراهيم ، خالد محيى الدين .

وفى ١٥ أغسطس عام ١٩٥٢ بعد قيام الثورة ، تقرر ضم كل من زكريا محيى الدين وحسين الشافعى، والمرحوم يوسف منصور صديق ، والعقيد عبد المنعم أمين الى مجلس قيادة الثورة ، واصبح عددنا ١٣ ضابطا، وفى نفس العام ، انفصل كل من يوسف صديق وعبد المنعم أمين عن المجلس .

بعدها اصبح عددنا «١١ ضابطا » يضاف اليهم رئيس المجلس اللواء محمد نجيب ، فيصبح العدد ١٢ ضابطا ، وهو ما أذيع خلال الاشهر الاخيرة من عام ١٩٥٢ أو بداية ١٩٥٣ .

ليلة الثورة .. ماذا قمتم به ؟

ـ كنت مسئولا عن مهام الطيران الى جانب مسئوليات أخرى فوق الارض ، فالخطة العـــامة للتحرك أعدت لتعزز بعضها بين الجيش والطيران معا .

الطيران كان مركزا فى الماظة وحلوان وغرب القاهرة ، وسرب للرش الصحى فى الدخيلة ، وطـائرات أخرى ، احداها هى التى طاردت حسين سرى عامر أثناء هربه فى الصحراء الغربية حتى تم القبض عليه ..

وليلة الثورة احتل الضباط الاحرار من الطيـــارين قواعدنا الجوية ، وتركزت دبابتان أمام باب القـــاعدة الجوية فى الماظة ، ومصر الجديدة ، ومع أول ضوء كانت الطائرات فوق سماء القاهرة ، وفوق قوات الانجليز فى منطقة القناة ، وفوق الاســـكندرية ، لمنع فاروق من مغادرة المدينة جوا أو بحر .

وكان دورى هو الاشتراك مع أعضـــاء اللجنـــة التأسيسية التى ستقوم باحتلال القيـــادة على رأس الكتيبة « ١٣ مشاة » بمنطقة كوبرى القبة ، وكان دور الكتيبة الاولى مدافع ماكينة بقيـــادة المرحوم يوسف صديق ، أن تأتى لتدعيم القوات التى ستحتل كوبرى القبة ومقر القيادة ، ولكن يوسف صديق جاء مبكرا عن الموعد المحدد بأكثر من ساعة ، واقتحمنا القيادة بقواته البسيطة حتى جاءت قوات الـكتائب الاخـرى ، وتم القبض على بعض قادة الملك الذين تجمعوا فى المناطق المحيطة بالعاصمة ، اذ كانوا قد علموا بتحركنا فى التاسعة أو العاشرة من ليلة ٢٣ يوليو .

ولكن ارادة الله فوق كل ارادة ، وبدأنا مرحلة أخرى من المسئوليات .

أحرار المدرعات

عاش أحرار الفرسان أحداثا وفصولا مثيرة منذ بدأوا حركة نضالهم الثورى فى منتصف الاربعينات حتى قيام الثورة عام ١٩٥٢ ، وطوال عامى ٥٣ و ١٩٥٤ .

واذا كان هناك من يقول أن تنظيم الضباط الاحرار فى الجيش لم يبدأ من فراغ ففى قصة ثوار الفرسان أو المدرعات أقوى دليل على ذلك ، ففى عام ١٩٤٥ كان ثمة ضابط صغير برتبة ملازم ثان يتزعم عددا من زملائه لكى يخلعوا عن سلاحهم تلك الصفة التى اقترن بها سلاح السوارى كما كان يطلق عليه أو المدرعات بعد الثورة ، وهى أنه سلاح الملك !

لقد ظل سلاح السوارى أو الفرسان طويلا محل اقبال أبناء الأسر الارستقراطية وفروع الاسرة المالكة التى تفخر بأنها لا تنتسب للجنسية المصرية بل التركية ، ومن هنا أطلق عليه سلاح الملك .. غير أن واقع الامر كان يختلف تماما داخل السلاح ، حيث انتشرت الافكار الثورية خلال الاربعينات بين ضباطه ، وحيث بدات أول حركة منظمة سرية يقودها الضابط الصغير الذى أشرت اليه ، وهو الملازم ثان سعد عبد الحفيظ صاحب الخطاب الشهير الذى أرسله الى الرئيس الراحل عام ١٩٦٣ ، يطالب فيه بانقاذ الضباط الاحرار

من الحالة التى بلغوها ـ مقترحا عمل حضر لهم ؛ وهو الخطاب الذى جاء ذكره فى الفصل الأول من الكتاب بعنوان « عمل عظيم تأخر عن موعده عشرين عاما » .

وسعد عبد الحفيظ هو أول ضابط يقبض عليه من ضباط الفرسان بتهمة التآمر ضد الثوره ، حدث هذا فى يناير ١٩٥٣ ، وفى أول قائمة يقرر مجلس قيادة الثورة القبض عليها من الضباط ويقدمها للمحاكمة السرية ؛بهدف ارهاب باقى الضباط من الاحرار الذين قال عنهم عبد الناصر قبل نهاية ديسمبر ١٩٥٢ « لن ينسوا أنهم ثوار ، وأنهم قاموا بثورة ونجحوا ، وكل منهم يريد أن يحكم وأن تكون كلمته مسموعة ، ولن يتركونى اذا تركتهم يتحركون كما يشاءوا ، انهم صداع كبير بالنسبة لى ، ولابد من وقفة » .

هذه العبارة ذكرها لى بعض الاحرار من المقربين لعبد الناصر فى بداية عام ١٩٥٣ ، واكدوها لى مرة أخرى عام ١٩٧٢ .

ولنعد الى سعد عبد الحفيظ وزملائه .. كان سعد واحدا من عشاق العسكرية المصرية ، وهو من أبناء شبراخيت بحيرة ، حصل على مجانية التعليم بالجامعة عام ١٩٤١ نتيجة تفوقه فى شهادة التوجيهية ، والتحق عاما بكلية العلوم ، ولكنه آثر أن يلتحق بالكلية الحربية عام ١٩٤٢ ، عام الوسطات الوفدية كما يقول ، ولتفوقه أيضا أصبح باشجاويش الكلية على الطلبة .

وتخرج عام ١٩٤٤ ، وكان أول دفعته ، والتحق بسلاح الفرسان ، فتألق فيه وبرز وقاد المجموعة الصغيرة من زملائه داخل السلاح ، وفى أسلحة أخرى

بهدف القيام بعمل عسكرى ثورى ، وكان الضباط يطلقون عليه ساحر الفرسان .

ومضى هؤلاء الثوار فى نشاطهم دون أن تكون لهم فلسفة تحتويهم وتقودهم نحو خطة محددة أو هدف محدد ، حتى سعى اليهم جمال عبد الناصر فى أوائل عام ١٩٥٠ ، وعمل على ضم نشاطهم الثورى تحت قيادته وقد نجح فى ذلك مستغلا فى هذه العملية صديقه رائد خالد محيى الدين ضابط الفرسان وعضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، وكان خالد قد ارتبط بالفكر الماركسى ، وبدأ يعمل فى تكوين قاعدة مدنية ماركسية بين طلاب جامعة القاهرة ، التى كان يتولى فيها قيادة التدريب العسكرى، الى جانب بعض علاقات وارتباطات فكرية ماركسية أخرى مع عدد قليل من ضباط السلاح مثل ثروت عكاشة واحمد المصرى ونبيل المرصفى ، وكانت اجتماعاتهم تتم فى بيت ثروت عكاشة أو خالد محيى الدين ..

وفى هذه الفترة بداية الخمسينات استطاع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أن يضم اليه الرائد عبد الفتاح على أحمد محافظ الدقهلية السابق ، وأحد نواب وزير الحكم المحلى ، وكان الرائد عبد الفتاح من الضباط المؤمنين المتدينين الذين قادوا مجموعة ثالثة من أحرار الفرسان للعمل السرى يعاونه فى ذلك البكباشى حسين الشافعى ضابط الفرسان الملحق على رئاسة الجيش ، وتحت اشراف دقيق من البكباشى جمال عبد الناصر .

لقد أكد لى عدد ليس بقليل من أحرار الاسلحة الاخرى ممن عاشوا هذه الفترة أن عبد الناصر كان يخشى

نشاط سعد عبد الحفيظ وزملائه المتطرف داخل سلاح الفرسان ، وكان يضع فى حسابه عدم السيطرة عليهم ، فعمل على تكوين جنـاح آخر بقيادة حسين الشافعى وعبد الفتاح على أحمد ، وتردد عام ١٩٥٢ ، أن هذا الجناح كان يضم ليلة الثورة ٣٦ ضابطا من المدرعات ، ومما يؤكد هذا القول أن الرئيس الراحل لم يبلغ سعد عبد الحفيظ وزملائه بساعة التحرك ، لم يعلموا بها الا صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، بل حرص على تجميد نشاطهم وتحركهم لفترة قصيرة قبل الثورة .. ممـــا سيأتى شرحه من خلال تقرير سرى أعده سعد وزملائه فى نهاية عام ١٩٧٥ وارسلوا به الى لجنة اعادة كتابة تاريخ الثورة وهى اللجنـــة التى يرأسها السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ، ولقـــد ذكر هـذا التقرير جميع التفاصيل التى تعطينا فى النهـــاية صورة كاملة للحركة الثورية داخل سلاح الفرسان منذ منتصف الاربعينات ، ومن هنـا حرصت على نشرة كاملا وبأسـلوبه الأصلى ، وهذا هو التقرير ، على الصفحة التالية .

السيد اللواء محمد حسن غنيم
مساعد وزير الحربية
ورئيس اللجنة الفرعية العسكرية لتاريخ
ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢

تحية طيبة وبعد :

لقد كان طيبا أن تطلبوا منا اعداد تقرير عن دورنا فى ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وتسجيل ما قمنـــا به فى هذه الثورة .

ونود أن نحيطكم علما بأننا قد رأينا أن نكتب هـــذا التقرير « جماعيا » أذ ان دورنا فى الثورة لم يكن دورا انفراديا بل كان عمـــلا جماعيا منسقا بيننا ، ونحن ـ اقتناعا منا بأن العمـــــل الوطنى الذى تحقق فى فترة الاعداد للثورة والتمهيد لهـــــا كان الدعامة الحقيقية والاســـاسية لانطلاق ثورة الاحرار ـ وايمانا منا بحق مصر علينا وبدور الطلائع التى عاصرت هـــذه الفترة وعاشت الفكرة وصورت الامل وأحست بكل حركة وكل سكنة فيها ـ نقول ان هذا الايمان يدفعنا الى أن نضع بأقلامنا الاحداث صادقة مسجلين ســطور الحق على صفحات تاريخ أمتنا لـكى نرد الامانة الى أمنا ـ مصر الغالية ـ فالتاريخ ليس ملـــكا لصانعيه ولكن الامة وحدها هى مالـكته وصاحبته .

وانا اذ نتحمل مسئولية الـكلمة أمام الله والضــمير والتاريخ ـ فانا نسأل العلى القدير أن يجنبنا مغبـة

الانزلاق الى مهاوى الغرور والتفاخر الاجوف وحسبنا ان ما قدمناه من جهد أو تضحية كان احتسابا لوجه الله والوطن فلسنا أول المضحين من أجل مصر ولا آخر من جاهدوا فى سبيل عزتها وكرامتها .

***

بعد أن اطلعنا على الاسئلة الموجهة الينا ـ وجدنا ان الاجابة عليها على نحو نمطى قد لا توفى الموضوع حقه من الايضاح أو تضفى عليه صادق صورته وواقع أمره.

ومع تسليمنا بأن الكتابة عن هذه الفترة الهامة من تاريخ ثورتنا ـ ونعنى فترة التمهيد والاعداد لها ـ قد تحتاج الى مجلد بأكمله ـ فاننا قد رأينا أن نتبع فى تقريرنا أسلوب الرد التاريخى مع الحرص على ذكر الاسباب ـ وذلك على النحو التالى :

أولا : مرحلة التمهيد للثورة والاعداد لها : مرت هذه المرحلة بالفترتين التاليتين :

١ ـ الفترة بين عام ١٩٤٥ وحتى حرب فلسطين : وفى هذه الفترة قمنا بتكوين « اللجنة التأسيسية للتنظيم » ومارست هذه اللجنة نشاطها تحت تنظيم سمى فى ذاك الوقت باسم « ضباط الجيش » وكانت هذه اللجنة تتكون من : عبد الحميد كفافى ، مصطفى نصير ، جمال منصور، سعد عبد الحفيظ ، محمدحلمى ابراهيم (سلاح الفرسان) .

وقامت اللجنة التأسيسية :

أ ـ بتوسيع دائرة نشاطها الى الاسلحة الاخرى فى الجيش وتشكيل خلايا فى المدفعية والمشاة والطيران والاشارة وخدمة الجيش فى القاهرة والاسكندرية وسلاح الحدود ـ العريش ورفح .

ب ـ صدر عن هذه اللجنة منشورات باسم « ضباط الجيش » تناولت العديد من المسائل السياسية الداخلية والخارجية ـ وذلك لتعبئة الرأى العام وتبصير الشعب والجيش بالظروف السيئة التى كانت تعيشها مصر ويعانى منها كل مصرى .

وكان الهدف الاساسي لهذا التنظيم فى هذه الفترة هو وضع قوة الجيش فى خدمة الشعب لتحقيق أهدافه.

٢ ـ الفترة من عام ١٩٤٩ وحتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ :

وفى هذه الفترة عاد تنظيمنا « ضباط الجيش » الى نشاطه بمزيد من الحماس بعد كارثة حرب فلسطين وزيادة الوعى بين الضباط واقتناعهم بأن الامل الوحيد هو فى قيام الجيش بتغيير الاوضاع فى البلاد معتمدا على قوته ومستندا على السواد الاعظم من الشعب المغلوب على أمره ، وقد قمنا باختيار اسم جديد للتنظيم وتم ذلك فى أوائل عام ١٩٥٠ تحت اسم « الضباط الاحرار»

ثانيا : المنشورات ..

كان لابد لنا من وسيلة للتعبير عن دوافع الفكرة وتكتيل الضباط حول الحركة وقمنا بمهمة كتابة المنشورات وطبعها وتوزيعها ـ وقد مرت هذه المهمة فى المراحل التالية :

١ ـ قامت لجنتنا باعداد المنشورات ـ واستعانت فى كتابتها على الآلة الكاتبة بالسيد / محمد شوقى عزيز الموظف بمصلحة السكة الحديد ـ (وهو صديق وزميل للسيد سعد منصور شقيق اللازم جمال منصور) ـ وقام السيد شوقى عزيز بكتابة هذه المنشورات على

ورق الاستنسل على الآلة الكاتبة وذلك فى المكتب الذى كان يعمل به بعد الظهر وهو مكتب « القطان » المحاسب — بميدان لاظوغلى .

٢ — أما عملية طبع المنشورات فكانت تتم فى البداية فى سطح مبنى مصلحة السكة الحديد بمحطة مصر ، وباستعمال ماكينة الطباعة الخاصة بهذه المصلحة — وكان يشرف على هذه العملية السيد / شوقى عزيز بالتعاون مع أحد السعاة الأميين المسئولين عن طباعة نشرات السكة الحديد نظير أجر للساعى .

٣ — استمرت عملية الكتابة والطبع على هذا الحال منذ بدء الحركة فى عام ١٩٤٥ وحتى نهاية حرب فلسطين .

٤ — قامت اللجنة بشراء ماكينة طباعة « رونيو » من شركة استاندرد ستيشنرى — وتم الشراء باسم السيد محمد شوقى عزيز حتى نتجنب أى شبهات اذا ما تم الشراء باسم أحد أعضاء اللجنة ، وقام بدفع ثمن هذه الآلة السيد سعد منصور شقيق الملازم جمال منصور وكان ثمنها ٣٣ جنيها (ثلاثة وثلاثون جنيها مصريا) دفعها من جيبه الخاص . وكان ذلك فى عام ١٩٥٠ .

٥ — تم ايجار شقة فى أوائل عام ١٩٥٠ فى ضاحية الزيتون وباسم السيد/سعد منصور — لكى توضع فيها آلة الطباعة « الرونيو » وليجتمع فيها أعضاء اللجنة للاتفاق على النقاط التى يتضمنها كل منشور على حدة وفى كل مناسبة . وكانت هذه الشقة هى آخر مكان اجتمعت فيه لجنتنا قبل قيام الثورة .

٦ — قامت اللجنة بتسمية الحركة باسم « الضباط الاحرار » وهذه التسمية جاءت من ابتكار هذه اللجنة

ـ وتم ذلك فى الشقة فى ضـاحية الزيتون وبحضور أعضاء اللجنة التأسيسية والسيد خالد محيى الدين .

٧ ـ أصدرت اللجنة أول منشور باسم « الضباط الاحرار » وأرسل للصحف وقد تضمن المنشور أول هجوم على الملك وتحدثت عنه كافة الصحف ـ ونذكر فى هذه المناسبة انه بمجرد ظهور هذا المنشور ـ حضر البكباشى جمال عبد الناصر والتقى بالملازم جمال منصور بمحل شقيقه بحدائق القبة (شارع مصر والسودان حاليا) ـ وعانقه مبـديا اعجابه وتقديره بما جاء فى المنشور وتأثيره العظيم على ضباط الجيش الأمر الذى زاد من تكتلهم حول الفكرة وتمسكهم بضرورة التغيير .

٨ ـ كانت لجنتنا هى التى تتولى وحـدها عمليـة المنشورات من الـكتابة الى الطبـاعة الى التوزيع ـ ولـكن أرادت المجموعة التى كان يراسها عبد الناصر ـ أن تقوم بكتابة بعض المنشورات ـ وتم كتابة احـداها بمعرفتها ـ الا انه اتجه الى مهاجمة الاشخاص (مثل محمد فريد سـكرتير عام وزارة الحربيـة) ـ وخرج المنشور المذيل باسم الضباط الاحرار ـ بعيـــدا عن المضمون المطلوب .

٩ ـ ثم حدث اتصال مباشر بين المجموعة التى يراسها عبد الناصر وتنظيمنا وأظهرت هـذه المجموعة تخوفها على ماكينة الرونيو التى كانت فى حوزتنا ـ واحتمال أن يكون بعضـنا تحت المراقبة بواسطة البوليس السياسى وعلى ذلك طلب الينا تسليم المـاكينة الى قائد السرب حسن ابراهيم ـ وتم نقل الماكينة من شقة الزيتون فى عربة الملازم جمال منصور وتم تسليمها الى حسن ابراهيم فى الشارع المجاور لقهوة « سفير » بمصر الجديدة وتم

نقلها بعد ذلك الى منزل الطيار عبد الرحمن عنان .

ونظرا لقلة خبرة هذه المجموعة بطريقة تشغيل ماكينة الطباعة ـ فكان جمال منصور يذهب كل مرة الى منزل عبد الرحمن عنان فى مصر الجديدة لكى يقوم بتشغيل الماكينة وطبع المنشورات التى لم تكن ـ بكل أسف ـ على المستوى الذى ظهرت عليه المنشورات فى بداية عام ١٩٥٠ والمذيلة باسم الضباط الاحرار .

ومع ذلك فقد أستمرت لجنتنا فى عملها فى استلام المنشورات وتوزيعها كالمعتاد ، وكان يعاوننا فى التوزيع السيد / عبد الجواد عبد الحافظ (الموظف بادارة الذخيرة) ابن عم الملازم سعد عبد الحفيظ .

ثالثا : أهم الاحداث ..

١ ـ فى أوائل عام ١٩٤٧ ـ التقينا بمجوعة مريبة كان يتولاها آليوزباشى مصطفى كمال صدقى وعن طريق هذا اللقاء ـ تمكنت السلطات من الكشف عن جانب من أعضاء تنظيمنا وتم القبض على مجموعة من الضباط وصار التحقيق معهم فيما سمى بقضية المؤامرة الكبرى وبين المتهمين الصاغ رشاد مهنا .

٢ ـ كان من بين المقبوض عليهم ـ اثنان منا هما : مصطفى نصير ، وعبد الحميد كفافى ـ وقد قامت باقى اللجنة (سعد عبد الحفيظ وجمال منصور) باعداد منشور أثناء القبض على هؤلاء الضباط ـ بفرض احداث وقيعة بين الملك وابراهيم عطا الله ـ والقاء السخط كله على الفريق عطا الله ـ وقد جازت الخدعة على الملك ، وتم الافراج عن الضباط المعتقلين والاستغناء عن خدمات ابراهيم عطا الله .

٣ ــ أعيد الضـــــباط المقبوض عليهم الى القوات المسلحة وتم لقاء بينهم وبين الفريق حيدر باشا ــ وتمت كذلك لقاءات بين الملك فاروق وضباط الجيش بنادى الضباط حاول فيها الملك اكتساب جانب الضـــباط وكان ذلك مؤشرا لاحساسه بالخطر .

٤ ــ تم لقاء بين عبد الحميد كفافى والفريق عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش وذلك بمكتبه بعـد اعادة الاول للخدمة فى الجيش .

٥ ــ فى أوائل عام ١٩٥٠ ــ عبر الصاغ خالد محيى الدين عن اقتناعه بسياسة تنظيمنا الذى كان يغطى كافة الاسلحة ــ وبعمل هادفا الى تحــــرير الوطن وتحقيق أمانى الشعب فى الحرية والعدالة الاجتماعية وأوضح لنا خالد محيى الدين أنه يمثل تنظيم من ذوى الرتب الـكبيرة وهم يؤمنون بهـذه الاهداف ــ وطلب منا أن يندمج التنظيمان فى تنظيم واحد على أن يكون لكل سلاح خلية رئيسية يتفرع منها خلايا فرعية داخله .

٦ ــ وافقنا على اندماج التنظيمين: تنظيمنا والمجموعة التى كانت بقيادة عبد الناصر .

وقد قبلنا هذا الاندماج لسببين :

أ ــ لأهمية وجود رتب كبيرة فى التنظيم .

ب ــ لتجنب ما نتج عن اعتقال كل من مصطفى نصير وعبد الحميد كفافى (قضية عطا الله ــ المؤامرة الكبرى) وتعرضهما ــ وبالتالى باقى لجنتنا للمراقبة اذا ما استمر نشاطنا على مستوى الجيش كله .

وقد عرفنا ان جمال عبد الناصر هو الموجه للتنظيم

الآخر ـ وتعرفنا على بعض عناصره ومن بينهم حسن ابراهيم ، وكمال الدين حسين ، وعبد الرحمن عنان .

٧ ـ ونود أن نوضح هنا انه حتى هذا الوقت لم يكن أى من التنظيمين يطلق عليه اسم « الضباط الاحرار» ثم اختارت لجنتنا التأسيسية هـذا الاسم وجاءت المنشورات بعد اندماج التنظيمين مذيلة باسم « الضباط الاحرار » .

وقد اندمجت خلايانا فى الأسلحة والوحدات المختلفة فى التشكيل الجديد واتضح لنا ان التنظيم الآخر كان يتكون من عدد محدود من الضبـاط من ذوى الرتب الاكبر ـ ونذكر منهم جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، خالد محيى الدين .

٨ ـ بعد الاندماج أصبحت لجنتنا هى اللجنة التأسيسية لسلاح الفرسان وتشكلت من عثمان فوزى خالد محيى الدين ، عبد الحميد كفافى ، جمال منصور، مصطفى نصير ، سعد عبد الحفيظ ، وقمنا بالتوسع فى تجنيد ضباط الفرسان وتشكيلهم فى خلايا حسب وحداتهم ومتابعة نشاطهم والاشراف على برامج تثقيفهم سياسيا .

٩ ـ اقترحنـا على التنظيم ضرورة تحديد وبلورة الاهداف السياسية للحركة وقمنا بوضع هذه الاهداف فى صيغة مبادىء للثورة ـ وتمت مراجعتها ووضعها فى صيغتها النهائية ، وكان ذلك فى منزل الصاغ عثمان فوزى وكانت هذه المبادىء التى وضعتها لجنتنا هى نفسها مبـادىء الثورة الستة والتى جاءت فى كتاب « فلسفة الثورة » .

١٠ — عندما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . عين اليوزباشى مدرعات عبد العزيز صادق مندوبا للقيادة فى وزارة الداخلية — وقد عثر فى مكتب اللواء محمد ابراهيم امام مدير البوليس السياسى — على كشف به أسماء ثلاثة عشر ضابطا مطلوب القبض عليهم فى خلال ٢٤ ساعة — وكان على رأس القائمة اسماء أعضاء لجنتنا : مصطفى نصير ، عبد الحميد كفافى ، جمال منصور ، سعد عبد الحفيظ . وقد قام عبد العزيز صادق بتسليم هذا الكشف الى البكباشى جمال عبد الناصر .

ولقد علمنا — بعد ذلك — ان أمر القبض على هؤلاء الضباط — كان قد تسرب الى علم جمال عبد الناصر مما دعا الى الاسراع بالبدء بالثورة .

رابعا : الاتصال بالاحزاب والهيئات ..

قامت لجنتنا منذ بدء نشاطها — بالاتصال بالاحزاب الثورية فى البلاد بأمل التعاون معها لايجاد نوع من التجمع الوطنى يلتقى فيه قوة الجيش مع الشعب .

١ — فى خلال عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ نشطت مظاهرات الطلبة والعمال ضد الانجليز وضد أحزاب الاقلية — وأخذت جماعة الاخوان المسلمين فى ممارسة نشاطها فى الجيش وانضم اليها مجموعات من الضباط وكان يقوم تجمعهم ويدير جلساتهم فى تدارس الدين وشرح آيات القرآن — الصاغ المتقاعد محمود لبيب — وقد حدث اتصال بين عبد الحميد كفافى ومصطفى نصير وسعد عبد الحفيظ من جهة ، والصاغ لبيب من جهة أخرى — كما تمت لقاءات مع المرشد العام حسن البنا ونشطت

لجنتنا فى العمل على احتواء مجموعات الضباط التى كان قد كونها الصاغ محمود لبيب .

٢ ـ حدث اتصال غير مباشر بيننا وبين أحد أعضاء حزب « حدتو » (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) وكان ذلك بسبب تعطل ماكينة الرونيو التى كنا نطبع عليها المنشورات ـ فقدم الينا الصاغ خالد محيى الدين ـ القاضى احمد فؤاد (مدير بنك مصر حاليا) ـ وكان عضوا فى حزب حدتو ـ وتطوع السيد فؤاد بالقيام بطبع أحد المنشورات التى كنا قد سبق أن أعددناها ـ وسلمنا كل النسخ ـ وتم توزيعها بمعرفتنا .

٣ ـ حدث اتصال مباشر بيننا وبين الحزب الاشتراكى (أحمد حسين) وتم التعاون معه فى مجالات العمل الفدائى فى قنال السويس .

خامسا : العمل الفدائى :

١ ـ قامت لجنتنا بتدريب بعض الافراد على الاعمال الفدائية وكان التدريب على الاسلحة الصغيرة بطريقة نظرية فى الشقة فى ضاحية الزيتون ـ ثم التدريب العملى فى منطقة المقابر لاستخدام الاسلحة والقنابل اليدوية بطريقة عملية وبالذخيرة الحية ـ وكنا نحصل على الاسلحة من مركز التدريب الجامعى حيث كان يعمل الملازم جمال منصور ـ أما القنابل اليدوية والذخيرة ، فكنا نحصل عليها من الاسلحة المختلفة بواسطة الضباط المتعاونين مع الحركة .

٢ ـ قام بعضنا بأعمال فدائية ضد القوات الانجليزية فى منطقة القنال ـ وتم مهاجمة معسكر التل الكبير ، ونسف السكة الحديد أمام بداية المعسكر ـ وقد صدر

بتلك العملية بيان من محطة الاذاعة البريطانية فى لندن .

وقد ترتب على ذلك أن قامت القوات البريطانية وقتها باحتلال التل الكبير حتى تحد من العمليات الفدائية — وقامت مجموعات من شباب الجامعة بالتطوع فى العمل الفدائى فى منطقة القنال تحت قيادة أعضاء اللجنة .

٣ — قمنا بتجنيد مجموعة من الشباب المتحمس للتدريب على عملية تفجير سفينة بواسطة لغم بحرى أثناء عبورها فى قنال السويس — وعرفت هذه العملية فيما بعد باسم « التيتل » .

وتم اتصال بأحد الشبان من خريجى كلية الهندسة واسمه « الشايب » وكان يسكن أمام قصر عابدين — وطلبنا منه تجهيز اللغم البحرى المطلوب تفجيره وعمل كل توصيلاته الكهربائية لامكان تفجيره من على شاطىء القنال .

٤ — تم تدريب مجموعة فدائية من ثمانية من الشباب للقيام بهذه العملية الجريئة وكان التدريب عليها لعدة أسابيع — فى نهر النيل بالقرب من الحوامدية فى أواخر عام ١٩٥١ .

٥ — قام جمال منصور ، وعبد الحميد كفافى بالسفر الى منطقة القنال لرسم المنطقة وتحديد المكان المناسب لوضع اللغم البحرى — وقد قام الزميلان ومعهما السيد صلاح منصور شقيق الملازم جمال منصور — قاموا جميعا بالسفر الى منطقة رأس العش عن طريق بحيرة المنزلة بمركب شراعى — وتم رسم المنطقة وتحديد المكان الانسب للقيام بالعملية وكان الغرض منها هو تفجير

اللغم البحرى لتعطيل القنال ــ وغلقها ــ امعانا فى تحدى انجلترا التى كانت تدعى ان وجودها هناك كان لحماية الملاحة فى القنال .

سادسا : أحداث قبل الثورة مباشرة ..

١ ــ قام الملازم جمال منصور ، والملازم سعد عبد الحفيظ بتحرير وتوزيع آخر منشور تمت كتابته قبل قيام الثورة بعدة أيام تحت عنوان : « هدية العيد » .

٢ ــ علم البكباشى جمال عبد الناصر بخبر تركيز المخابرات العسكرية والبوليس السياسى ــ الاضواء على أعضاء اللجنة التأسيسية لسلاح الفرسان ــ فأرسل الى كل من عبد الحميد كفافى ، ومصطفى نصير ، وجمال منصور ، بذلك الخبر راجيا منهم أن تتوقف لجنتنا عن النشاط والابتعاد عن أى اتصالات أو اجتماعات حرصا على أمن الحركة كلها .

٣ ــ طلب خالد محيى الدين من الملازم جمال منصور أن يبلغ أعضاء اللجنة أن يتوقفوا عن أى نشاط والغاء كافة الاجتماعات حيث ان جهات الامن فى الدولة قد وضعت هذه الجماعة تحت الرقابة الشديدة ــ كما تم هذا التبليغ الى مصطفى نصير عن طريق ابن عمه محمد عبد الرحمن نصير بتكليف من جمال عبد الناصر .

٤ ــ سافر عبد الحميد كفافى ، ومصطفى نصير الى الاسكندرية فى اجازة ــ وابتعد باقى الاعضاء الى أن قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ــ فعاد الجميع الى القاهرة للعمل على تأمين الثورة وحمايتها .

سابعا : أحداث بعد الثورة ..

١ ـ بعد مرور حوالى أسبوع على قيام الثورة ـ طلب جمال عبد الناصر أن يجتمع به الزميل عبد الحميد كفافى فى مكتبه بالقيادة ـ واقترح الاخير عقد لقاءات دورية يحضرها كل من مصطفى نصير ، وجمال منصور، وسعد عبد الحفيظ ـ وقد تم عدد من هذه اللقاءات وكانت المناقشات حول خط سير الثورة وكيفية المحافظة عليها وتأمينها وخطة الثورة فى اصلاح الجيش وموقفها من رجال الحكم السابقين وطريق الحكم الذى يضمن تطبيق المبادىء التى قامت من أجلها الثورة .

٢ ـ فى ١٩٥٢/٨/١٧ ـ تقدم أعضاء اللجنة التأسيسية فى سلاح الفرسان بطلب الى القائد العام (اللواء محمد نجيب) يتضمن ما يلى :

أ ـ تنظيم هيئة الضباط الاحرار وتكوين رئاسة لها بالانتخاب من بين مندوبين الاسلحة وتتبع رئاسة القوات مباشرة ـ على أن تعتبر هذه الهيئة فى مجموعها كبرلمان تناقش فيه الآراء والمقترحات فى كل ما يخص الجيش والبلاد .

ب ـ توزيع ونشر مبادىء الضباط الاحرار ـ على كافة ضباط الجيش حتى تكون دستورهم فى العمل لا يحيدون عنه .

٣ ـ لم يجد هذا الطلب استجابة من القيادة ـ ولم يمض وقت طويل حتى صدر قرار بالغاء تنظيم الضباط الاحرار باعتبار انه قد استنفذ أغراضه ـ ونتيجة لذلك أحس « الضباط الاحرار » بأبعادهم عن مهامهم الثورية واقتلاع جذورهم من الارض التى أنبتوا فيها بذور

الثورة وان أمر الثورة أصبح متروكا بين يدى القيـادة ولا يعنى أى فرد من تنظيم الضباط الاحرار .

٤ ـ كان لهذا الاجراء ـ رد فعل قوى ـ أدى الى تجمع الضباط الاحرار ـ وزيادة تشبثهم بتنظيمهم ـ فلم يكن مستقبل البلاد والجهد المبذول فى سبيل انجاح الثورة ليترك بهذه البساطة دون ما رقابة أو حساب ـ لقد كانت الامانة التىحملناها طيلة سنين الاعداد للثورة تستوجب منا أن نكافح فى تلك المرحلة اللاحقة للحفاظ على مكاسب الثورة وتوجيهها لخدمة الشعب .

٥ ـ ولقد حرصنا على العلاقة الودية التى نشأت بيننا وبين عبد الناصر خلال العمل السرى قبل حدوث الثورة ـ وهذا ما حدانا الى الابتعاد عن اى مظهر يوحى بالانشقاق أو التمرد فى صـفوف الثورة ـ ولم يتعد الأمر من جانبنا سوى الاجتماع والمناقشة وابداء الرأى حفاظا منا على أن تسـير الثورة على طريقهـا القويم لتحقيق الاهداف التى قامت من أجلها .

٦ ـ ورغم صـدور هـذا القرار ـ صمم الضباط الاحرار على بقاء تنظيمهم وبدأت عملية أخرى لتنظيم لجان الضباط الاحرار عن طريق الانتخاب على أساس انشاء لجان جديدة تضم الضباط الاحرار وغيرهم من الصالحين وان لم يكونوا قد اشتركوا فى الثورة ـ وقد تم هذا فى أسلحة الفرسان والمدفعية والمشاة وسميت اللجان المركزية للأسلحة .

٧ ـ وقد كان طبيعيـا أن يتم انتخاب كل أعضـاء لجنتنا نظرا لما كانت تتمتع به من شعبية وقدرة عظيمة

على التأثير فى مجموعة الضباط سواء فى سلاح الفرسان او باقى الاسلحه .

٨ ــ تم ابلاغ القيادة بتكوين هذه اللجان الجديدة ــ وقد كان رد الفعل هو صدور قرار بنقـــل كل من عبد الحميد كفافى ، ومصطفى نصير . وجمال منصور خارج سلاح الفرسان والى وحدات غير مقاتلة ــ ولكن الضباط الاحرار أصروا على بقائنا فى مراكزنا حتى يتم ايضاح أسباب هذا النقل .

٩ ــ فى أواخر سبتمبر عام ١٩٥٢ ــ طلب جمال عبد الناصر عقد اجتماع يحضره كافة الضباط الاحرار ، فى سلاح الفرسان لمناقشة كفافى ، ونصير ، وجمال منصور ، وسعد عبد الحفيظ ــ أمام باقى الضباط لوضع حـد لهذا الموقف وكان الاجتماع فى ميس سلاح الفرسان ، وحضره عبد الناصر ، وحسين الشافعى ، وكل من كفافى ، ونصير ــ ولم يتمكن جمال عبد الناصر من كسب جانب الضباط الى وجهة نظره فكان هذا تعبيرا واضحا عن تمسك الضباط الاحرار بلجنتنا وتأكيدا لما كانت تتمتع به من شعبية عظيمة وقدرة على التأثير .

١٠ ــ ازاء هذا الموقف ــ طلب عبد الناصر من كفافى ونصير أن ينفذا قرار النقل بشكل صورى حفاظا على هيبة القيادة لدى باقى الاسلحة ــ وأقسم بأنه سوف يعيد كفافى ونصير الى سلاح الفرسان بعد بضعة أيام .

١١ ــ تم نقل كفافى الى الواحات البحرية ــ ونصير الى الحدود على طريق مصر الاسكندرية ــ وجمـــال منصور الى التدريب الجامعى ــ أما سعد عبد الحفيظ فقد عرض عليه أن يعمل ضابطا للاتصال بوزارة الداخلية ــ فلما أصر على البقاء فى الفرسان ــ صدر أمر نقله الى

السلاح البحرى ثم تم القبض عليه كما سيأتى ذكره فيما. فيما بعد .

١٢ ــ وتصادف فى هذه المرحلة ــ أن قام أحد الضباط بكباشي حسنى الدمنهورى « مشاة » قام بالتحدث علنا مع الضباط فى سلاح الفرسان منتقدا الأوضاع والطريق الذى تسير عليه الثورة ــ وما كان من القيادة الا أن أصدرت قرارا بالقبض عليه ــ وكذا مجموعة أخرى من الضباط وأودعوا جميعا بسجن الاجانب وكان من بينهم الزميل سعد عبد الحفيظ ــ وكذا محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت من سلاح المدفعية ــ وقد حوكم الضباط بأحكام مختلفة وكان الغرض من هذه المحاكمة هو التخويف وتكميم الافواه .

١٣ ــ بعد محاكمة الضباط فى مؤامرة الدمنهورى ــ تم الغاء اللجان المركزية وتشتيت الضباط الاحرار حتى يخلو الميدان من أى معارضين ــ ولكن ظلت الاثار السيئة لهذا الاجراء كامنة فى نفوس الضباط الاحرار .

١٤ ــ تمت اقالة محمد نجيب كرئيس للجمهورية بدون أى مقدمات أو أى تحضير ذهنى للضباط أو للشعب ــ وأحدث هذا الاجراء رد فعل عنيف فى صفوف الشعب والجيش ــ وتم اجتماع فى ميس سلاح الفرسان وطالب الضباط بالديمقراطية وعودة الحياة النيابية للبلاد على أن يقتصر دور القيادة على معاونة ومراقبة سير الحياة النيابية حتى تأخذ مجراها الطبيعى ويبتعد الجيش عن الحكم .

١٥ ــ وقد كان هذا الموقف الحازم الذى وقفه ضباط الجيش فى سلاح الفرسان ــ ازاء « أحداث

مارس ١٩٥٤ » هو استمرار للعمل الثورى الذى نبت مع الفكرة التى حملتها لجنتنا منذ بدء الاعداد والتمهيد للثورة .

١٦ — تظاهر عبد الناصر فى هذا الاجتماع بالموافقة على عودة الحياة النيابية — واقترح خالد محيى الدين رئيسا للوزارة لفترة مؤقتة يقوم خلالها بالتمهيد للعودة بالبلاد الى الحياة الديمقراطية — واتفق على أن يذهب خالد فى اليوم التالى الى القيادة ليتلقى هذا التكليف منها — وعند وصوله قوبل بمظاهرة عدائية عنيفة وتم الاعتداء عليه بالضرب بواسطة كمال رفعت واحمد انور — وطرد من القيادة ثم تم نفيه الى سويسرا — واعتقل عدد كبير من الضباط .

١٧ — ولعل وضوح قوة لجنتنا التأسيسية للضباط الاحرار — ومدى شعبيتها وقدرتها على التأثير فى صفوف الجيش — أثارت الانتباه الى ازاحتها عن مدار الثورة — وزاد الاقتناع بالتخلص منها حينما أصرت هذه اللجنة على استمرار وتعزيز تنظيم الضباط الاحرار كضمان لحماية الثورة فى تحقيق أهدافها وحين حرصت على أن يتم اعلان مبادىء الثورة ونشرها للالتزام بها فى كل خطوة تخطوها الثورة — وحين طالبت بعودة الحياة النيابية ونبذ الحكم الفردى .

١٨ — ولقد لجأ بعض أعضاء القيادة الى احاطة أنفسهم بكثير من الانصار والاتباع ممـا أدى الى توسيع دائرة الاختصاص والهيمنة على مؤسسات الدولة — ومن هنا نشأت مراكز القـوى وتحول الجيش الى مؤسسة سياسية وانصرف عن اداء أهم واجباته العسكرية — فكان فشل حرب اليمن ونكسة ١٩٦٧ .

خاتمة :

١ ـ مع اقتناعنا بوجود حركات وطنية سبقت حركة الضباط الاحرار أو واكبتهـــا ـ الا أن ما سبق سرده يوضح بصورة جلية ـ ان لجنتنا فى مرحلتيها قامت بمجهود أساسى فى سبيل التمهيد للثورة وسارت على طريق الاعداد لها فقطعت معظم الطريق ان لم يكن كله :

(أ) فقد حملت لجنتنا الفــكرة منذ بدايتها ـ وعملت على تكتيل الضباط حولها وتنبيه الرأى العام فى البلاد من أجل نجاحها .

(ب) وتولت كتابة المنشورات وطبعها وتوزيعها .

(جـ) واشترت آلة الطباعة « الرونيو » لتأمين عملية الطبع .

(د) واسمت الحركة باسم « الضباط الاحرار » .

(هـ) وضعت لجنتنا مبــادىء الثورة الستة كما جاءت تماما فى كتاب فلسفة الثورة .

(و) وقامت بنصيبها فى العمل الفدائى ضــــد قوات الاحتلال البريطانى .

٢ ـ ويجب أن نوضح أن لجنتناكانت تنظيما أساسيا قائما بذاته ـ وقد جند حوله لجــان فرعية فى جميع أسلحة الجيش ـ وكان هذا التنظيم وما قام به من أعمال فى فترة الاعداد ـ هو الاساس الذى قامت عليه الثورة .

٣ ـ ولقد كان اللقــــاء فى عام ١٩٥٠ بين تنظيمنا والتنظيم الذى كان بقيادة جمــــال عبد الناصر يعنى اندماجنا بين التنظيمين ـ ولكنه لم يعن بأية حال قيــام قيادة أو أشراف من قبــل التنظيم الآخر على تنظيمنا

وفروعه ـ ونشهد بأن تنظيمنا لم يكن له فى يوم ما اى تطلعات رئاسية .

٤ ـ ونود أن نوضح أن اللجنــة التأسيسية لسلاح الفرسان كانت قد اجتمعت فى أغسطس ١٩٥٢ لكى تبدأ فى تسجيل أحداث ما قبل الثورة وفترة الاعداد لها ـ وكان علينا أن نبلغ مجلس الثورة بذلك ووافق المجلس على البدء فى هذا التسجيل ـ ولكن لم تمض أيام ثلاثة حتى جاءنا السيد خالد محيى الدين ـ ليبلغنــا بأن المجلس يريد ان يطلع أولا بأول على ما نكتبه ووافقنا على ذلك ووافينا المجلس بكل ما سجلناه منذ البداية ـ ولكن جاءنا نفس الرسول بعد ذلك ليحمل الينا قرارا من مجلس الثورة بوقف الكتابة فى هذا الموضوع حتى لا تحدث بلبلة فى النفوس خاصة وأن الثورة كانت تعيش ربيعها الاول .

ونعترف بأننا لم نكن سعداء بهذا القرار ـ ولكننا قبلناه وفاء منا للرابطة الاخوية والقــومية التى كانت تربطنا ببعض اعضاء المجلس منذ أن كنا نعمل سويا فى ظلام الليل قبيل فجر الثورة وتفجيرها .

لذلك نقول ان هذا الفصل من تاريخ الثورة ـ كاد أن يجد طريقه على صفحات التاريخ فور نجاح الثورة لولا ما حدث .

٥ ـ وقد كان أمرا حسنا أن يطلب منا أخيرا ـ أن نعود بالذاكرة الى ما يقرب من ربع قرن مضى لكى نسرد وقائع التاريخ بعد أن ظلت حبيسة فى النفوس مغلقة فى الصدور طيلة هذه الفترة ـ وبذلك تكون قد سجلنــا سطور الحق وصورنا الاحداث صـــادقة لكى تشع فى

تاريخنا لمحة النور التى كادت تخبو أو تنطفى .

٦ ـ وأخيرا تقول :

لقد أخطأ من قال « الثورة كانت خبطة عشوائية وقعت بين ظلام الليل وفجر النهار أو مغامرة عفوائية حدثت تحت أجنحة الظلام ساعة غياب الحاكم :

ولكنا نقول ـ ونحن من روادها ـ ان الثورة كانت فكرة جامحة بين الطلائع وكان نجاحها مرتبطا بجدية التمهيد والاعداد لها ـ والعمل فى حرص ومثابرة وسكون ـ ونشهد بأن فترة التمهيد والاعداد كانت جهدا وعرقا ومخاطرة ـ عاشتها طلائع مصر من شبابها وضباطها ـ وقامت لجنتنا فى هذه الفترة بدور أساسي وفعال منذ عام ١٩٤٥ ـ وتخطت الصعاب ومهدت السبيل الى أن تحقق الأمل وظهر مع الفجر ... فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

مع وافر الاحترام ..

توقيع :

عبد الحميد كفافى ـ مصطفى نصير ـ
جمال الدين منصور ـ سعد عبد الحفيظ

واجبات المدرعات

وقبل ليلة الثورة نسق الرئيس الراحل مع عبد الفتاح على أحمد لكى يتولى أركان حرب المدرعات ، ومع خالد محيى الدين ومع ثروت عكاشة ومع حسين الشافعى ومع ضباط آخرين من أسلحة أخرى لكى يعملوا مع المدرعات مثل كمال رفعت ، ومجدى حسنين ، وحين عاد الرئيس أنور السادات الى القاهرة

قام ببعض مهامه مع مجموعة من المدرعات فجر ٢٣ يوليو .

وكانت واجبات المدرعات ليلة الثورة كما جاءت بخطة التحرك وكما طبقت بعد ذلك هي :

ـ احتلال رئاسة الجيش ، وقد سبقت قوات البكباشي يوسف صديق قائدا للكتيبة الاولى مدافع ماكينة قادما من هاكستب ـ ثوار المدرعات وقوات يوسف صديق ـ وهي القوات التي جاءت مبكرة عن موعدها ساعتين وانقذت الثورة من الفشل ، كما سيأتي شرحه في فصل قادم . وقد حدث تعاون والتحام بينهما بعد وصول أحرار الفرسان وسيطرة أحرار مدافع الماكينة على القيادة واحتلالها .

ـ تأمين مداخل كوبرى القبة والعباسية باعتبارها مناطق عسكرية تضم القيادات العليا لاسلحة الجيش ، وذلك بالتعاون مع وحدات المدفعية واحرارها من الضباط بقيادة كمال الدين حسين .

ـ احتلال اذاعة القاهرة ومحطات الارسال .

ـ معاونة جماعات الاعتقال في القبض على قادة الجيش من رجال الملك .

واشترك ليلة الثورة كلٌ من :

ـ الآلاى الخامس سيارات مدرعة .

ـ الآلاى الثالث دبابات .

ـ الكتيبة الميكانيكية .

ـ أساس الفرسان وقد قام الضباط والجنود من هذا الاساس بدورهم كقوات مشاة للمدرعات .

ـ آلاى استطلاع من المدرعات ، وساهم في القبض

على القادة القدامى باشراف كمال رفعت .

ـ الآلاى الخامس فرســـان وكان على رأس احرار المـدرعات فى التحرك الى الاسـكندرية يوم ٢٥ يوليو ومحاصرة رأس التين صباح اليوم التـــالى مع قوات المشاة والمدفعية الساحلية تحت حمـــاية الطـيران ، وبالاشتراك مع عناصر من البحرية .

وقد روى لى « السيد عبد الفتاح على أحمد » انه كان كأركان حرب السلاح ليلة الثورة مسئولا عن تجهيز الوحدات للتحرك وامدادها بالذخيرة ، وقد نسق معنا السيد الرئيس السادات بعد الواحدة صباحا للسيطرة على الاذاعة فطلب من الزميل مجدى حسنين أن يقـود تروب اســـتطلاع من المدرعات للتوجه الى أبى زعبل وتأمين منطقة الارسال ولحقت بهم قبل أول ضوء ، ثم قام السادات مع آلاى استطلاع من المدرعات أيضا ، وكان معه قوة بقيادة ملازم أول محمود حجازى وملازم ثان فكرى بطاح للسيطرة على وزارة الداخلية ، ومديرية الأمن والقبض على قادة البوليس السياسى الملكى وتأمين شبكات اللاسلكى المدنية فى أنحاء العاصمة ، وكذلك مصلحة التليفونات .

وعندما تحركت وحدات المدرعات الى الاسـكندرية سـبقها كل من الرئيس الســادات وحسين الشافعى والمرحوم يوسف صديق للتعاون فى تنفيذ الخطة التى وضعها زكريا محيى الدين وأشرف عليها حتى يتم طرد الملك ، وقد أسند الرئيس الراحل قيـــادة هذه المهمة ميدانيا للبكباشى مدفعية م ـ ط عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، وعاونه بكباشى عبد المنعم عبـد الرءوف الذى ظهر فجأة بعـد أن قطع صـلاته

بالضباط الأحرار فى بداية عام ١٩٥٢ ؛ لرفضهم الارتباط بالاخوان المسلمين الذين ينتمى اليهم عبد المنعم عبد الرءوف منذ الاربعينات ومنذ كان طيارا بسلاح الطيران ، ومحاكمته بتهمة الهرب الى الالمان أثناء الحرب العالمية الثانية مع الفريق عزيز المصرى باشا ؛ ومعهما زميله الطيار حسين ذو الفقار صبرى ، ثم اعادته للجيش ضابطا بالمشاة مبعدا تماما عن الطيران ، وقد فر عبد المنعم عبد الرءوف الى السعودية عام ١٩٥٤ ، وصدر الحكم غيابيا باعدامه ؛ ولم يعد الى الوطن الا عام ١٩٧٢ .

يوسف صديق
والخطأ الذى أنقذ ثورة يوليو

قال عنه ثوار يوليو فى الأيام الأولى للثورة انه أسطورة ، وكانوا يشيرون الى دوره ليلة الثورة بالاكبار والاعجاب والتقدير ، ويتحدثون عن جسارته وجرأته واقدامه ، تلك الصفات التى ظل يتمتع بها حتى لحظاته الأخيرة ، والتى كانت عاملا هاما خلف نجاح الثورة .

انه بكباشى المشاة ، والثائر القديم ، وبطل يوليو ، يوسف منصور صديق ، قصة مثيرة من قصص ثورة يوليو الخالدة ، وخلفياتها الأكثر اثارة .

ولقد عرفت المرحوم يوسف منصور صديق فى يونيو ١٩٥٢ بعد قيام الثورة ، وكنت حريصا على زيارته فى نهاية عام ١٩٧٠ ، وأسعدنى الحظ بلقائه أكثر من مرة عام ١٩٧١ ، ودار بيننا حوار صريح ، لم يسمح لى بنشره الا فى يوليو ١٩٧٢ ، وقد تعرض أكثر مما اتفقنا على نشره للحذف والشطب والتأجيل .

ان نجاح الثورة مدين لخطأ تاريخى صغير ارتكبه المرحوم يوسف صديق ، فقد تردد بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ان يوسف صديق ورجاله تحركوا قبل منتصف الليل ، ليلة ٢٣ يوليو الى منطقة كوبرى القبة للمعاونة فى احتلال مبنى رئاسة الجيش ـ وكان الواجب

الرئيسي فى هذه المنطقة من نصيب الكتيبة ١٣ مشاة بقيادة العقيد أحمد شوقى ، والصاغ صلاح نصر ، وجاء يوسف صديق قبل موعده بساعتين وقيل ثلاث ساعات ليجد قادة الملك قد اجتمعوا فى مبنى القيادة أو رئاسة الجيش بعد أن علموا بنبأ تحـــرك الثـوار ، تجمعوا واتخذوا قراراتهم وهموا بمغادرة المبنى لضرب الحركة بتحرك مضاد حين فاجأهم يوسف صديق فقبض على بعضهم فى الطـــريق وقبض على رئيس الاركان المرحوم حسين فريد باشا داخل مكتبه ... وهى قصة سيأتى ذكرها بالتفاصيل عبر الحوار معه .. لكن ما يهمنا هو لماذا قام يوسف صديق بالتحـــرك مبكرا عن موعده ساعتين أو ثلاث ساعات ؟

هـل لان اليوزباشي زغلول عبـــد الرحمن رسول عبد الناصر اليه ، أبلغه خطأ بالموعد .. كما قال الرئيس عبد الناصر ذات يوم ، وكما ردد يوسف صديق نفســه بعد ذلك ؟

أم أن هناك سرا لم يذع بعد ؟

لقد تردد هذا السر همسا خـــلال الاسابيع الاولى للثـــورة ، وسمحت لنفسى أن أستعيده أمام المرحوم يوسف صديق عام ١٩٧١ .

قيل أن يوسف صديق كان قد تناول نصف بطيخة مثلجة ظهر يوم ٢٢ يوليو داخل معسكره بالهاكستب ، وهى منطقة عسكرية فى نهاية مصر الجديدة على طريق السويس ، وانه كان يحتفظ لديه بزجاجة صغيرة بهـا كأسين من البراندى ، فتناولهما لايقاف بعض الآلام التى شعر بها فى أمعائه ، لكنه ما لبث أن وجد نفسه فى حاجة ماسة الى قليل جديد من البراندى ، فتحرك مبكرا ،

وغادر منطقته العسكرية فى الحادية عشر مساء بدلا من الواحدة بعد منتصف الليل ، وقضى وقتا طويلا داخل « بار محل بالميرا بمصر الجديدة » منتظرا وصول الكتيبة ١٣ مشاة التى ستقوم بالواجب الرئيسى فى منطقة كوبرى القبة ، ولكنها لم تصل ، حتى نهاية القصة التى نقرأها فوق الصفحات القادمة .

ولقد قلت للمرحوم يوسف صديق وهو يستمع لى ضاحكا :

ـ « ان كأسين من الخمر أنقذا الثورة ، وهذا لايعيب الثورات ، فكم من الاخطاء الصغيرة أنقذت أعمالا تاريخية كبيرة .. »

واتسعت ضحكة المرحوم يوسف منصور صديق قائلا :

ـ حتى لو صدقت هذه القصة فما هو الضرر ؟

لقد أنقذت بواسطة رجالى الشجعان ثورتنا من الفشل ، وأبعدت حبل المشنقة عن رقاب زملائى ثوار يوليو ، والفضل كله يعود الى تحركى أو تحركنا نحن ثوار الكتيبة الاولى مدافع ماكينة قبل موعدنا بثلاث ساعات أو ساعتين ، لا أذكر الآن بالتحديد كم كان فارق الوقت ..

وفى لقاء آخر ، وحول هذا الموضوع ، دار حوار جديد معه ، وقد صحح لى القصة قائلا :

ـ اننى أؤمن بالانضباط ، ولم أكن أتحرك لأى سبب على الاطلاق قبل الموعد المحدد لى حسب الخطة ، وأنا أعلم أننا نتحرك لتغيير وجه التاريخ فى البلد ، لاسقاط النظام الملكى وطرد قوات الاحتلال الاجنبى ، وهو عمل

ضخم يحتـــاج فى الدرجة الاولى للانضباط والـدقة والتغطية الكاملة .. فـاذا افترضنا أن بعض الضباط من عيون الملك شاهدوا تحركي وأنا أغادر هاكستب قبل موعدى ، هل كانوا سيكتفون بالمشاهدة ، أم بالعمل والتحرك المضاد ؟!

لقد قيل بين ما قيل الى جانب قصة البراندى أن يوسف منصور صديق خرج مبكرا عن موعده بساعتين حتى يلحق باحدى الصيدليات يتناول فيها حقنة مضادة للنزيف الذى أصيب به قبل الثورة بفترة طويلة ، وانه أى أنا أصبت به نهار الاستعداد للثورة ، نهار ٢٢ يوليو .. وكل هذا حدث فعلا ، لكننى لم أتحرك مبكرا من أجل الصيدلية ، ولا من أجل اللحاق بالبار .. لقـد تحركت مبكرا تنفيذا للموعد الذى حدده لى اليوزباشى مشاة زغلول عبد الرحمن رسول عبد الناصر لى ، وحين وصلت مصر الجديدة لم أجد الكتيبة ١٣ مشاة كما هو متفق عليه من قبل ، فأخفيت قواتى فى شارع جانبى فى نهاية منطقـة الـكربة وعرجت على بار بالميرا وتنـاولت كأسين من البراندى ثم عدت الى قواتى لأجد عبد الناصر وعبد الحكيم مقبوضا عليهما بواسطة الملازم ثان محمد احمد غنيم ، أحد ضباطى .. فأفرجت عنهما .. ثم بقية القصة التى رويتها لك .

وها هى القصة بالكامل أرويها للحقيقة والتاريخ ، قصة الكتيبة الاولى مشاة بنـادق وقـائدها المرحـوم بكباشى يوسف منصور صديق والذى كان يرافق الرئيس الراحل فى أكثر زياراته لدول العالم سرا ولم يكن هذا مسموحا باذاعته أو نشره ، وقيل تبريرا فى هذه الرفقة الاجبارية ، أن الرئيس الراحل كان يخشى تحرك يوسف

صديق ، وضعف بعض الضباط من أبنائه ، وأنه قد ينجح فى القيام بانقلاب سريع يطيح بالثورة ، وقيل أيضا أن الرئيس الراحل كان متألما لفرض وتحديد الاقامة على يوسف صديق داخل بيته وعزله عن أصدقائه ، وانه كان يرفه عنه باصطحابه معه خلال جولاته وزياراته العالمية .. وهذا التفسير أقرب الى التصديق والمنطق .

قالوا عنى « اننى ملحد » فذهبت الى قبر الرسول ، وساعدنى الرئيس السادات فى الحج الى بيت الله برفقة زوجتى وأولادى .

قالوا عنى اننى يسارى ، فعلمت أولادى دروس القرآن الكريم وحرصت على أن يحفظوا آياته .

حاولوا أن يقنعوا الجماهير بأننى ساهمت فى ثورة ٢٣ يوليو لغير خدمة مصر ، فكتبت مذكراتى للحقيقة وللتاريخ .

لقد قدر للبكباشى ثائر المشاة يوسف صديق أن يتوارى خلف الستار زمنا طويلا حتى صعدت روحه الى رحاب الله .. وحين كتبوا عنه انحرفوا بتاريخه بين سطور كتاباتهم ، واستغل البعض فترة عاشها الرجل متأرجحا باحثا عن الحقيقة ، فنسج قصصا تخدم أهدافا أخرى بعيدة تماما عن حياة وفكر وعطاء وتاريخ البطل العملاق المرحوم العقيد يوسف صديق . الرجل الذى ارتكب خطأ صغيرا ليلة ٢٣ يوليو فأنقذ الثورة ، وغير مجرى التاريخ فى المنطقة العربية والافريقية من العالم .

كل من ذهب الى مجلس قيادة الثورة بكوبرى القبة ـ مقر وزارة الحربية الآن ـ خلال الايام القليلة التى تلت ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كان بالضرورة سيتوقف بالتأمل فى

شخصيات جيـــل الشباب من الثوار الضباط وفى مقدمتهم البطل الثائر الراحل المغفور له العقيد يوسف صديق ، لما فيه من شخصية قيادية مسيطرة . وسلوك رفيع ونضج ، وقدر كبير من الوضوح والثقة والصراحة والجرأة ، الى جانب التفاف عدد كبير من صغار الضباط حوله ، وقد ظلوا دائما معه رغم التباعد والتمزق الذى عانوه ، حتى صعدت روحه الى الخالق عز وجل فى الثانية من صباح ٣١ مارس ١٩٧٥ .

وفى الأسبوع الأخير من يوليو ١٩٥٢ ، كان عدد كبير من الضباط الاحرار الذين تواجدوا فى مجلس قيـادة الثورة ، قد أخذ يتحدث فى تفاصيل ليلة الحركة ، وعرف الصحفيون الذين ذهبوا اليهم «وكنت أصغرهم» ان عددا ليس بقليل من خلايا التنظيم تقاعسوا فى اللحظة الاخيرة ، وتمارضوا أو اختفوا ، بل ان بعضهم اعترف فى جرأة بجبنه وخوفه ، كمـا عرفوا أن عـددا كبيرا ممن لم ينضم قبلا الى التنظيم قد خرجوا مع الثوار حين تبينوا الهدف ، وكانوا بحكم مهامهم داخل وحـداتهم ليلة ٢٣ يوليو .

وثمة أسرار كثيرة مرتبطة بتلك الليلة المحفورة فى تاريخ وطننا لم تذع حتى الآن غير ان أهمهـا وأبرزها ما إتصل بالمرحوم العقيد يوسف صديق .. فقد وصفه الضباط الاحرار بأنه منقذ الثورة حين تعرضت لشبه نكسة قبل العـــاشرة من مساء ليلة خروج الوحدات العسكرية الثائرة الى قلب القاهرة .

وفى سبتمبر ١٩٥٢ ، أجريت حديثا صــــحفيا مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وكان ضابطا عاديا

بين أعضاء مجلس الثورة ، وسألته صحة ما ردده الضباط الثوار عن « البكباشى يوسف صديق » فأيده بالتفصيل .. الا أن هذا الحديث الصحفى لم يكتب له النشر الكامل فقد حذفت الرقابة الجزء الخاص بالكتيبة الأولى مدافع ماكينة ، وهى كتيبة يوسف صديق .

وفى عام ١٩٧١ ، أخذت أبحث عن الضباط الاحرار ، وقد التقيت بأكثر من مائة ، وكان من بينهم بطبيعة الحال بطلنا الراحل العقيد يوسف صديق رحمه الله ، وبعض ضباط كتيبته والكتائب الاخرى ١٣ و ١٦ و ١٧ و ١٩ و ٢٠ مشاة الى جانب ضباط المدفعية والمدرعات والاشارة وسلاح خدمة الجيش ثم الطيران ممن ضمهم تنظيم الضباط الاحرار .

كان يوسف صديق يردد دائما أن ثورة ٢٣ يوليو لم تولد من فراغ فى الجيش ذلك لان المصرى عاش منذ ثورة القائد البطل أحمد عرابى خصائص شعبه ، ومنذ غزو الاحتلال لبلادنا ، والمد الثورى لم يتوقف بين الضباط المصريين ، ولم يكف عسكرى وطنى واحد عن الانتظار المتشوق الى ظهور مجتمع مصرى جديد .

الحقيقة والتاريخ ..

قال لى رحمة الله ونحن نقضى سهرة ريفية عسكرية فى بيته بمدينة المهندسين بالقاهرة :

ـ للحقيقة وللتاريخ ، بدأ الضباط فى وحداتهم يسمعون فى بداية الاربعينات عن الضابط الجرىء « أنور السادات » ويتناقلون قصص اصطدامه مع القادة دون أن يعرفوا شكله أو ملامحه ، ثم بدأنا نسمع عن

ضابط آخر هو « المرحوم الشهيد محمد وجيه خليل » يملك صفات ووطنية السادات ، وفى عام ١٩٤٢ ، سمعنا عن أبعاد « السادات » عن الجيش عقابا له على نشاطه المعادى لقوات الاحتلال البريطانى .

وكان لهذا الابعاد أثره فى نفوس الذين عرفوه ، والذين سمعوا به ، كما قلل الى حد كبير من لقاءات الضباط الذين تشغلهم قضية مصر ، وصلتها بالحرب العالمية الثانية ، حتى جاء نوفمبر عام ١٩٤٧ ، وكان المرحوم العميد عبد الواحد سبل مدير هيئة التدريب من الضباط المعروفين بوطنيتهم ورجولتهم ، وكنت أحد المقربين منه للصفات التى تجمعنا .

فى هذه الايام جاء ابراهيم عطا الله باشا رئيس الاركان الى العميد سبل وطلب منه فى نهاية الزيارة الموافقة على صلاحية صفقة سيارات ، اعترض عليها سبل من قبل تم رفض قبولها .. وصمم أمام ابراهيم عطا الله على استمرار رفضه ، وتنتهى القصة باحالة الرجل الشريف الى الاستيداع .

وانتشرت هذه القصة بين ضباط الجيش وسعيت ومعى بعض زملائى الى اقامة حفل تكريم لهذا الرجل ، وتحدث ١٧ من الضباط فى هذا الحفل عن الفساد فى البلاد ، وبعد أيام اعتقل الملك بعض هؤلاء الضباط ، وأمر بتشتيت الباقى الى المناطق النائية ، وكانت منقباد من نصيبى ثم تحركنا الى فلسطين ، غير ان قصة هذا الحفل وما جرى لنا بعده خلقت مناخا ثوريا بين جميع الوحدات التى حاربت فى فلسطين ، واستطاع الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بمقدرته الفائقة على تكوين

الخلايا السرية الثورية والنشاط التنظيمى بين الضباط . وبأسلوب فريد يعتمد على الكتمان والسرية ، أن يستغل هذا المناخ أحسن استغلال ، وبدأ على الفور فى تكوين الخلايا على مستوى ضباط الجيش ثم الطيران والبحرية .

هامش :

ــ « كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ضابطا بالكتيبة السادسة مشاة بنادق فى منطقة الفالوجا ، وكان البطل الراحل يوسف صديق ضابطا بالكتيبة السابعة مشاة بنادق التى حررت أسدود ، وذلك قبل أن ينتقل الى الكتيبة الاولى مدافع ماكينة التى استولت على القيادة العامة ليلة ٢٣ يوليو » .

* كيف وأين ومتى ؟

ولقد سألت المرحوم يوسف صديق :

ــ كيف التقيت بجمال عبد الناصر ، وأين ومتى ؟

ــ كضابط له اهتمامات وطنية قبل أن أتخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٠ ، وكان عمرى عشرين عاما ، لم أنقطع عن لقاء أصحاب الافكار الثورية بمختلف اتجاهاتها على الاطلاق ، وفى الجيش عرفت جماعات عديدة كان لها نفس الاهتمامات ، ولم يكتب لبعضها أن تشترك بعد ذلك فى ثورة يوليو ، الا أننى لم أكن أقتنع فى أعماقى بجدية بعض هؤلاء الضباط ، حتى جاءنى صديقى الضابط وحيد جودة رمضان ، وقد التحمنا فى حرب ١٩٤٨ ، جاءنى فى بداية عام ١٩٥١ ، وحدثنى عن جمال عبد الناصر وكنت بحكم ما ذكرته لك قد سمعت به ، ثم وضع « وحيد » أمامى بعض منشورات الضباط

الاحرار لأتبين مدى اتجاهاتهم وخططهم الوطنية وكنا في القنطرة شرق ، واقتنعت بهـا ، وانضممت الى التشكيل السرى بقيادة الزعيم الراحل ، وعهد لى بتجنيد من أراه صالحا للعمل معنا ، وشرعت على الفور في تجنيد صغار الضباط الذين يخدمون تحت قيادتى وظللنا نعمل لليوم الكبير بكل الحماسة والامل في مستقبل جديد لوطننا ، حتى صدر قرار عسكرى بنقل كتيبتى الى أسوان وفى ١٣ يوليو ١٩٥٢ ، وصلت القاهرة قائدا لمقدمة الكتيبة فى انتظار وصول بقية القوات لنرحل الى أسوان ، وبهذه المقدمة احتللنا القيادة العامة للقوات المسلحة وقبضنا على كبار ضباطها وعلى رأسهم رئيس الاركان أيامها بعد تسعة أيام من وصولنا .

كان عدد أفراد المقدمة ٧٥ جنديا ، و ١٢ ضابطا يشكلون القوة الادارية للكتيبة وأذكر ان أكثرهم من الضباط الأحرار ، وفى منطقة هاكستب تمركزنا ،وذهبت الى لقاء الزعيم الراحل وزملائى من اعضاء الهيئة التأسيسية للتشكيل ، وتقرر يومها قيام هذه المقدمة كمفرزة أولى او كطليعة قوات بالهجوم على القيادة العامة مع بعض كتائب المشاة حتى زارنى الزعيم الراحل يوم ٢١ يوليو ، وأبلغته أن قواتى على استعداد للتحرك وعرفت منه أنه سيرسل لى بساعة الصفر .

وتوجهت الى قيادتى وصباح ٢٢ يوليو عرفت من أركان حربى النقيب عبد المجيد شديد ان الضابط النوبتجى لم ينم فى المعسكر ، وان حادثا قد وقع لأحد الجنود ففكرت على الفور فى استغلال هذا الموقف حتى يقضى جميع الضباط هذه الليلة بالكتيبة دون أن يعلموا بساعة الصفر حرصا على زيادة الكتمان والسرية فقلت

فى اجتماع ضم الجميع :

ـ « عقابا لكم على غياب هذا الضابط ستنامون جميعا هذه الليلة بالمعسكر ، وســـأكون معكم حتى لا يتخيل أحدكم اننى سأكون بعيدا فى بيتى » .

وفى بداية المساء جاءنى اليوزباشى زغلول عبد الرحمن وأخبرنى بأن أتحرك فى الواحدة بعد منتصف الليل بدلا من الثانية عشرة مساء ، الموعد المتفق عليه من قبل ، ولو فعلت ما طلبه منى لقضى علينا جميعا قبل أن نتحرك من معســكراتنا جميعا !! خطـــأ صغير غير مجرى التاريخ .

مفاجأة فى ((الكربة))

ومع حديث الذكريات سألت المرحوم يوسف صديق ، زيادة فى الشرح .. تتحدث قائلا :

ـ ليلة الثورة ، قـــدم ثلاثة من أحرار المدفعية الى بيت زميل لهم يصحبونه للقيام بالواجبات التى كلفوا بها ـ وكان هذا الضابط فى أجازة ، وقد اندهشت أمه حين رأته يرتدى بدلته العســـــكرية ، ثم أخبرها أنه سيقضى السهرة مع أصدقائه فى أحد الملاهى .. وشعرت الأم ان ابنها يدبر شيئا خطيرا ، فاتصلت بشقيقه الأكبر وكان على صلة برجال السراى وأخبرته بهواجسها ثم عادت تقول لولدها الاصغر أنها اتصلت بأخيه الأكبر حرصا عليه !!

وذهب الضابط الصغير يروى ما حدث من أمه للزعيم الراحل ، ولم يكن هناك مفر من الاستمرار فى تنفيذ الثورة .

ولقد اتصل شقيق هذا الضابط بالسراى الملكية التى اتصلت بدورها بحسين فريد باشا رئيس الاركان وقتها ، وفى الحادية عشرة مساء كان قادة الاسلحة من باشوات الملك على مائدة واحدة بمقر قيـــــادة الجيش بكوبرى القبة ، يضعون خطة قيام ثورة مضادة لثورة الضباط الأحرار .

وفى دقائق انتهى الاجتماع وانصرف كل قائد الى مقر قيـــادته للسيطرة عليه ومنع الضـــــباط والجنـــود من التحرك .

وعندما تحركنا ، وبعد ٨٠ مترا من الهاكستب التقينا «باللواء عبد الرحمن مكى باشا» فى الطريق الينا ، وعلى الفور قبضنا عليه ، وكانت مفاجأة شديدة له ، لو تأخرنا قليلا لدخل المعسكر وقبض علينا .

ومضينا فى طريقنا ، فالتقينا بالقائد الثانى « أميرالاى عبد الرءوف عابدين بك » وكان يحاول اللحاق بمكى باشا ، فقبضنا عليه هو الآخر وركب بجانب قائده ، وفى تلك اللحظة عرفت أن القدر لعب دورا كبيرا ، واننا نواجه ثورة مضادة يقوم بها الملك وقادته .. ثم وصلنا منطقة « الكربة » بمصر الجديدة ، وتوقفت قليلا فثمة مفاجأة اعترضتنى بل واذهلتنى تماما !

كان مفروضا كمـــا فهمت من الزعيم الراحل اننى سألتقى بقوات أخرى تقتحم قيادة الجيش وتسيطر عليها ثم ننضم لها ندعمها ونؤيدها ، وكانت هذه القوات تمثل المدفعية والدبابات والكتيبتين ١٣ و ١٧ مشاة ، ولكنى وجدت مصر الجديدة حتى مشارف كوبرى القبة صامتة

هادئة يلفها الليل والهدوء ولا مظهر واحد من مظاهر الثورة .

وتجمدت قليلا والحيرة تدور برأسي ، ثم هداني التفكير الى الدخول بشارع جانبي ربما هو شارع السلطان حسين اذا لم تخنى الذاكرة ، وفكرت فى جمال عبد الناصر وكيف أعثر عليه ، ثم ذهبت الى مطعم «بالميرا» سعيا وراء التليفون .

وعدت الى رجالى وسمعت صخبا فى مقدمة اللوريات وكنت بالخلف أتحدث الى الضباط والجنود بشأن التقدم لا التراجع ومهاجمة قيادة الجيش والاستيلاء عليها حتى تصل بقية القوات ، وتوقفت على صوت ينادينى ، واذا بى أتبين صوت جمال عبد الناصر ، فتوجهت اليه فورا ، فرأيت أحد ضباطى وكان برتبة ملازم ثان « أحمد متولى غنيم » يحاول القبض على الزعيم الراحل لأنه برتبة بكباشى ، وكانت التعليمات التى أعطاها لنا جمال عبد الناصر من قبل هى القبض على كل ضابط يحمل رتبة بكباشى فما فوق ، ولكن سلامة العمل فى الخلايا السرية لتشكيل الضباط الاحرار لم تكن تسمح لكل الضباط بمعرفة جمال عبد الناصر أو قائد الثورة حتى ليلة الثورة نفسها .

وشرح لى رحمه الله الوضع والموقف بأكمله ، وعرفت منه أننى جئت بقواتى مبكرا ساعة عن موعدى ، وأن السراى عرفت بالثورة ، وان اجتماعا مضادا عقد برئاسة الجيش ، ولا يزال « حسين فريد باشا » هناك بعد أن انصرف أكثر قواده ، وقد حملوا أوامرهم باجهاض الثورة .

ورغم ان الموقف كان يوحى باليأس ، بل بفشل الثورة

واحتمال عدم مجيء بقية القوات او خروجها فى ساعة الصفر ، الا أن ثقته بنفسه وبنا كانت أكبر من المفاجأة ، فتجاوزنا جميعا تلك المحنة ، واتفقنا على التقدم واقتحام القيادة دون أبطاء ، وقال رحمه الله عليه يومها جملة لا أنساها سمعناها كلنا ضباطا وجنودا .. قال فى ايمان :

ـ « على بركة الله سيروا وتقدموا » .

وتقدمنا جمال عبد الناصر فى سيارته الأوستن يضيء لنا الطريق وعلى مسافة كيلو مترين من مقر رئاسة الجيش بكوبرى القبة توقفنا ، ووضعنا خطة فورية كالآتى :

ـ مجموعة أمام المستشفى العسكرى العام ـ مجموعة ثانية أمام كوبرى السيوفى لقطع الطريق من مصر الجديدة والعباسية أمام اى قوات مضادة ، ومجموعة تهاجم القيادة وتحتلها وقد واجهنا فى البداية وعند المدخل قوة بوليس حربى كانت قد جاءت لتدعيم وحماية القيادة القديمة، ولما عرفوا بالثورة قدموا لنا أسلحتهم وانضموا الى بقية الجنود .

وفى الداخل دارت معركة بالرشاشات واستشهد جندى من رجالى اسمه « سيد عبد الحليم الشرطى » ، وقام النقيب عبد المجيد شديد بتسليم جثمانه الى أسرته بمنقباد ، ثم ظهرت العربات المدرعة والدبابات والمدفعية وتنفسنا جميعا الصعداء ، واحسسنا بنجاح الثورة ، وكنا قد قبضنا على « حسين فريد باشا » وثلاثة من ضباطه من بينهم « قائد الطيران شعراوى باشا » وبناء على تعليمات الزعيم الراحل نقلنا كل القادة القدامى من المعتقلين الى مبنى الكلية الحربية القديم المواجه لرئاسة

الجيش كاعتقـــــال وقتى ، وتم التنسيق بين مختلف الأسلحة ، وعرفت ساعتها ان قوات الثورة استطاعت أن تنتصر على الثورة المضـــادة ، وان تخرج فى ساعة الصفر ، وتشترك بواجباتهـا وأن تتجـــاوز العقبات والمفاجآت ، ولم نهدأ حتى سمعنا صوت الرئيس أنور السادات وهو يذيع بيان الثورة الاول ، وكان قد غادرنا بعد أن سيطر على شبكة الاتصالات التليفونية واللاسلكية فى القيادة وعبر المناطق العسكرية الهـامة ، وفى مناطق مدنية أخرى كمصلحة التليفـــونات ، ومديرية الأمن المسيطرة على قوات البوليس بالقاهرة .

وبدأت الساعات الاولى من عمر الثورة حين خرجنا الى شوارع العاصمة وتأييد الجمـــاهير يشحننا بالقوة والأمل والرجاء .

هذه هى قصة الثائر المناضل البطل يوسف منصور صديق ، من مواليد ٣ يناير عام ١٩١٠ ، ولد فى قرية زاوية المصلوب ، مركز الواسطى مديرية بنى سويف ، لأب كان ضابطا بالجيش المصرى فى السودان ، وتخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٠ ، وعمل بالكتيبة العاشرة مشاة بالسلوم ، ثم تنقل بين القاهرة ومنقباد ، ومرسى مطروح ، والاسماعيلية ، وفلسطين ، ثم سيناء .

وأصيب البطل بتسوس فى العمود الفقرى ، وظل عاما ونصف عام يرتدى جاكت من الجبس وحصل على كلية الأركان وهو داخل هذه الجاكت ، ثم أصيب بسل الرئة ، وكان ينزف دما كل يوم ، وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، نزف مرتين ، ولم يعـــاوده النزف مرة أخرى حتى عام ١٩٦٩ .

ومرض بالسكر ، وعولج فى الاتحـــاد السوفييتى ، وقطع علاجه وعاد الى القاهرة حين سمع بوفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .

وبعد عام ١٩٧٠ ، أصيب بالسرطان وقـد وفر له الرئيس السادات العلاج فى لندن ثلاث مرات حيث أجرى ثلاث عمليات جراحية و فى احداها أزالوا احدى رئتيه غير ان المرض توغل فى الرئة الاخرى وصعدت روحه الى الخالق عز وجل بمستشفى المعادى للقوات المسلحة بعد صراع مع الموت استمر أربع سنوات .

ترك الخدمة العسكرية عام ١٩٥٣ ، وتعرض لاضطهاد الذين سرقوا ثورة يوليو ، ثم نجح فى انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٥٧ ، وكان على اتصـــال دائم بالزعيم الراحل بعد ذلك ، ورافقه فى عديد من الرحلات التى قام بها الى الخارج .

حج الى بيت الله عام ١٩٧٣ بدعوة من الرئيس أنور السادات .

ترك الفقيد الراحل ثمـانية من الأبنـاء ٤ ذكور ، و ٤ أناث .

عبد المنعم أمين

عضو مجلس قيادة الثورة

ثمة قصة أخرى لها دلالات هامة فى مسار الثورة ، قبل قيامها وبعد نجاحها ، هى قصة البكباشي عبد المنعم أمين ، عضو مجلس قيادة الثورة ، ودوره خلال الاشهر الاولى من عمر الثورة .

وربما نسي جيلنـــا ، وكان بعضنا فى العشرين أو الثلاثين من العمر عام ١٩٥٢ ، ربما نسى اسم عبد المنعم أمين ، ومن هنا حرصت على تحقيق قصته كاملة ، ليس لكونه واحدا ممن تركوا لجنة القيادة قبل أن ينتهى العام الاول على قيام الثورة ، بل لأنه لعب دورا هاما وخطيرا خلال الأشهر الاخيرة من عام ١٩٥٢ ، فضلا على عدم اشتراكه فى أول مجلس عسكرى انعقد فى فبراير ١٩٥٣ برئاسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لمحاكمة أول مجموعة من الضباط الأحرار ، ارتبطت أسماؤها بقضية السيد رشـاد مهنا ، وحوكموا بتهمة احـداث فتنة فى القوات المسلحة ، ثم هو فى البداية واحد من ثلاثة بين ثوار المدفعية القـدامى الذين قـاموا بطبع المنشورات السرية الوطنية عام ١٩٥٠ ، بعيدا عن تنظيم الضباط الأحرار .

تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٤ أى أنه تخرج بعد

دفعة رشاد مهنا بعامين وقبل دفعة الرئيس السادات بثلاثة أعوام ، وأربعـــة أعوام بالنسبة لدفعة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

بداية ١٩٥٠ اشترك ثلاثة ضباط من المدفعية المضادة للطائرات والطيران فى اصدار منشورين ثوريين ، عاونهم موظف مدنى هو « المرحوم صلاح عبد المجيد » الكاتب الادارى بمدرسة المساعدة الجويه بالقوات الجوية وهى مدرسة كانت تابعة للدفاع الجوى .

قام المرحوم صلاح عبد المجيد بطبع المنشورين باشراف الضباط الثلاثة وهم :

بكباشى عبد المنعم أمين مدفعية ــ عضو مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٢ .

بكباشى عبد الحليم الدغيدى ــ وهو طيار قديم ــ يمت بصلة قرابة للواء طيار عبد الحميد الدغيدى ، أحد الذين حوكموا من أجل النـــكسة مرتين ، وحصل على البراءة فى نهاية المحاكمتين عام ١٩٦٨ .

صاغ ابراهيم عاطف ــ مدفعية ــ وهو البكباشى بعد ذلك ابراهيم حافظ عاطف ، المتهم رقم ٣ فى قضية رشاد مهنا .

سألته :

ــ فيم تحدثتم خلال هذين المنشورين ، وأين قمتم بتوزيعهما ، ولماذا منشوران فقط ، ألم يكن لكم أعوان من ضباط السلاح ؟

وقال عبد المنعم أمين :

ــ كنت أعمل أيامها بقيادة الدفاع الجوى قبل أن أتولى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات حتى قيـام الثورة ،

يجمعنا تفاهم وخط فكرى واحد وثقة متبادلة وأكثرهم خرج معنا ليلة ٢٣ يوليو بدافع هـــذه الثقـــة وايذانا بضرورة الخلاص والتضحية .

أما عن استمرارنا فى طبع هذه المنشورات ، فكان خلفه احساس بأنه لا جدوى من هذا الطريق ، فالجيش كله كان مشحونا بأقصى المشاعر الرافضة للفســـاد الذى تعيشه البـــلاد ، وقياداتنا لاهيـــة ، والاحزاب فى واد آخر ، اذن المنشورات لماذا : لتعبئة من ؟!

قلت للسيد عبد المنعم أمين :

ومتى بدأت علاقتك بتنظيم الضباط الاحرار ؟

ـ نهاية عام ١٩٥٠ زارنى الصاغ كمال الدين حسين، وكنت أعرفه بحكم الزمالة فى سلاح المدفعيه وسمعت وقرأت بعض المنشورات التى يصدرها تنظيم الضباط الاحرار . واعلم أنه أحد أعضـــاء هـــذا التنظيم ، زارنى وعرض ان أنضم الى تنظيمهم .

ولقد شرحت له وجهـــة نظرى فى استمرار اصـــدار المنشورات السرية ومدى حاجتنا الى خطـــوات عملية أكبر ، ولم أعترض على الانضمام اليهم ، بل قلت له أننى معكم عندما تتحركون .

ومرت الايام واذا بكمال الدين حسين يحدثنى تليفونيا صباح ٢١ يوليو ١٩٥٢ ، ويخبرنى بالمرور على فى البيت مساء اليوم نفسه وفى العاشرة مساء جاء وبرفقته الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وناقشنا موضوع التحرك ، وتحدثنا طويلا ، واتفقنا على الخطوط الاساسية للثورة وأهدافها ، وفى المقدمة اسقاط الملكية ، ثم حددنا موعدا جديدا « الثالثة ظهر اليوم التالى فى بيت خالدمحيىالدين.

بمصر الجديدة » لتوزيع الواجبات . وفى الموعد المحدد كنت هنـــاك ، ووجدت زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم ، وبالطبع خالد محيى الدين ، وأحمد طعيمة وابراهيم الطحاوى ، وناقشــنا الخطــة وتفصيــلاتها ووضعنا التعديلات الطارئة وانصرفنا .. كل ضابط منا الى بيوت الضباط الاحرار فى سلاحه ، ومررنا أنا وكمال حسين على منزلين ، بكل مجموعة من أحرار المدفعية لنعطيهم آخر تلقينات التحرك .

كان مطلوبا من الضــــباط الاحرار وأكثرهم برتبة الصاغ ، كان مطلوبا منهم أن يتواجدوا بأســلحتهم ١٢ مساء ليخرجوا بوحداتهم ، ووجدات ان البعض يشعر بالتردد ، وتساءلوا بماذا نبرر تواجدنا بالاسلحة فى هذه الساعة من الليل ؟!

وحتى أقضى على هذا التردد الذى يشكل خطورة على تماسكهم وتحركنا ، وقعت لهم أمرا « كضابط عظيم » بالسلاح لحضورهم الى وحداتهم فى هذا الموعد مدعيــا قيام حالة طوارىء ، حتى اذا فشلت المهمة لا قدر الله يكونون فى الجانب الآمن .. فعلت هذا مع الضباط الذين مررنا عليهم فى المنزلين تلك الليلة .

سألت :

ماذا كنت تشغل أيامها ؟

ــ كنت بقيادة الدفاع الجوى فى منطقة العباسية .

ــ وهل كنت « ضابطا عظيما » تلك الليلة ؟

ــ لا بالطبع ولكنها مغامرة محسوبة ، وكان لها تأثيرها الناجح .

وذهبت الى حفلة سينما سواريه ، وتركتها عند منتصف الفيلم ، عدت الى بيتى واستبدلت ملابسى ، وتوجهت الى رئاسة المدفعية ، وقام كل منا بمهامه حسب الخطة .

سؤال .. سمعنا انك طلبت من البكباشى ابراهيم حافظ عاطف أن يتصل بالقائمقام رشاد مهنا فى العريش ، ويطلب منه باسمك الحضور الى القاهرة ، وان هذا الاتصال حدث عدة مرات ، ثم جاء رشاد مهنا يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ ؟

هذا صحيح .. ولقد اتصلت شخصيا برشاد مهنا لكى يحضر الى القاهرة .

ـ هل سألت الرئيس الراحل أو محمد نجيب أين رشاد مهنا أو أخبرتهم بأنك ستتصل به للحضور ؟

ـ لم يحدث ، ولكنى اتصلت من خلال احساسى به كأحد قادة المدفعية ، وكضابط من جيل الاساتذة له قاعدته العريضة من ضباط السلاح ووجوده سيصبح عاملا ايجابيا فى تدعيم الثورة وأعرف دوره مع قياده تنظيم الضباط الاحرار ، وقد اندهشت بعد نجاح الثورة حين لم أجده بيننا ، وسألنى عدد ليس بقليل من ضباط المدفعية الاحرار .. أين رشاد مهنا ؟ ومن هنا وبكل حسن النية اتصلت به لكى يحضر ، وقلت لابراهيم عاطف وانا أستعد للسفر الى الاسكندرية لمهمة اقالة فاروق وطرده أو قتله اذا رفض الاستقالة والخروج من البلاد ، وهى مهمة انتقلت من أجلها وحدات فرسان ومدفعية ومشاة الى رأس التين ، وقد توليت القيادة العامة بينما تولى عبد المنعم عبد الرءوف قيادة المشاة ،

قلت لابراهيم عاطف، وأنا أستعد للسفر الى الاسكندرية، اتصل برشاد مهنا وأبلغه بأن يلحق بنا .

ولقد فعل الرجل .. جاء القاهرة ولم أره بالاسكندرية .

هل غضب الرئيس الراحل من تصرفاتك ؟

ـ لم أتبين ذلك فى سلوكه ولكن المفاجأة كان لها أثرها عليه حين رأى أمامه رشاد مهنا وعرف اننى طلبت منه الحضور الى القاهرة ، عندما فاجأنا « رشاد » بوجوده بيننا أثناء عقد أحد اجتماعاتنا بمقر القيادة فى كوبرى القبة وتحدث كل من الرئيس الراحل والصديق رشاد بصراحة تامة .

وماذا بعد ذلك ؟

ـ ناقشنا موقفه واتفقنا على اسناد منصب الوصاية على العرش اليه ، وذهب جمال سالم وفاتحه فى ذلك ، ووافق رشاد مهنا ، ثم بدأت سلسلة الصدامات .

منذ متى بدات علاقتك بالسيد رشاد مهنا ؟

ـ منذ المرحلة الثانوية ، كنا معا بطنطا الثانوية ، ومعنا الزميل حسين الشافعى أيضا ، وفى مرحلة المدرسة الحربيةكان رشاد مهنا يسبقنا بعامين وتزاملنا وهو باشجاويش المدرسة ـ الكلية الحربية فيما بعد .

ما هو تاريخ خدمتكم ؟

ـ التحقت بالمدفعية ميدان بعد تخرجى مباشرة وقضيت عاما بالقاهرة ثم نقلت الى العريش ، والتقيت برشاد مهنا عام ١٩٣٥ هناك ، وتزاملنا ضباطا بسلاح واحد .

وتنقلت الى الانوار الكاشفة وخدمت بين منطقة القناة والعاصمة حتى عام ١٩٤٧ ، وتقدمت لامتحان الالتحاق بكلية أركان حرب المدفعية وكنت الأول على الناجحين والمرحوم الفريق عبد المنعم رياض — رقم — ٢ — فى الترتيب ، فسافرنا فى بعثة عسكرية الى انجلترا ، وعدت لاسافر مرة ثالثة الى سويسرا عام ١٩٤٨ مع الزميل حسين ندا ، وهو ضابط مدفعية ميدان ، لشراء اسلحة .

الاسلحة الفاسدة ؟

هل هذه البعثة الى سويسرا ، خلف استدعائك للشهادة فى قضية الأسلحة الفاسدة عام ١٩٥٠ .

— نعم ، وثمة عدد ليس بقليل يمثلون أسلحة أخرى فى الجيش أدلوا بشهادتهم ، غير أن معظم هؤلاء الشهود عدلوا عن أقوالهم الأولى تحت ضغط وتهديد السراى الملكية وأعوان الملك .

وكانت هذه القضية وخلفياتها أحد العوامل التى دفعتنى ودفعت زملائى لاصدار المنشورين السريين عام ١٩٥٠ .

بعد بعثة شراء الاسلحة من سويسرا .. ماذا توليت ؟
— قيادة بطارية مدافع م — ط — ثم كبيرا للمعلمين بمدرسة المدفعية المضادة للطائرات ، ومنها الى قيادة الدفاع الجوى عام ١٩٥١ ، وظللت بها الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

قلت للسيد عبد المنعم أمين :

— فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ ، أصدر مجلس قيادة الثورة قراره بتشكيل أعضاء مجلس القيادة ، حيث

ضم السيدين زكريا محيى الدين وحسين الشافعى ، كيف ناقشتم تكوين مجلس قيادة الثورة ؟

ـ لم يحدث أن جلسنا لنناقش تكوين مجلس الثورة، مجموعة ضباط الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار برئاسة الرئيس الراحل قبل الثورة هى التى تولت القيادة ، وأصدرت قرارها بعد ٢٦ يوليو بأن يتولى اللواء محمد نجيب منصب القائد العام للقوات المسلحة ، وفى البداية تولى كل منا قطاعا .. حتى أن جمال عبد الناصر كان يشغل منصب مدير مكتب القائد العام ، وعهد له بالسياسة الخارجية . وفى أوائل أغسطس قررت الهيئة التأسيسية ضم أربعة الى مجلس قيادة الثورة وهم :

١ ـ زكريا محيى الدين .

٢ ـ حسين الشافعى

٣ ـ المرحوم يوسف صديق

٤ ـ عبد المنعم أمين

كيف عهد الى السيد زكريا محيى الدين بادارة المخابرات ؟

ـ بترشيح من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، أخبرنا عرضا فى أحد الاجتماعات ولم يعترض أحد منا ، واعتقد انه اختار زكريا لهذه المهمة لأنه راجل داهية ، وبلا طموح شخصى فى الرئاسة ، وقد تفرغ زكريا محيى الدين لهذا العمل تماما .

هل نقترب أكثر من فهم الرئيس الراحل لرفاق الثورة ؟

ـ عبد الناصر رحمه الله كان ذكيا ورؤيته لها أبعاد

تستوعب بسهولة طبائع ونسيج ومعدن الرجال ... يستوعب كل هـذا بسهولة ، وان كان كتوما لا يعلن رأيه ...

لقد رأيت عبد الناصر يثق تماما فى كمال الدين حسين والمرحوم عبد الحكيم عامر ، ويسيطر على زميل مدفعية ثالث ، وحين يثير هـذا الزميل المشاكل والصعاب ، يدفع شقيقه الاكبر لمواجهته .. وبمرور الاشهر الاولى من الثورة ، نمت الغـيرة والحقـد الشخصى بين بعض أعضاء القيادة ، وعشنا مناخ عدم الثقـة والتشكك ، وانطلقت عدة اشاعات ضـد بعضنا .. استهدفوا أنور السادات فى البداية ثم يوسف صديق فجمال سالم ، ثم عبد المنعم أمين .. فرشاد مهنا .

ولقد كان مخططا وضع بذكاء للتخلص منا ومن ضباط المدفعية الذين أثاروا قضـايا أسلوب الحكم فى بداية الثورة ، مخططا بدأوا فى تنفيذه مع اكتوبر عام ١٩٥٢ ، وأشرف عليه « المرحوم صـلاح سالم » ناشرا أكاذيب واشاعات ضدى وضد الآخرين ، ملصقا بى كل الاخطاء التى نسبت لمجلس قيـادة الثورة ، وانتهى المخطط بالقبض على ما يقرب من ٢٥ ضابط طوبجى ، ثم حالوا بينى وبين الالتقاء برفاق السلاح من المدفعية ، بدعوى ان ثورة المقبوض عليهم قائمة ضدى !

الاتصال بأمريكا ..

اسمح لى بسؤال له أهميته التاريخية :

ما هى حقيقة اتصالك بالامريكان مع بداية الثورة ، والى أى مدى قطع مجلس قيـادة الثورة شـوطه مع أمريكا ، وما هى خلفية هذه الاتصالات ؟

لم يكن للثورة اتجاه نحو الشرق أو الغرب ، صحيح كان لها ارتباطات بالاخوان المسلمين عن طريق بعض الضباط ، وارتباطات أخرى بالشيوعيين عن طريق ضباط آخرين ، وكل جانب حاول جاهدا وبأقصى امكانياته السيطرة على اتجاه الثورة وكان عبد الناصر ، بل كنا بالمرصاد لهذه المحاولات ... غير إن واقع الأمر يوم ٢٢ يوليو كان مهددا بتحرك القوات الانجليزية ضد تحرك الجيش المصرى ، واتفقنا على ان نقوم على صبرى كضابط بالمخابرات الجوية الملكية بالاتصال مع صديقه الملحق الجوى الامريكى صباح ٢٣ يوليو لابلاغه بالثورة وتعهدنا بحماية أرواح وممتلكات الاجانب ويطلب اقناع امريكا للسفارة البريطانية فى القاهرة بجدوى عدم التدخل عسكريا ضدنا لأننا سنقابل مثل هذا التدخل بفتح النار عليهم .

واتصل على صبرى تليفونيا الساعة ٧ صباحا يوم ٢٣ يوليو بصديقه الملحق العسكرى الجوى الامريكى ، وقمت أنا بموافقة مجلس قيادة الثورة بالتوجه الساعة ٩ صباحا لمقابلة القائم بالاعمال اذ كان السفير الامريكى المستر كافرى موجودا بالاسكندرية وشرحت أهداف الثورة ، وهى القضاء على الفساد فى الجيش فقط .

الم يعترض أحد من أعضاء مجلس الثورة أو لجنة القيادة على هذا الاجراء ؟

ـ خالد محيى الدين عارض منذ البداية ، وقلنا له لو اصطدمنا بالقوات الانجليزية لفشلت ثورتنا ... اننا لا نريد ثورة دموية !

ولقد نجح الامريكان فى وقف تحرك الانجليز فعلا ..

فى صباح ٢٣ يوليو ، أرسل ممثل الحكومة البريطانية انذارا الى قيادة الجيش المصرى يهدد بتدخل القوات الانجليزية برا وجوا وبحرا لحماية الارواح والممتلكات الاجنبية فى مصر ، اذا وقع عليها أى اعتداء .

وفى دقائق أرسلنا دوريات بقيادة عناصر كثيرة من الضباط الاحرار تجوب القاهرة لمنع مظاهرات التأييد من التوسع خوفا من أن يندس عميل بين جماهير الشعب التى خرجت تؤيد الثورة .

ولم يستطع الانجليز شيئا !

وجاء يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢ ، وكنت قد حاصرت بقوات المدفعية راس التين وحاصر عبد المنعم عبد الرءوف القصر بمشاته ، وتبادل جنود مشاتنا اطلاق الرصاص مع جنود حرس القصر الذين تركوا اسلحتهم وفروا داخل القصر ، الا ان جنودنا المشاة لم يتوقفوا عن اطلاق الرصاص ، وبحثت عن عبد المنعم عبد الرءوف ليوقف هذا السيل من الطلقات ولكنى لم أجده ، واستطعت مع الزميل « خالد فوزى » ـ مدفعية ـ أن نسيطر على المشاة ونوقف اطلاق النار ، ولم ندر أن هذه العملية خدمتنا بقدر كبير دون اعداد أو تدبير ..

لقد ارتعد فاروق داخل القصر حين سمع طلقات الرصاص المستمرة وتخيل انه سيموت لا محالة ، ومن هنا وقع على وثيقة التنازل عن العرش وهو يرتعش خوفا واضطرابا ودون تباطؤ أو تردد ، ووفر علينا مهمة التخلص منه بالقتل اذا رفض التنازل عن العرش ومغادرة البلاد .

ولكنه قبل ذلك كان قد استطاع الاتصال تليفونيا

بالانجليز والسفير الامريكي فارسلت الحكومة البريطانية انذارها الثاني صباح ٢٦ يوليو تهدد بالتدخل ضدنا في حالة سفك أي دماء .

وجاء شهر اغسطس ووجدنا ان امريكا لديها استعداد لمعاونة الثورة المصرية ، وناقشنا الأمر في مجلس القيادة ، واردنا عقد لقاء تمهيدي بين السفير الامريكي واللواء محمد نجيب ، ولما كنت على صلة صداقة بالامريكان في القاهرة فقد وجهت الدعوة لعشاء في بيتي ، وجاء مستر كافري برفقة اثنين من مساعديه أحدهما بدرجة وزير مفوض .

وتكلم كافري ، واستمع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر جيدا ، وبدأ كافري صريحا في سياسته التي أعلنها أمامنا « ننتظر لنرى تطور الاحداث » .

وتعددت لقاءاتي بمرور الايام مع الوزير الامريكي المفوض ماكلنتك ، وبعد شهرين جاء أحد وكلاء وزارة الدفاع الامريكية الى القاهرة ، وطلبني القائم بالاعمال واقترح لقاء مع القادم من واشنطون من أجل الحصول على السلاح .

وحددنا موعدا ، وذهبنا اليه ، المرحوم جمال عبد الناصر والمرحوم عبد الحكيم عامر ، وأنا ، والتقينا في بيت القائم بالاعمال الامريكي ، وتحدثنا طويلا ، ودخلنا في نقاش حول امكانيات التعاون بيننا وبينهم ووجدنا ترحيبا بطلباتنا .

حدد الرئيس الراحل مقدمة طلباتنا العاجلة بالحصول على السلاح الامريكي ، لتطوير امكانيات قواتنا المسلحة ، واتفقنا معهما على ارسال على صبري من الطيران ،

والنكلاوى من المدرعات ، الى واشنطن من أجل صفقة السلاح المطروحة ...

وقضى الرجلان ١٥ يوما فى امريكا علمنا خلالها ان تشرشل طلب من ايزنهاور أن ينسى تماما أى وعود أعطاها للثورة المصرية بشأن الاسلحة قائلا :

ـ ان الجيش المصرى سيستعمل هذا السلاح فى قتل جنودنا بالقناة .

وطلب الامريكان أن ندفع مقدما ثمن السلاح المطلوب ووافقنا ، فعادوا وطلبوا أن نترك قائمة طلباتنا لدراستها ... ولم يتحقق شىء بعد ذلك ..

محاكمة كفر الدوار !

سؤال آخر :

بين اغسطس وسبتمبر ١٩٥٢ ، قمت برئاسة محكمة كفر الدوار التى تولت محاكمة العمال الذين قاموا بحرق وتخريب مصانع كفر الدوار ، ونفذ حكم الاعدام فى العاملين خميس والبقرى ، وردد الشيوعيون أن الفاشية العسكرية المصرية تطبق تعليمات المخابرات الامريكية ... ثم سافرت انت فى مهمة سرية الى انجلترا ... ماذا وراء هذه الاحداث ؟

ـ كان خميس والبقرى ينفذان مخططا شيوعيا لاشاعة الفوضى والتخريب فى كفر الدوار ، وهو مخطط لم يكن موقوفا على كفر الدوار فحسب ، بل المحلة الكبرى وشبرا الخيمة ، ولم يكن سرا ان الحركة الشيوعية بقيت مسيطرة على بعض العناصر العمالية المصرية حتى بعد قيام الثورة ، وهدف هذه الحركة

تشريد آلاف العمال لشحنهم ضد الجيش والقيام بثورة مضادة .

عندما بدأت عمليات الحرق والتدمير فكر عبد الناصر فى أرسال أحد الضباط الاحرار لايقاف هذه المؤامرة ، واقترحت أن أتولى المهمة لأننى كنت قادرا على حسم الموقف موضوعيا وبدون « انفلات أعصاب » والتصرف بدون رجوع للقاهرة ...

ولقد وجدت هؤلاء العملاء من المخربين قد قتلوا عشرة أشخاص جنود شرطة وعمال ، الى جانب الحريق والتخريب الذى أحدثوه فى كفر الدوار .

وعقدنا محكمة ثورة توليت رئاستها وتولى حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة وعبد العظيم شحاتة من الضباط الاحرار فى المدفعية المضادة للطائرات ، عضويتها وقام السيد «عبده مراد» عضو مجلس الشعب السابق بأعمال المدعى العسكرى ، ومن خلال قانون الاحكام العرفية الذى كان معمولا به منذ حريق القاهرة ، نظرنا الدعوى وأصدرنا أحكامنا . وبعد أعلانها وصل الى مجلس الثورة كما وصلنى برقيات عديدة من الهيئات السياسية والعمالية الشيوعية فى شرق أوربا ، تهاجم الاحكام والقيادة المصرية وتهاجمنى شخصيا ولا زلت أحتفظ بهذه البرقيات حتى اليوم !

ولقد أوقفت هذه الاحكام استمرارالحركة الشيوعية فى تخريب وتدمير مرافق البلاد .

نسيت أن أذكر لك أننى لاحظت عدم وجود محامين أثناء المحاكمة للدفاع عن المتهمين ، وتطوع الاستاذ موسى صبرى وكان يغطى المحاكمة صحفيا ، بالدفاع عنهما باعتباره احد خريجى كلية الحقوق .

سؤال :

سمعنا انك والسيد رشاد مهنا ، كنتما خلف اعداد قوائم كبيرة من ضباط الجيش الذين أحيلوا للمعاش ، أكثرهم من أصحاب الكفاءة والسيرة الشخصية الطيبة .. هل هذا صحيح ؟

ــ قيل لهؤلاء الضباط ذلك ، ولم يحدث أن اشتركت فى اعداد قائمة ضباط لاخراجهم من الجيش ، ولكن الهدف من هذا القول هو خلق تيار معاد لنا ، ولولا يقظة بعض الزملاء الذين أدركوا هذا المخطط وفسروه لرفاق السلاح ، لصدقوا القصة ، ولقد أعترف أحد ضباط المدفعية برتبة نقيب ممن حوكموا بعد ذلك لزملائه فى السجن وبعد أن رفض عبد الناصر اختياره عضوا بمجلس قيادة الثورة ، اعترف بهذا المخطط وابعاده ... وقال مفسرا :

ــ « كان مطلوبا التخلص من عدد ليس بقليل داخل مجلس قيادة الثورة » .

قلت للسيد عبد المنعم أمين :

معنى ذلك انك لم تشترك على الاطلاق فى اعداد قوائم تطهير الجيش من الضباط ؟

ــ لم أشترك ، ولكنهم سألونى رأيى بالنسبة لسلاح المدفعية ، وقلت لهم ان رشاد مهنا أدرى منى بهذه المسائل ، وقد شغل فترة طويلة أركان حرب قوات القاهرة ، وعلى دراية تامة بكل ضابط ... ومدى علمى ان رشاد مهنا حدد أسماء قليلة جدا لابعادها عن الجيش ، وهى المجموعة التى لا يختلف اثنان على فسادها ، غير

ان هذه القائمة تطورت وتطور حجمها الى عدة أضعاف

رشاد مهنا وزملاؤه

سألت :

لماذا لم تشترك فى محاكمات أحرار المدفعية والمشاة والمدرعات. ورشاد مهنا الذين قبض عليهم وحقق معهم وحوكموا بعد تصفيتهم أمام قيادة الثورة ؟

لقد طلبت بصفتى عضو مجلس قيادة الثورة صورة من التحقيقات التى أجريت مع هؤلاء الضباط ، وقال عبد الناصر ان زكريا محيى الدين سيعطيها لك ، ولكنه تجاهل الطلب أكثر من مرة ، وأحسست بالمناورات وسط المجلس ، وببعض الاشاعات تلقن لعددمن الضباط يرددونها فى وحداتهم ومجالسهم ضدى ، وقررت الاستقالة ، وأرسلتها الى جمال عبد الناصر الذى عاد بها ومعه كمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر ، ومزقوها امامى ، واقترح جمال اجازة أقوم بها طلبا للراحة ، وفى خلال أجازتى صدرت أحكام قضية رشاد مهنا ، فعدت من جديد وكتبت استقالتى للمرة الثانية .

وفى مايو ١٩٥٣ ، عقدنا اجتماعا بناء على طلبى ، وتزعم صلاح سالم حملة هجوم مؤداها ان عاصفة فى الجيش والبلد ضدى ، وتكلمت بصراحة مطلقة ... وقلت اننى على استعداد للمحاكمة اذا كانت هناك اتهامات محددة تستطيعون مواجهتى بها ، والا فاننى سأغادر مصر الى الابد .

واقترح عبد الناصر اجتماعا ثانيا ، وعرض على أن اشغل منصبا دبلوماسيا بالخارج واعتذرت ، وانصرفت الى بيتى .

وعلمت انه أجرى عملية جراحية فزرته بالمستشفى واذا به يخبرنى ان مجلس الوزراء سيصدر قريبا قرارا بعد ساعات بتعيينى سفيرا لمصر فى فرنسا ، طلبت منه الغاء هذا القرار على الفـــور ، وأمام تصميمى أمسك التليفون وألغى القرار !

وقد تحدث عبد الناصر بكل هذه التفاصيل كما بلغنى بعد ذلك ، أمام أعضاء مجلس قيادة الثورة ، الذى أصدر قرارا بتعيينى سفيرا لمصر فى هولندا ، لـــكى يضعنى أمام الأمر الواقع .

وبدأت حملة ضغط لاجبارى على السفر ، جاءنى أمين شاكر وتكلم عن القبض على ومحاكمتى ، اذا لم أسافر ، وقام الرئيس أنور السادات بدافع الصداقة والوفاء بزيارة أبى وشرح له الاخطار التى تهددنى وطلب تدخل والدى رحمه الله لاقناعى بالسفر .

ووافقت ، وبينما أستعد للسفر فوجئت بجمال عبد الناصر وأنور السادات وعبد الحكيم عامر ، يزوروننى .

وسألنى عبد النـــاصر ضاحكا :

هل قبلت المنصب الجديد ؟

قلت : نعم قبلته ... وسأسافر بعد ايام

ضحك مرة أخرى وقال :

ـ لماذا تسافر .. ؟ ! المهم قبولك المنصب وخلاص!

وفهمت انه يعنى ابعادى عن مجلس قيادة الثورة .. فقط !

وهل سافرت ، أم بقيت بالقاهرة ؟

نعم سافرت وقضيت عامين ونصف عام سفيراً لمصر في هولندا ثم المانيا ، وعدت الى القاهرة بناء على طلبي قائلا في خطاب لي أرسلته للرئيس الراحل ... ألا يكفي أن أظل « منفيا » هذه المدة وقد وعدت بأنني سأقضي فترة لن تزيد على أشهر ستة !

اذن ما رأيك في تهمة التآمر التي حوكم من أجلها ضباط المدفعية ـ مع رشاد مهنا .. ؟

لم يكن هناك تآمر بمعنى اعداد مؤامرة والاتفاق على انقلاب ، البعض يعلن رفضه لما يحدث بصوت عال ، وفي ذهنهم ان أعضاء مجلس قيادة الثورة ضباط مثلهم تماما ، ولكن المجلس كان يعمل بحساسية شديدة ، فيلقي القبض عليهم خوفا من تطور الأمور ..

ثوار المدفعيه

ان قصة « المدفعية » قبل الثورة وفى ليلة الثورة ، قصه عامرة بالاسرار والتفاصيل المثيرة التى لم تنشر حتى الآن ، وكانت المدفعية أيام النظام الملكى كسلاح يضم المدفعية ميدان والمدفعية المضادة للطائرات بفروعها المختلفه ثم المدفعية الساحلية ، وقد برز منها خلال الاعوام الاولى للثورة بعد أن اختفى اسم البكباشى عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة وكان ضابطا بالمدفعية المضادة للطائرات كما قرأنا فى الصفحات السابقة ، برز من المدفعية اسم المرحوم صلاح سالم والصاغ كمال الدين حسين .

وللحقيقة أذكر اننى حاولت عدة مرات أن أستمع الى قصة ثوارالمدفعية من الصاغين صلاح وكمال سنوات طويلة ولم أنجح ، وانتقل صلاح سالم الى رحاب الله ، والتقيت بكمال الدين حسين ودار بيننا حوار طويل فى نوفمبر ١٩٧٥ ، وعرفت منه انهما كانا حريصان على عدم الادلاء بأى أسرار حول ثوار المدفعية فى المرحلة الاولى للثورة كي لا يغضب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وقد أوصى جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة بكتمان هذه التفاصيل ، بل انه كما قلت فى أول فصول الكتاب غضب حين علم بأن بعض أحرار المدفعية

يتشمفون لتسجيل دورهم وطلب من كمال حسين أن يقنعهم بالعدول عن هذه اللقاءات ونسيان هذه المهمة ، واعدا بأنه سيتكفل بها !

كيف كانت البداية ؟

ماذا يقول كمال الدين حسين عام ١٩٧٥ ، عن تشكيل أحرار المدفعية قبل ١٩٥٢ ؟

لقد ترك لى الرجل بعض أوراقه سجل فيها خواطره ويبدو انه كان يعتزم كتابة مذكراته ثم عدل عن ذلك .

وها هى سطوره أنقلها كما هى :

« كانت قصص ثورة ١٩ تروى لنا وتطرق مسامعنا ونحن بعد صغار .. معاركها بطولاتها شهدائها .. الاحتلال الانجليزى .. كيف جاء الى مصر ومن ساعده فى احتلال بلادنا ، وجهاد عرابى وزعماء الثورة العرابية وخيانة الخديوى والسلطان وخنفس ، وبعض الاعراب.

وتتردد حوادث دنشواى وقصة أهل دنشواى والذين ترافعوا ضدهم وجبروت اللورد كرومر وقصة مصطفى كامل والحزب الوطنى وجهاده ، وكلها قصص واحاديث يتكلم بها الكبار وتطرق أسماع البراعم الناشئة فيسبحون بالخيال ويروا رؤيا ويحلمون أحلاما ويتقدون وطنية .

ويسمعون عن الحرب العالمية الاولى ، والتحفز المصرى ضد الانجليز ، ويسمعون عن السلطة وما مارسه فيها العدو المحتل بواسطة أعوانه من قهر وتسخير للناس والجمال والدواب والموارد ، وما أصاب الشعب من عنت وارهاق ... قصص الذين ذهبوا ولم يعودوا ، والذين

أثروا من السحت ومن العمالة ومعاونة العدو .

ونستمع الى أغانى الشباب المقـــاتل الذى يرجعه الحنين الى أمجاد جيشه وهو يقول :

ليه يا أمى بتبكى عليا
وأنا مسافر الجهادية
ده حب الوطن فرض على

وترد الأم :

الفرقه صعبه يا مرادى
والغربة ها تشعلل نارى
كتبوك بياده واللا سوارى ؟
واللا نفر فى الطوبجيه ؟

ويرد الابن :

ليه يا أمى بتبكى عليا
يا امى قوليلى كلمة تشجعنى
وخلى أهلى تودعنى
وادعى لى ربى يرجعنى
وموش ضرورى البدلية
ليه يا أمى بتبكى عليا
صوت المدافع فى الميدان
زى الكمنجة والعيدان
والحرب مجعول للشجعان
والصيفة تلبسها وليه
ليه يا أمى بتبكى عليا
نوم السراير للعاشق
أما احنا نومنا فى خنادق

نعمل مخداتنا بنادق
وفرش وغطا بطانيه
ليه يا أمى بتبكى عليا
ساعة الخطر ننصب أرواحنا
نطوى العدا تحت جناحنا
نفدى وطننا بأرواحنا
وادى أساس الحرية

ونذهب الى المدرسة لنحفظ النشيد الذى كتبه المرحوم مصطفى صادق الرافعى ونردده كل يوم :

اسلمى يا مصر اننى الفدا
ذى يدى ان مدت الدنيا يدا
أبدا لن تستكينى أبدا
اننى أرجو مع اليوم غدا

وبين مقاطع النشيد نقول بكل الحب يملأ صدورنا :

لك يا مصر السلامة
وسلاما يا بلادى
ان رما الدهر سهامه
أتقيها بفؤادى
واسلمى فى كل حين

غنت النساء لسعد

لم تكن أغنيات الشعب تتردد فقط فى المدارس ، بل فى القرى والمقاهى والنوادى والبيوت ، فى الحوارى ، والشوارع ، وبين الصغار والكبار ، ويتشبع وجداننا اليافع بحب مصر ونعى دورنا حماية ودفاعا عن مصر.

ونسمع كيف ثار الطلبة الاولون ، وكيف ثار الموظفون

والعمال والفلاحون ، وكيف ثارت السيدات والفتيات ، وكيف اتحدت الامة بجميع هيئاتها وطوائفها ، وكيف نفى سعد ، وكيف غنت له النساء وهن يحدثن أطفالهن وكيف فشلت محاولات لجنة ملنر وكيف عاد سعد ، وكيف استقبل ...

والكلام عن الدستور ولجنة الدستور وصدور الدستور ، واعلان الاستقلال بالتحفظات الاربعة ..

وبدأت الاحزاب تعمل ، وبدا الصراع بين أنصار سعد زغلول وعدلى ، ثم حادث السردار ، وجبروت الانجليز وتعنتهم ، وانسحاب الجيش المصرى من السودان .

أينما ذهبت فهذه أحاديث الناس.. ويذهب الصبية الصغار الى مدارسهم فيسمعون أساتذتهم يروون لهم التاريخ بصدق وينشدون معهم :

مصر العزيزة هى الوطن

وهى الحمى وهى السكن

ونستعيد فى المدرسة ما سمعناه فى منازلنا ... قصة النضال الوطنى من التاريخ القديم الى العصور الوسطى ، ومصر المسلمة وتاريخ الاسلام وسيرة الرسول والخلفاء وأبطال المسلمين وعدل الاسلام وتحرير البشر ، ونور القرآن وصدق الايمان وغزوات الفكر والعلم قبل غزوات السيف ، وقصة الصعود الى ذرى المجد ثم الترف والتواكل والاضمحلال ، وقصة الصحوات التى استرجعت فيها الامة نفسها ووقفت تصد غارات التتار والصليبيين ، وقصة الترك بأمجادهم وطغيانهم ، والظلام الذى ساد على أيديهم أربعة أو خمسة قرون ، ثم التمزق وملوك

الطوائف والمماليك ودويلات الاقزام ، ثم قصة الرجل المريض وقد نهشت كل دولة مستعمرة جزءا من جسده وطالما تاقت الى افتراسه ...

ثم قصة نابليون فى الشرق ومناجزة الانجليز له ، وقصة محمد على وصحوة جديدة سرعان ما أخمدتها يد « الكارتل العالمى » وقد تصدى لقهر القوة الفتية الناشئة وهى فى سبيلها لكى تعيد صحة الرجل المريض وشبابه ، ولكن قوى الاستعمار العالمى تحول دون ذلك ، وتضرب ضربتها القاصمة .

وكانت سنة ١٩٣٥ ، ونحن ندرس التاريخ الحديث لمصر ، ونؤدى الامتحان بالمدارس فى كل أدوار التاريخ تاريخ مصر القديم وبابل وأشور والعصور الوسطى ، والاسلام ، ومصر الحديثة ...

ونعيش الصراع حول الدستور ...

والذين يقولون انه ثوب فضفاض وكيف أنشأ اسماعيل صدقى حزب الشعب وزور الانتخابات وأصدر دستور ١٩٣٠ ، وقصص أصحاب اليد الحديدية ، والمترفعين عن حكم الفوغاء وصراع الملك والاحزاب ، وسيطرة المندوب السامى البريطانى ..

ويأتى دور المطالبة بالجلاء ، ويرفع الطلبة شعار الجلاء بالدماء ، ويسخر مدرس اللغة الانجليزية « الانجليزى » الجنسية فى غطرسة من حماس المصريين ، ويقول لنا : « نظفوا انفسكم أولا واقتلوا الذباب الذى يصيب أطفالكم بالعمى » .

ويستشيط الطلبة غيظا من ذلك الملعون ، وتخرج المظاهرات ويأتى مشروع « صدقى - بيفن » ليسقط ،

فتظهر معاهدة ٣٦ ويستمر الصراع بين الاحزاب .

ويتجمع الشباب ، وتتجمع الجماهير ، والطلبة دائما فى المقدمة ، ودائما تتجه المظاهرات الى بيت الامة ، أو تنطلق منها ، ولم أكن بعيدا قط عن تلك الاحداث ،كنت كشباب مصر تلك المرحلة أشارك فيها بكل طاقتى وفكرى ومشاعرى ... هكذا كان أغلب جيلى وهو يعيش الثلاثينات ...

والتحقت بكلية الحقوق لأستمع الى محاضرات على بدوى والشيخ أبو زهرة وعبد الحكيم الرفاعى وعبد المنعم بدر ووايت ابراهيم ...

ويردد « وايت ابراهيم » أمامنا قول « العلامة بارتيلمى » فى سياق الحديث عن النظم الدستورية ، والحياة البرلمانية :

ـ « ليس العيب عيب الدساتير وانما العيب عيب الرجال... الرجال الذين يطبقون الدساتير والقوانين » .

نعم ...

هناك نوعان من الرجال ، رجال يزورون الدساتير والقوانين ويدلسون فى تطبيقها ويضحكون على عقول الجماهير ، ورجال ينزهون النص عن التزوير ويلتزمون الروح فى التطبيق ولو كان دون ذلك مناصب أو أرواح.

الحربية قبل الحقوق

لقد تقدم كمال الدين حسين مرتين الى الكلية الحربية قبل أن يلتحق بالحقوق ، وترفض أوراقه لصغر سنه.

وفى الحقوق يلتحق بالتدريب العسكرى الجامعى وكان يتزعم حركة التدريب العسكرى للشباب المرحوم الدكتور محجوب ثابت ، وأحاديثه تخاطب مشاعر ووجدان الشباب .

كان الرجل يعمل على استعادة روح الجندية فى شباب مصر ، بعد أن عمل الانجليز على اخمادها واخماد ثورة عرابى ، وكان نشاطه دائما بين شباب الجامعات قائلا : « من غيرهم أولى ببعث روح الجندية والفدائية فى شباب هذه الامة » .

واتجه « كمال » الى التدريب مع غيره من أبناء تلك المرحلة ، يمارسون برامج التدريب العسكرى صباحا ومساء ، ويدفعون ثمن ملابسهم العسكرية ويضحون بساعات الراحة فى سبيل اشباع هذه الروح .

وفى منتصف العام ينجح فى الالتحاق بالكلية الحربية .

منتصف عام ١٩٣٨ — وصور الماضى ببطولاته من الطلبة الابطال والشهداء ، الذين أصيبوا والذين اعتقلوا والذين حوكموا وأعدموا ، قهر الانجليز وترف الاغنياء والاقطاع ، الجلاء بالدماء ، كل هذه العوامل والاحاسيس كانت أشبه بحافز ضخم يدفعه للالتحاق بالكلية الحربية .. ربما كان بخياله تصور ما لعمل وطنى يقوم به اذا أصبح ضابطا بالجيش ، فالعسكرية نمت فى روحه هدف ووسيلة ، بل وهواية أيضا .

واقتربت الثلاثينات من نهايتها ، وعدد ليس بقليل من طلبة الكلية الحربية بينهم كمال الدين حسين يقتربون من الحياة العامة بأحداثها السياسية ، وثمة مجموعات منهم تبذل أقصى جهدها بحثا عن طريق تمضى فيه وتحقق أهدافها وأمانيها ، فاتصلوا بالاحزاب لا بحكم تنظيم يجمعهم ويرسم لهم خطاهم بل بحكم العمر والطبيعة ، اتصلوا بالاخوان المسلمين ، وبالحزب الوطنى ، وبالحزب السعدى ، وحزب الوفد ، ومصر الفتاة .

قال لى السيد كمال الدين حسين :

ــ « أذكر أننى ذهبت مع أحد الاصدقاء الى الاخوان المسلمين وكانت قيادتها تعمل فى مسكن أعلى فندق البرلمان بالعتبة الخضراء ، ذهبت اليهم لايمانى بأن الدعوة الاسلامية دعوة حقة ، ومبادىء الاسلام فى العقيدة والشريعة لو طبقت لحققت العزة والسعادة ، وآيات القرآن شاهدة على ذلك ، فالشباب المؤمن لا يسعه الا أن يسعى مع الساعين على هذا الدرب » .

وعن الاحزاب قال لى :

ــ « بهرتنا لفترة ما تنظيمات الشباب بقمصانها الخضراء لمصر الفتاة والزرقاء للوفد .. ثم ظهرت بعد ذلك أنها كادرات للديكتاتورية » .

وجاءت مرحلة المتوسط بالكلية وهو يدرس بمدرسة المدفعية حتى تخرجت دفعته فى نهاية عام ١٩٣٩ واستمر بعد ذلك بمدرسة المدفعية .

كانت تلك الدفعة كبيرة العدد وهى معروفة فى القوات المسلحة « بدفعة ٢٩ » ، ضمت الى جانب كمال الدين حسين ، المرحوم صلاح سالم ، ومن رجال الحكم السابقين صلاح نصر وطلعت خيرى وسعد زايد وعلى صبرى ، كما ضمت الفريق أول محمد الجمسى وزير الحربية حاليا والفريق محمد على فهمى رئيس الاركان .

رشاد مهنا والفقى

فى هذه الفترة التقى السيد كمال الدين حسين بالسيد رشاد مهنا « مدرس المدفعية المضادة للطائرات بمدرسة المدفعية ــ والوصى على العرش بعد قيام الثورة ــ

والسيد أحمد حسن الفقى مدرس المدفعية ميدان — وكيل وزارة الخارجية بعد ذلك وهما كما قال لى « من جيل المدرسين الذين حملنا لهم كل الاحترام والتقدير لوطنيتهم وقدراتهم العسكرية » .

والتحق كمال الدين حسين بوحدة مدفعية ميدان بعد تخرجه وظل شهورا بالقاهرة ، بعدها تحرك مع مجموعة أطلق عليها « القوة خفيفة الحركة » تضم قوات من إلسوارى ومدافع الماكينة والمدفعية الخفيفة وبعض الوحدات المساندة ووحدة طيران — الى الصحراء الغربية لاحتمال اشتراكها فى عمليات ضد القوات الايطالية — وكانت منطقة عمل القوة المصرية ما بين مرسى مطروح وواحة سيوة وحينما تقرر عدم دخول مصر الحرب ، عادت الوحدة خفيفة الحركة الى القاهرة ، والتحق كمال الدين حسين مدرسا بمدرسة المدفعية — جناح مدفعية الميدان .

ولقد وقعت قصة ذات دلالة هامة تكشف عن مدى تماسك هذه المجموعة من شباب ضباط المدفعية ، ولم يكن لينضم خريج الكلية الحربية الى هذا السلاح ، الا اذا كان يتمتع بدرجات عالية فى التفوق والكفاءة الحربية .

تردد فى تلك الفترة ان الانجليز والحرب العالمية الثانية مشتعلة قرروا نزع سلاح الجيش المصرى تأمينا لهم .

« واثارنا ما سمعناه » هكذا يروى لى السيد كمال الدين حسين :

« وتجمعنا نحن صغار الضباط ، وكان معى المرحوم

عز الدين ذو الفقار ضابطا بالسلاح ـ المخرج السينمائي بعـد ذلك ـ واتجهنا للعمل الجماعي ـ التقينا بالقـادة القدامى والضباط الجدد لنضع خطة عدم تسليم سلاحنا الى الانجليز ، والوقوف معا فى وجه قوات الاحتلال ـ وعملنا على ترتيب توجيه مدفعيتنا الى مطار الماظة وكان مطارا انجليزيا حربيا لفتح النيران عليه اذا قدم الانجليز على نزع سلاحنا » .

نعود الى مدرسة المدفعية حيث التقى ضابط المدفعية الشاب كمـال الدين حسين من خلال موقعه كمدرس بالمدرسة مع عدد كبير من ضباط السلاح ، الخريجين الجدد من الكلية الحربية وقدامى الضباط من مختلف الوحدات ، ومنهم من هم اكبر سنا ورتبة ، جاءوا الى المدرسة للحصول على فرق تخصصية ، وكان «كمال» يدرس لهم تجمعهم زوح وزمالة واخوة ووطنية ورفقة سلاح وحمـاس هائل لاعلاء شأن سلاحهم وجيشهم وشعبهم .

ومن خلال هذه العـلاقات وأكثر خدمته قضاها بالمدرسة ، توطدت ونشأت ارتباطات ومفاهيم فكرية ووطنية ، تدعمها مشاعر متجانسة متقاربة ، وصداقات أخذت تتوسع وتنمو بمرور الايام ، عبر لقاءات مستمرة وجلسات جوار وفكر لا تنقطع .

لم تكن له حياة خاصة كبعض الشباب ، كان يلوذ بالقراءة والمعارف الحـديثة لتدعيم قدراته كمدرس مدفعية صغير السن والرتبة ، ويلوذ بالقرآن لحماية شبابه وأفكاره من التلوث ، وهو اتجاه نزع اليه منذ المرحلة الابتدائية أكثر ثوار يوليو وقد حصل « كمال » علي الجائزة الاولى فى الدين وهوفى السنةالاولىالدراسية .

محمود لبيب

ووقعت أحداث فبراير ١٩٤٢ ، واشتعل الشعب ضباطا وجنودا وشبابا وعمالا وموظفين بحصار الدبابات الانجليزية لقصر عابدين ، وفرض ارادة الاستعمار على السيادة المصرية ، وكان طبيعيا أن يظل الحادث محور مناقشاتنا طويلا وسؤال واحد كبير يلح علينا .. هو .. كيف الخلاص ؟ » .

ثمة وقفة هامة هنا لابد منها تتعلق كما يقول « السيد كمال الدين حسين » برجل أشبه بطاقة ضخمة من النشاط والحركة والوطنية ، هو « المرحوم محمود لبيب » ..

« لقد ظهر هذا الرجل بيننا فى بداية الاربعينات وعرفنا أنه ضابطا قديما منذ أيام الجيش التركى ، وحارب الايطاليين فى ليبيا وأحيل الى المعاش برتبة صاغ ــ رائد الآن ــ لنشاطه الوطنى ضد قوات الاحتلال والملك بين شباب وكبار العسكريين والمدنيين .. »

« كان دمث الاخلاق ، محدثا لبقا ، دائرة معارف متنقلة ، قوى البنية ، يرتدى القميص المفتوح صيفا وشتاء ، وعرفنا أنه أحد المرتبطين بالاخوان المسلمين »

« ولم يكن أحدنا يملك الا أن يحب هذا الرجل والاستماع اليه والبحث عنه اذا افتقدناه ، ومن جانبه كان حريصا على استمرار لقاءاتنا وجلسات الحوار والفكر فى مستقبل مصر وخلاصها » .

ويستطرد كمال الدين حسين :

ــ « فى حى السيد زينب كنت أسكن ، وفى الحى

نفسه يسكن الضابط عبد المنعم عبد الرءوف والتقينا وكنـــا نستخدم تراما واحـدا فى الذهاب والعودة ، ونتحدث فى كل شىء » .

« وذهبنا معا الى جمال عبد الناصر بمنزله فى منطقة تقاطع شارع أحمد سعيد مع شـــارع الملكة نازلى ، والتقيت هناك بالصـــاغ محمود لبيب لاول مرة ، ثم ذهبنا الى اجتماع الاخوان المسلمين بتشجيع من المرحوم محمود لبيب .

وكانت بداية الاتصال مع عبد الناصر .

وبقيت زيارتى للاخوان المســـلمين مع بعض الزملاء تتم كأصدقاء وليس كأعضاء مدونين فى سجلاتهم ، كما بقى محمود لبيب أشبه بحلقة أتصـــال بين الضباط الوطنيين ليس فى الجيش فقط بل فى الطيران أيضا ، بقى بيننا كأب حنون يحاول الجمع والربط بين أبنائه الموزعين فى مناطق متعددة أحيانا ، وكانت هذه العلاقات تجمعه مع عدد ليس بقليل من الضباط كبار الرتب » .

وتكررت لقاءاتهم فى بيوت رفقاء السلاح فى بيت جمال عبد النـــاصر ، وبيت كمـــال حسين ، وأبو المكارم عبد الحى ، وخالد محيى الدين ، وعثمان نورى .. وغيرهم ثم تطورات آجتماعاتهم من لقـــاءات حوار فى الدين والاخلاق والوطنية ، الى تكوين شعب صغيرة العدد ، وجمع اشتراكات مالية ، وتخزين للســـلاح والقنابل ، وبقى تحمسهم كشباب مؤمن أقوى من قبضة البوليس السياسى والمخابرات الملكية وعيون الانجليز .

وتحت ساتر المذاكرة وتحضير الدروس ، وقليل من الحذر ، ظلوا يلتقون .

فى تلك الفترة التى أعقبت حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، أخذ الملك فاروق يتقرب من الجيش والضباط ويزور الاسلحة المختلفة ويحضر المناورات ويتحدث الى صغار الضباط حتى جاء عام ١٩٤٤ وكان الملك يشهد مناورة تشترك فيها المدفعية ـ فأمسك بخرائط المناورة وأخذ يفحصها ووجد مدونا عليها اسم اليوزباشى « نقيب الآن » كمال الدين حسين ، فطلب من القادة أن يرى هذا الضابط .

واهتم القادة بأن يذكروا « كمال » بضرورة تقبيل يد الملك بعد أن يصافحه ، ويحثونه طوال الطريق على ضرورة تقبيل يده الكريمة ، ووقف الضابط الشاب أمام الملك ، حياه التحية العسكرية ، وصافحه مصافحة لم يكن فيها شبه انحناءة ، ثم انصرف كمال الدين حسين ، بين ذهول الجميع .

وقام وزير الحربية ورئيس الاركان وقائد المدفعية بتقبيل يد الملك ، وتناقل القادة والضباط هذه القصة ، بينما اليوزباشى كمال الدين حسين يقول لزملائه مفسرا سلوكه :

ـ « الجندى لا ينبغى له تقبيل يد أحد ، الجندى لا ينبغى له أن ينحنى لأحد » .

منشورات ١٩٤٧

وجاء عام ١٩٤٧ ، وقبض على عدد من ضباط المدفعية .. « رشاد مهنا وأنور الصيحى واحمد فؤاد وممدوح جبه وغيرهم » .

كانوا قد طبعوا منشورات معادية للواء ابراهيم عطا الله باشا رئيس الاركان أيامها على اثر اقالته للواء

عبد الواحـــد سبل الذى رفض التوقيع على صـفقة سيارات غير مطابقة للمواصفات ، وبعد ظهور المنشورات والقبض على عدد ليس بقليل من الضباط عملت السراى على تشريد عدد كبير آخر منهم ، وتوزيعهم على المناطق النائيـة البعيدة .

الجولة الاولى

وتوقف نشـــاط الضباط الثوريين قليلا ليستردوا أنفاسهم ، ثم ظهرت مقدمات الجولة الاولى فى فلسطين عام ١٩٤٨ فتجمعوا وفكروا فى الامر والموقف الجديد ..

ذهب كمال حسين وجمال عبد الناصر ورفاقهما الى لقاء الشيخ أمين الحسينى بمنزله فى منطقة الزيتون وتحدثوا معه ، واتجهوا الى الاستاذ عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية وقتها فى منزله أيضا ، وفى اعتبارهم ماضيه النضالى ضد الجيش الايطالى فى ليبيا ، وهدفهم هو القيام بعمل فدائى موحد ، مؤمنين بأن الفدائيين يمكنهم العمل الكبير بالامكانيات القليلة ، كما اتجهوا الى المرحوم الشيخ حسن البنا وكان يعد الفدائيين للتطوع بالعمل الفدائى فى فلسطين .

فى ذلك الوقت كان كمال حسين قد نجح فى أمتحـان مسابقة القبول بكلية أركان حرب ، سبقه اليها بالدراسة عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، غير أنه أستغنى مؤقتا عن الالتحان بكلية الاركان من أجل التطوع فى عمليات الفدائيين بفلسطين عام ١٩٤٨ .

وقدم استقالته من القوات المسلحة كما فعل كثيرون مثله لكى يمتلـكوا حرية الحركة والانتقال كفدائيين ، وبحثوا مع المرحوم البطل أحمد عبد العزيز ومع بعض

رجال الجامعة العربية أفضلية أن يحملوا معهم عنصر مدفعية خفيفة ومدفعية مضادة للمصفحات .. وبعد مفاوضات مع الجيش وافقوا على اعطائهم الآتى :

٤ مدافع هاوتزر .

٤ مدافع مضادة للدبابات .

وتولى كمال حسين قيادة مدافع الميدان ومعه المرحوم انور الصيحى وخالد فوزى ، وتولى حسن فهمى قيادة المدافع المضادة للدبابات ، وذهبوا الى فلسطين ومعهم أيضا المرحوم الشهيد سالم عبد السلام ، وعبد المنعم عبد الرءوف ، ومعروف الحضرى ، ومحمد حسن ، وانضم اليهم بعد فترة شريف أباظة كضابط اشارة ، وحمدى واصف من المشاة ، والمرحوم مصطفى كمال صدقى وقد تولى عمل مخابرات الفرقة التى ضمت متطوعين من السودان ومن ليبيا الى جانب الاخوان المسلمين المصريين جاءوا من أنحاء مصر ، ورحبوا جميعا بأن يتولى البطل أحمد عبد العزيز قيادتهم ، وقد عرفه ضابطا من أشجع ضباط السوارى ، درس لهم التاريخ العسكرى والفروسية ، وعاش رجلا قويا بايمانه ووطنيته .

ولقد عهد المرحوم أحمد عبد العزيز الى كمال الدين حسين بتولى أركان حرب الفرقة الى جانب قيادته للمدفعية ..

قال لى السيد كمال الدين حسين :

ـ « قاتلنا بايمان قوى تزود به الجميع ، جعلنا مالكين دائما للمناورة الجيدة والحركة الواعية حتى اننا لم نكن أبدا هدفا للعدو ، وكنا نأمل فى تدعيم هذه الفرقة

وأستمرارها فى تطبيق تكتيكاتها المعتمدة على خفة الحركة حيث لا يتوقع العدو ، ثم التحرك لتوجيه ضرباتنا ، وهو أصلح تكتيك لمواجهة العدو ، غير ان قيادة الجيش لم تكن مستوعبة ولا مستعدة لهذه الحرب المتحركة مفضلة الالتصاق بالارض عبر خطوط طويلة غير قوية يمكن اختراقها بسهولة والالتفاف حولها .

كان زحف فرقتنا الى خان يونس بالسيارات فوق شريط السكك الحديدية ، ومضينا فوق الفلنكات الخشبية حتى لا تعترضنا القوات الانجليزية التى كانت تحتل طريق الاسفلت ، وكان مركز قيادتنا وتجمعنا فى « مدرسة خان يونس الثانوية » حيث قدم لنا الاستاذ سامى أبو شعبان ناظر المدرسة خدمات كثيرة واستمر فى تقديمها الى أن انتهت حرب فلسطين ، ووقعت معركة دير البلح ، أصيب فيها معروف الحضرى بجراح خطيرة ، نقل بعدها الى القاهرة ، وجرحت أنا ، ونقلت الى مستشفى غزة ، لبضعه أيام وقبل أن تشفى جراحى جاء المرحوم أحمد عبد العزيز لنتدارس خطة التحرك التالى ، وفعلا تحركنا ألى غزة ، وضربنا المستعمرات الصهيونية المجاورة لها بشدة ، وفى هذه الفترة جاءت طلائع الجيش المصرى وسلمناها غزة .

ثم زحفنا ألى بير سبع عن طريق غير مطروق ، كان دليلنا فيها المرحوم على الخلفاوى من المجاهدين الفلسطينيين ، ووصلنا الى بير سبع وضربنا المستعمرات المقامة حول بير سبع نفسها .

وفى احدى هذه المعارك استشهد بجوارى المرحوم أنور الصيحى وبعد ذلك تحركنا شمالا الى الخليل وتركنا بعض قواتنا للدفاع عن بير سبع واتخاذها قاعدة للقيام بعمليات متحركة منها ضد المستعمرات القريبة .

الضرب والحركة

واستمرت عمليات الضرب والحركة فى تصاعد حتى وصلنا الى بيت لحم على مشارف القـــدس ، كانت قواتنا وقوات الفلسطينيين من جهة وقـــوات الجيش الاردنى من جهة أخرى واستولينا على مستعمرة رامات راحيل ، ولكن للأسف بعد أن جردها اخواننا المتطوعون من الخليل من الابقار والماشية والمحاصيل الزراعية التى كانت بها ، شـحنوها فى لوارى وغادروا المستعمرة ، واستمرت المستعمرة خالية الى أن رجع اليها اليهود مرة أخرى .

ولم تكن قواتنا كافية من الناحية العددية لاحتلال أرض كثيرة .

واكتفينا بحصار رامات راحيل ..

واصطدمنا بالعـــدو كثيرا فى المستعمرات والمناطق المحيطة بالقدس ، وبتجميع قوات المتطوعين الفلسطينيين حولنا أمكن احتلال حلقة من المواقع فرضنا بها حصارا محكمة على القدس حتى أصبحت على وشك التسليم ، وارتفعت معنوياتنا عاليا رغم اننا كنا بعيدا عن القوة الرئيسية للجيش وهو وضع كان له تأثير على امداداتنا .

واستمر حصارنا المحـــكم حول القدس ، وقطعت الامدادات عن العـــدو من جميـــع الجهـات ، واذا بالهدنة الاولى تفرض علينا فى ١١ يونيو ١٩٤٨ ، وتسكت المدافع ويتوقف القتال ويسودنا الحزن والاسى ونحن نرى الامدادات والذخيرة والسـلاح والاطعمة تدخل الى الصهاينة تحت أعيننا .

وبعد أن عزز اليهود أنفسهم بالســـــلاح والذخيرة والمتطوعين قاموا بخرق الهدنة فى جبهات متعددة ، وتخلى الجيش الاردنى بقيادة جلوب باشا عن اللد والرملة وكان هذا الموقف حاسما فى فك الحصار نهائيا عن القدس ، وأصبح مثلث الرعب كما كان الصهاينة يطلقون عليه بعد أن هددهم بالاختناق داخل القدس أصبح هذا المثلث فى خبر كان .

كان هناك موقع منعزل فى العصلوج بين العوجة وبير سبع احتله اليهود بعد خرق الهدنة وهددوا طريق بير سبع بعد ذلك قاموا بهجوم على منطقة جبل المكبر ، وهو جبل حاكم فى منطقة القدس وخسر اليهود فى هذا الهجوم خسائر كبيرة وصمدت فيها قواتنـــا بشجاعة منقطعة النظير وأحدثت فيهم المدفعية خسائر كبيرة وأسرنا ثلاثة أسرى وظهرت فى هذه المعركة بطولات كثيرة .

وتدارسنا الموقف بعـــد أن أصبح طريق امداداتنا مهددا وطريق بير سبع غير مطمئن اما أن تعزز قواتنا بما يكفى لتأمينها واما أن تعود قواتنا الى بير سبع لاتخاذها قاعدة لعملياتنا ونترك بيت لحم والخليل للجيش الاردنى وقوات المتطوعين الفلسطينيين التى كان على رأســـها المجاهد عبد الحليم الجولانى الشهير بأبى زيدان ، وبذلك تتمكن قواتنا من التخلص من الخطوط الدفاعية وتمارس تكتيكها المفضل « الضرب والحركة » واصطياد قوافل العدو أينما وجدت .

وجاء المرحوم صلاح سالم يزورنا موفـــدا من اللواء المواوى قائد القوات المصرية ، وذهب مع المرحوم أحمد عبد العزيز وحسن فهمى عبد المجيد الى القدس لمقابلة

لجنة الهدنة ومندوب الامم المتحدة فى القدس ، وكان ممثل اليهود فى لجنة الهدنة موشى ديان ، للاتفاق على تحديد الخطوط الفاصلة بين القوات المتحاربة .

وصمم المرحوم أحمد عبد العزيز على السفر فورا الى غزة لمقابلة اللواء المواوى ، ومناقشته فى خطتنا ، وكان الوقت مساء قبيل الغروب ، فحاولت أن أثنيه ليؤجل السفر فى الصباح ، وصممت ولكنه رفض مرة أخرى وقاد سيارته والى جانبه المرحوم صلاح سالم فى طريقهما الى المجدل ، وللأسف أصيب بطلقة طائشة ، واستشهد الرجل فى بداية الاسبوع الثالث من أغسطس ١٩٤٨ ، كما أذيع أيامها .

لقد كان الصراع بين الرؤساء العـــرب والمنافسة والصراع بين القادة العسكريين ، أقوى من الصراع مع قوات اسرائيل ، ولذلك بقى الجيش المصرى طوال هذه الجولة مكشوفا ومهددا باستمرار ، كما ترك جناحنا نحن فرقة الفـــدائيين رغم اننا لم نكن قوات نظامية ، وما احدثته المدفعية البسيطة التى نملكها من خسائر فى قوات اسرائيل وقد عجزت عن الحصول على موقع واحد من مواقعنا ، وما نشرته الصحف المصرية من انتصاراتنا وهجماتنا الناجحة بعد أن زارنا « محمد حسنين هيكل » ممثـــلا « لأخبـــار اليوم » و « سعد التـــائه » ممثـــلا « للمصرى » هذه العوامل تركت بعض الغيرة لدى اللواء المواوى ، وقد انعكست على امداداتنا واقتراحاتنا !

حديث القطار

عاد المقاتل الفدائى كمال الدين حسين الى القاهرة ، ليبدأ دراسته بكلية أركان حرب بعد فرض الهدنة الاولى ،

ثم قطعت الفرقة بالكلية فجأة لخرق اليهود للهدنة وذهب كمال الدين حسين الى فلسطين مرة أخرى كضابط محارب ، وانضم الى أركان حرب مدفعية الفرقة المصرية مشاة فى رفح ، وتولى المرحوم اللواء فؤاد صادق قيادة الجيش ، وقاموا بمعارك كبيرة كقوات نظامية ، وفى هذه المرحلة فكروا فى انشاء قوات خاصة داخل الجيش يشرف عليها المرحوم على على عامر ، ووافق القائد العام على الاقتراح ، وتشكل جزء من هذه القوات فكانت نواة « للصاعقة » بعد ذلك .

ووقعت اتفاقية رودس ، وكان الصاغ جمال عبد الناصر محاصرا مع كتيبته فى عراق المنشية بالفالوجا ، وقاتل معاركه البارزة أثناء الحصار ، ثم التقيت به بعد فك الحصار فى القطار قادما من الفالوجا حتى أحد معسكرات الاستقبال بالعريش .. وأخذنا نتحدث ..

ـ « لم يكن بالطبع لقاؤنا الاول ، فقد سبق ان التقينا مرات عديدة على مدى سنوات ما قبل الجولة الاولى فى فلسطين ، تلك الجولة التى جعلتنا نلمس مواطن القوة ومواطن الضعف فى جيشنا وقادتنا وساستنا ، كما جعلنا اشتراكنا فى هذه الحرب بأقصى امكانياتنا البشرية جعلنا نبلور أفكارنا ورؤيتنا للواقع ، ولذلك دار حديثنا ونحن نستقل القطار معا من رفح حتى العريش ، حول المكان الصحيح للمعركة ، واتفقنا على ان معركتنا فى مصر هى أساس العمل الناجح فى فلسطين .

يقول كمال الدين حسين :

ـ أثناء العمليات الحربية فى هذه الجولة برزت قيادات شابة ببطولاتها واقتدارها خلال الحرب .

ومن المدفعية ظهر كثيرون من أمثال محسن عبدالخالق وأبو الفضل الجيزاوى وفتح الله رفعت وجمال نظيم ، ومحمد غانم وقد حصلوا وآخرون على ترقيات استثنائية ونجمة فؤاد العسكرية لبطولاتهم ، كما كانوا من أوائل خلايا الضباط الاحرار بعد ذلك .

وثمة حادث بسيط آخر فى مظهره ، غنى بجوهره ودلالته .. عشته فى فلسطين .

كنت أستقل عربة جالسا بجانب السائق ومعى بعض الجنود ، واذا بالعدو يفتح نيرانه علينا حتى تحولت العربة الى غربال ، وبحمد الله لم أصيب ، ثم تبينت ان أحد جنودى أصيب فى رأسه ورفض أن يتكلم ، وحين التفت اليه اسأله مدى اصابته ، قال لزملائه فى هدوء وثقة :

ـ أنا مش مهم ـ المهم حضرة اليوزباشى مايكونش جراله حاجة .

هذا هو الجندى المصرى بأصالته وعظيم ايمـــانه وتضحياته ، ورغم بساطة ما حدث الا انه فى العمق يعكس روح أمة بأسرها حين تؤمن وتثق بقيادتها فهى تضحى بأغلى ما لديها فى سبيل المبدأ وتنكر كل ذاتها فى سبيل الهدف وتصنع المعجزات .

هذه هى مفاتيح النفس البشرية لشعبنا الاصيل ، ورأيى فى المقاتل المصرى ومعدنه بصنع المعجزات وهو يقاتل معاركه اذا آمن بمبدأ ، ووثق فى قيادة ، لقـد قلت هذه المعانى قبل حرب أكتوبر فى لقاء لى مع القيادة العليا وكنا نتحدث عن أصالة المقـــاتل المصرى وحتمية انتصاره اذا قاتل معاركه منطلقا من هذا المناخ .

فترة توقف

وجاء عام ١٩٤٩ ، والمنــاخ السيــاسى فى القاهرة أشبه ببركان لم ينفجر بعد ، واســتطعنا ان نعيــد النشاط الى تنظيمنا السرى ، وبرزت قيادات الضباط الاحرار على مستوى مختلف أسلحة الجيش ، وتكونت المجموعات على أساس الخلايا الصغيرة ، يجمعنا تجاوب وتفاهم واخلاص ويعمل معنــا عدد قليل من المدنيين الذين نثق بنقائهم السياسى والاخلاقى ، وأصبح المرحوم جمال عبد الناصر محورا لنشاط الضباط الاحرار بعد وفاة المرحوم محمود لبيب ، واســتطاع عبد الناصر بطاقاته واهتماماته ونشاطه المرتب المكثف ، أن يعمل على تجميع خلايا الضباط ، على مستوى جميع أسلحة الجيش .

وفوجئنا فى هذه الفترة بأن ابراهيم عبد الهادى باشا وكان رئيسا للوزراء أيامها يستدعى البكباشى جمــال عبد الناصر لمقابلته ، ولم يسفر اللقاء عن أضرار أصابت حركتنا ، ولكننا قررنا تجميد نشاطنا مؤقتا .

« ولقـــد علمت فيما بعــد الثــورة ، ان ابراهيم عبد الهادى كان على خلاف مع السراى ، وانه كان قاب قوسين من ترك الحكم وان مقابلته مع جمال عبد الناصر كانت أقرب الى النصيحة والتحــذير ، بعــد أن أبلغته السراى بشكل ما عن نشاطنا وان عبد الناصر هو محور هذا النشاط ، ثم ما لبثنا ان عدنا الى العمل السرى أكثر سرية ووضوحا فى الرؤية » .

كانت لجنة القيادة فى هذه الفترة مكونة من جمــال عبدالناصر، وعبد المنعم عبد الرءوف من المشاة ، وحسن

ابراهيم عن الطيران ، وكمال الدين حسين عن المدفعية ، وخالد محيى الدين عن الفرسان - ثم انفصل عبد المنعم عبد الرءوف ، وانضم عبد الحكيم عامر من المشاة ، وصلاح سالم من المدفعية ، وعبد اللطيف البغدادى من الطيران، وكان الزميل البغدادى قد كون مجموعة أخرى من رفاق السلاح الجوى ، واتصلت بالزميل حسن ابراهيم ، وعن طريق هذا الاتصال توحد نشاطنا .

وبعد فترة انضم المرحوم جمال سالم عن الطيران أيضا ، والرئيس أنور السادات عن الاشارة ، وكان المرحوم جمال عبد الناصر قد اقترح ضمه الى لجنة القيادة .

واقترح جمال عبد الناصر أن تبقى الحركة داخل الجيش غير مرتبطة بالاخوان أو بأى حزب آخر ، ويبقى نشاطنا بمنأى عن القيادات الحزبية ، ورفض عبد المنعم عبد الرءوف ذلك ، بدعوى أن الاخوان ستقوم برعاية أسرة أى ضابط منا قد يقع له مكروه ، وقلنا له ان الله هو الذى يرعى .

ولم يعن ذلك فك صلاتنا مع الاخوان التى استمرت حتى ليلة الثورة وما بعد ٢٣ يوليو لفترة ، ولكننا فقط حرصنا على ألا يتلقى الجيش تعليماته من رئاسة أى هيئة أو حزب ، وتبقى أوامره منه واليه .

وحرص كمال الدين حسين وزملاؤه على ألا ينضم أحد الى التنظيم قبل اجراء عدة اختبارات له ، كما أصبحت رئاسة الخلايا تمضى عبر تسلسل سرى ، فى المدفعية مثلا كان الغالبية العظمى من الضباط الاحرار من زملائه وتلاميذه ، أو معارفهم وأصدقائهم ، كل تلميذ له أو زميل سلاح مسئول عن التنظيم السرى فى الآلاى ،

ثم مسئولا أمام كمال الدين حسين فى النهاية . وهكذا الحال فى بقيـة أسلحة الجيش وقادة التنظيم أعضاء مجلس الثورة بعد ذلك ، فى تشكيلاتهم ووحداتهم .

ومن هنا بقى التنظيم فى قواعده وبالتالى فى قيـادته غير قابل للتصدع ، وكل يوم يكسب ضباطا جددا فى أسلحة أخرى بعد اجراء كثير من الاختبارات عليهم ، حتى نتأكد من الاستمرارية فى العمل السرى الثورى .

وفى عام ١٩٥١ بعد أن انتهيت من دراستى فى كليـة أركان حرب عدت الى مدرسة المدفعية وطلبنى بعد فترة قائد مدفعية الفرقة الاولى مشاة فى رفح لأخدم هناك ، وبالفعل توليت أركان حرب مدفعية القوات المصرية بين رفح والعريش وسيناء ، وبجانب قيـامى بتدريب الوحدات عملت على اعادة تنظيم خلايا الضباط الاحرار فى الفرقة وتدعيمها بعنـاصر جديدة خلال ثمان شهور قضيتها معهم .

وعدنا الى نشاطنا

ثم عدت الى القاهرة بعد أن طلبت رسميا لأعمل مدرسا بكلية أركان حرب فى العاصمة .

وفى كلية أركان حرب استدعى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر للعمل مدرسا ــ وهناك التقيت بالزميل زكريا محيى الدين الذى عين بهيئة التدريس أيضا .. وعادت لقاءاتنا ونشاطنا ، ويومها علمت لأول مرة أن البكباشى زكريا محيى الدين أحد أعضاء التنظيم السرى للضباط الاحرار عن لجنة القاهرة .

واستمرت الخلايا السرية تتدعم وتنمو بكل نشاط وهمة .

« وجاءت عملية الغـــاء اتفاقية ٣٦ ، فى نهاية عام ١٩٥١ ، وظهرت حركة الفدائيين وأخرجنا ما نملكه من أسلحة وذخائر وقنابل كنا بدأنا فى جمعها وتخزينها سرا منذ عام ١٩٤٨ وسلمناها للفدائيين كما قمنـــــا أو قام أكثرنا بتدريب الجدد منهم ، ثم وقع حريق القاهرة » .

وتقرر اجراء انتخابات نادى الضباط ، ورشح الملك حسين سرى عامر ، وقام الضباط الاحرار بتحدى رغبات الملك ووضعوا مندوبين لكل سلاح فى النادى ، واستطاعوا السيطرة على الانتخابات بتاييد من القـــاعدة العريضة من ضباط الجيش جميعا ، وحين نجحوا ، ادركوا انهم قادرون على التحرك واصبحوا مالكين لراى عام عسكرى عريض ظهر بارزا خلال اجراء انتخابات النادى ، ونجاح اللواء محمد نجيب رئيسا لمجلس الادارة ، ورشاد مهنا سكرتيرا للنادى ، وحسن ابراهيم وزكريا محيى الدين اعضاء مجلس الثورة بعد ذلك ، اعضاء بالمجلس .

ووضع الضباط الاحرار فى حساباتهم احتمالات رد الفعل لدى السراى وكبار قادة الجيش واحتمال كشف التنظيم وخلاياه وكان المرحوم جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وكمـــال الدين حسين يعملون تلك الفترة بالتدريس فى كلية الاركان ، وقد شعر الجميع بأن الملك لن يسكت ، وقد يسبقهم بضربة مفـاجئة ، فأخـذ الضباط الاحرار فى العمل للمراحل النهائية للثورة ، وقد قال لى كمال الدين حسين اذكر اننا عملنا فى وضع الترتيبات النهائية للتحرك ونحن نقوم بتصحيح اوراق دفعة جديدة من الضباط تقدمت للالتحاق بالكلية ، وكان معنا الدكتور راشد البراوى لتصحيح مادة استراتيجية الشرق الاوسط

« ووضعت خطة تحريك القوات وليس فى أجسادنا عرق واحد لاينبض بالثورة والتفكير فيها ، وكعضو لجنة القيادة المسئول عن المدفعية قمت بمهامى كما قام بها زملائى فى الاسلحة الاخرى ، قمت بالمرور على الوحدات المختلفة بالسلاح للتأكد من تمام الاستعداد لدى القيادات الصغيرة ، لم نحدد لهم يوم التحرك حرصا على السرية غير أنني فوجئت ببعض الضباط يستعدون للقيام بأجازات فلم أعترض .. هكذا فعلنا فى بقية أسلحة الجيش ، تركناهم يقومون بأجازاتهم رغم أهميتهم ليوم التحرك حرصا على سلامة وسرية الثورة ، وللأسف حرم بعض هؤلاء الضباط الاحرار ، من الاشتراك فى ليلة ٢٣ يوليو » .

« ووضعت خطة تحريك القوات ثم نوقشت وأضيفت اليها لمسات أخيرة فى اجتماع عقد بمنزل خالد محيى الدين ، وكانت الخطة تقضى ببساطة الى السيطرة على قطاعات الجيش بالعاصمة ومنع القيادات والرتب الكبيرة من الاتصال بقطاعاتها ووحداتها ومن ثم الحصول على تأييد كل الجيش والشعب ، وكنا على ثقة من قيام هذا التأييد ، فالجميع كان ينتظر هذه اللحظة » .

« وفى مساء ٢١ يوليو ١٩٥٢ عقدنا اجتماعا موسعا لضباط المدفعية فى بيت أبو الفضل الجيزاوى أحد الضباط الاحرار بالسلاح ، وحضر هذا الاجتماع حسين الشافعى ممثلا لسلاح الفرسان ، وقررنا تأجيل الثورة ٢٤ ساعة أخرى حتى تستكمل بقية الاسلحة استعداداتها للتحرك » .

« ولاعتبارات الأمن تقرر فى آخر لحظـــة أن يكون الاجتماع التالى بعد ظهــــر ٢٢ يوليو موزعا بين منزلى محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت من أحرار المدفعية، وحدث أن بعض الضباط لم يوفق فى الذهاب الى واحد من المكانين » .

« ولقد حضر هذا الاجتماع المرحوم جمال عبد الناصر، وتمت عملية توزيع الواجبات على قطاعات المدفعية » .

« قبل ذلك الاجتماع بساعات ، أى فى صباح ٢٢ يوليو ذهبنا « الرئيس الراحل وأنا » الى السيد صالح أبو رفيق وكان من قادة الاخوان المسلمين ، وأخطرناه حسب اتفاقنا المسبق بموعد الثورة بهدف كسب تأييدهم لثورتنا ، كما اتفقنا معه على أن تقوم قوات من متطوعى الاخوان بالمعاونة مع وحدات الجيش للسيطرة على طريق السويس لصد أى هجوم انجليزى يحتمل أن يتحرك نحو القاهرة صباح يوم الثورة » .

« وعدت الى منزلى لاســـتبدل بالقميص والبنطلون الملابس العسكرية ، وفعل المرحوم جمال عبد النـاصر نفس الشيء وطلبت منه أن يعيد معه مسدسى الذى كنت قد أعطيته له من قبل ليحتفظ به فى مخزن خاص عهدة مجدى حسنين حتى يمكن حمل سلاحى ساعة التحرك» .

« وفى هذه الاثناء جاءنى بعض ضباط المدفعية ومعهم « الضابط حسن محمود صالح » ليقول ان شقيقة اللواء طيار متقاعد صالح محمود وكان معروفا لنا بتعاونه مع السراى ، قد عرف بنبأ تحركنا من حديث جرى بين حسن والسيدة والدته التى استنتجت بأن أبنها يشترك فى حركة ضـــد الملك ، وخشيت عليه ، فأبلغت شقيقه

الاكبر الذى اتصل بدوره بالسراى !! » .

وانصرف الضباط ، وجاء جمال عبد الناصر واخطرته بما حدث ، وكان رده « ان العجلة قد سارت ولا يهم ماحدث » .

« وتحركنا مبكرا ، واستفدنا تماما من التبكير بموعد التحرك لاننا كما سيأتى قد أمكننا أن تقابل كبار القادة الذين بدأوا يتوافدون على مراكز الاسلحة ويجدوننا فى استقبالهم .. كما استطعنا أيضـــا القبض على رئيس الاركان وبعض القـــادة الآخرين فى القيادة العامة أثناء اجتماعهم للقيام بضرب الثورة » .

الذين هربوا

« قبل ذلك بساعات ، كانت هناك تعليمات لعدد ليس بقليل من الضباط الاحرار بالبقاء فى بيوتهم حتى السادسة مساء ٢٢ يوليو الى أن نمر عليهم مرة أخرى وكما هو الحال فى كل الحركات عندما يجـــد الجد تخلفت القلة القليلة وقامت الاغلبية الساحقة بواجباتها » .

« ومن هؤلاء الذين هربوا أو تخلفوا ، من تولى بعد فترة من الثورة أكثر المناصب حساسية فى ادارة مرافق البلاد !! »

نعود الى تحركنا المبكر .. واذكر أن قائد المدفعية اللواء حافظ بكرى اتصل تليفونيا بادارة المدفعية فرد عليه الزميل فؤاد صالح ، أحد ضباط المدفعية الاحرار، وقال حافظ بكرى :

ـ انا جاى فى السكة حالا ..

وطمأنه فؤاد صالح ..

« وذهبت ومعى أبو الفضل الجيزاوى وبعض الزملاء فى عربة جيب الى مدرسة المدفعية .. لم يكن معنا سلاح الا طبنجة واحدة وهى التى أحضرها الرئيس عبد الناصر لى معه ، وفى مدرسة المدفعية كان ينتظرنا على فوزى يونس ومبارك الرافعي وأحمد كامل وكانوا من أحرار المدفعية المضادة للطائرات وفؤاد صالح ومحمد المكاوى وفتحنا مخزن السلاح وسلمت باقى الزملاء أسلحتهم ، وتحرك فؤاد صالح وقوته الى طريق السويس لمواجهة لواء حدود بقيادة حسين سرى عامر كان يستعد للقيام بضربة مضادة لنا بعد أن علمت السراى بتحركنا وقطعت هذه القوة أسلاكالتليفون بتحركها لآلاى الحدود واتصل فؤاد صالح بقائد الآلاى وانذره بأن أى بادرة تحرك منه سوف يطلق عليه النيران » .

« وذهب أبو الفضل الجيزاوى الى رئاسة المدفعية للاستيلاء عليها والتحكم فى مواصلاتها ، وفعلا اتصل به هناك الفريق حيدر باشا ، وتقمص الجيزاوى شخصية قائد المدفعية ، وتحدث مع حيدر تليفونيا عدة مرات مطمئنا سعادته ! » .

« وفى مركز تدريب المدفعية جاءنا اللواء على نجيب ، قائد قوات قسم القـــاهرة ، ومعه المرحوم البكباشى يوسف العجرودى أركان حربه ، وبعد مناقشة معه عما يتوقعه من الملك والانجليز من عمل مضاد لنا ، قبضت عليهما ، وأخبرته ان شقيقة اللواء محمد نجيب هو قائد الثورة ، وتركت للزميل بكباشى عبد المنعم أمين عضو مجلس الثورة فيما بعد ، وكان قد وصل أيضـــا أن يتحفظ عليهما » .

وفى مركز تدريب المدفعية قاد وحداتها مصطفى راغب

وحسن ضياء الدين والمرحوم سعد شحاتة .

« واتجهت الى زملائى بقية ضباط المدفعية للاطمئنان على تحركاتهم وتنفيذ الواجبات المخصصة لهم ، بعدها ذهبت الى مدفعية الفرقة المدرعة الموجودة ما بين طريق السويس ومداخل مصر الجديدة عند تقاطع رئيسى الطرق تسيطر عليه وحدة م ـ د بقيادة خالد فوزى حيث وصل قائد المدفعية اللواء حافظ بكرى وبرفقته أركان حربه عبد الفتاح كاظم وقابلت قائد المدفعية الذى لم يتصور قط وجودى واشتراكى بل وقيادتى لهذا العمل الذى تقوم به قواته ونصحنى بأن الانجليز سيتدخلون ، وان باقى الجيش ضدنا ، فقلت له بل كل الجيش معنا . وجردهما الرجال من السلاح وتحفظنا عليهما فى مكاتب مدفعية الفرقة المدرعة مع اللواء على نجيب والعجرودى » .

« وفى نفس المنطقة أيضا تم القبض على بعض قادة الطيران بعد انصرافهم من اجتماع رئيس الاركان » وأشرفت على خروج وحدات هذه الفرقة ـ وحدة جمال نظيم ووحدة محمد حمدى محمود ومحمد عزت عبد الغنى وربيع عبد الغنى وصلاح عبده وغيرهم وبقى مصطفى مراد على حراسة القادة المعتقلين حتى ارسالهم للكلية الحربية . »

« كانت بقية وحدات المدفعية بقيادة فتح الله رفعت ومحسن عبد الخالق وعيسى سراج الدين وعلى شريف وعبد الستار أمين قد تحركت من هاكستب بعد القبض على البكباشى المعتز بالله أركان حرب الفرقة المتمركزة بالمعسكر ، وقطعت طريقها لتحتل أماكنها حسب الخطة » .

وكانت آخر نقطة فى واجب المدفعية هى تقاطع الطرق عند مدخل معســـكرات العباسية ، وكنت فى تلك اللحظات أرافق وحدة مدفعية مضادة للدبابات يرأسها « الملازم ثان يوسف زين » للســيطرة على مدخل العباسية ، ووجدنا هناك قوة بوليس حربى مكونة من عدة عربات محملة بالافراد المسلحين بالرشاشات كانت مكلفة بمعاونة القيادة العامة فى كوبرى القبة وأمام الأمر الذى أصدرته بالاستعداد لاطلاق النار لاذت بالفرار ورجعت الى قيادة كوبرى القبة حيث وجدت اللواء حسين فريد رئيس أركان حــرب الجيش ينزل من قيادته مقبوضا عليه الى الكلية الحربية وأدينا له التحية العسكرية وأخذنا فى الاتصال بباقى الوحدات فى جهات القاهرة المختلفة للاطمئنان على خروجها .

ذهبنا الى على ماهر

« ليلة الثورة كان السيد رشاد مهنا بالعريش وقد ساعد تلقائيا المرحوم جمــال سالم فى السيطرة على القوات الموجودة هناك فجر ٢٣ يوليو، بعد أن علم بقيام الثورة ، وكان المرحوم صلاح سالم فى رفح حيث قام بدوره أيضا » .

« وفى صباح ٢٣ يوليو ، أخذت قوات مشتركة من المدفعية والدبابات الى ميدان قصر عابدين لمحــاصرة القصر الملكى » .

« وفى بداية الساعات الاولى كانت لنا السيطرة على القاهرة والقناة والاســكندرية وقد ظهرت طائرتنا فى سماء هذه المناطق وبدأنا مرحلة أخرى من العمل » .

« قررنا أن يتولى المرحوم على ماهر رئاسة الوزارة

وأن نقدم له بعض مطالبنا ، وهى مطالب أعدت للتمويه والخداع حتى لا نكشف أوراقنا كلها ، وفكرنا وعرفنا أن احسان عبد ألقدوس يعرف على ماهر ، فجئنا به وذهبنا الرئيس السادات واحسان وأنا الى بيته فى الجيزة وفاتحناه فى تأليف الوزارة » .

« لم يكن الرجل يتصور ان الثورة ستخلع الملك ، فوافق على اقتراحنا » .

« وفى يوم ٢٤ ــ ٢٥ يوليو تحـــركت قوات من المدفعية والمشاة الى الاسكندرية وتحرك معها الاخوة لواء محمدنجيب وجمال سالم والرئيس السادات وحسين الشافعى وأحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ مشاة لحصار رأس التين والمنتزة بالاشـــتراك مع عناصر الضباط الاحرار بالمدينة . ولقد اشترك عبد المنعم عبد الرءوف فى عملية حصار رأس التين تنفيذا لخطة عزل الملك » .

« وفى صباح ٢٦ يوليو قمت بقيادة قوة من المدفعية والدبابات الى قصر عابدين للسيطرة على القصر والقوة الموجودة به ــ وبعد استسلام قائد حـــرس القصر وتعيين أحد رجالنا قائدا له .. كان الملك فاروق يوقع وثيقة التنازل عن العرش ويستعد لمغادرة البلاد الى دون رجعة » .

وذهبت لفورى الى منزل أبى ، فى حى السيدة زينب ، وكان لقاء بالاحضان والدموع ، كان الملك قد سقط .

ودالت دولة .

« وبدأت مرحلة جديدة فى تاريخ مصر مفعمة بالأمل والاحلام . »

رشــــاد مهنـــا
وأول صدام بين ثوار يوليو

كان لســـلاح المدفعية دور كبير كما اتضح لنا من حديث كمال الدين حسين ـ قبل يوليو ١٩٥٢ ، كما كان حجم أحرار المدفعية فى خـلايا التشكيل السرى للضباط الثوار كبيرا أيضـــا ، بل أن المرحوم الصاغ صلاح سالم وهو ضابط مدفعية ميدان ، قام بنصيب كبير فى أيجـاد حلقات تعـارف وصلة وتعـاون وعمل مشترك بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كرئيس للهيئة التأسيسية ، وبعض الضباط الاحرار من العاملين فى الاسكندرية ، والاغلبية منهم أبنـــاء سلاح واحد ـ المدفعية ، وبالتالى قائدهم البكباشى عاطف نصار وهو من ضباط المدفعية الساحلية .

ولقد وقع أول صراع بين ثوار يوليو خلال الشهر الرابع على قيام الثورة ، وكانت المدفعية ممثلة فى العقيد رشاد مهنا الوصى السابق على العرش ، وأحد الضباط الاحرار القدامى فى سلاح المدفعية ، تمثل أحد طرفى الصراع ، والطرف الثانى هو مجلس قيـــادة الثورة بالطبع ، يؤيده قطاع كبير من أحرار المدفعية فى الوقت نفسه وبقية الاسلحة الاخرى .

ولقد أصدر مجلس قيادة الثورة فى ١٤ أكتوبر ١٩٥٢ قرارا أحدث ضجة كبرى فى الاوساط السياسية محليا وعالميا وفى الاوساط الصحفية الدولية ، وكان القرار يقضى باقالة السيد رشاد مهنا من منصبه كوصى على العرش أو ممثلا لمجلس قيادة الثورة فى لجنة الوصاية على العرش قبل اعلان النظام الجمهورى بثمان أشهر .

وفى ٧ يناير ١٩٥٣ ، صدر قرار آخر بالقبض على رشاد مهنا ، ثم أصدر مجلس قيادة الثورة الذى تشكل على هيئة محكمة لم يشترك فيها كل من اللواء محمد نجيب قائد المجلس والبكباشى أنور السادات عضو مجلس الثورة حكما بالسجن المؤبد على رشاد مهنا وعلى عدد آخر من الضباط بالسجن والطرد من الخدمة العسكرية ، وكان لهذه المحاكمة أول محاكمة « للثوار » فى عهد الثورة ، وقد عرفت بقضية المدفعية ، دوى فى أنحاء العالم .. وقد نشرتها صحف أوربية كثيرة بل وتابعت تطوراتها ، ووصفها كبار الكتاب والصحفيين الأجانب الذين كانوا يعملون من القاهرة ، وصفوها فى برقياتهم الصحفية بأنها أول صدام ينشب بين المؤمنين بالديمقراطية من ثوار يوليو وبين المدافعين عن الديكتاتورية .

وكان ضروريا أن أذهب وألتقى بالرجل الذى كان له شرف القبض عليه عام ١٩٤٧ بتهمة العمل مع بعض الضباط الآخرين ضد الملك وقياداته العسكرية ، وأعترف اننى فشلت فى أن أجعله يتكلم ، غير أن محاولاتى معه استمرت أعواما حتى كان هذا الحوار الذى دار بيننا فى بداية عام ١٩٧٦ .

هذه هى القصة من بدايتها ..

فى اليوم الثامن لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، أصدر مجلس قيادة الثورة برئاسة اللواء محمد نجيب قرارا بتعيين القائمقام رشاد مهنا وزيرا للمواصلات .

ورتبة القائمقام يعادلها الآن رتبة العقيد .

وسأل الصحفيون اللواء محمد نجيب :

ـ من هو رشاد مهنا ؟

ـ انه الأب الروحى للثورة .

وصدرت الصحف الصباحية يوم الخميس ٣١ يوليو ١٩٥٢ تحمل النبأ وصور استقبال المرحوم على ماهر باشا رئيس الوزراء للضابط الوزير الجديد فى وزارته وقالت صحيفة « الأهرام » ان القائمقام رشاد مهنا كان قائدا للكلية الحربية .

ولم يكن ذلك صحيحا ..

وتحدثت جمــــاهير الشعب طـوال ذلك اليوم عن القائمقام رشاد مهنا ، وقال كثيرون انه حتما الرجل الثانى فى الثورة بعد اللواء محمد نجيب ، وانه دخل الوزارة ليبقى فيها ممثلا لمجلس قيادة الثورة ، الذى بقى يعمل فى الخفاء تلك الايام ، ولم يعلن عن أعضائه ، وان كانت الصحف قد نشرت بعض الصور لاجتماعاتهم حول اللواء محمد نجيب بمقر القيادة العامة بكوبرى القبة .

كانت هذه الصورة المعانة للشعب ..

أما الحقيقة فمختلفة تماما ..

أكثر قيادات الاحزاب السياسية ألقائمة أيامها كانت تعـرف رشاد مهنا وكثـيرا ما قضى ليالى عـديدة فى مناقشات سياسية مع أبرزهم قبل الثورة ، فرددوا انه أى رشاد مهنا ، هو القائد الحقيقى للثورة .

بعد ٢٤ ساعة من نشر النبأ ، وتخبط الجماهير فى معرفةحقيقة هذا الضابط الذىتولى وزارة المواصلات ، بينما الشعب متعطشا للوقوف على أى أخبار عن هؤلاء الثوار الذين طردوا الملك ، نشرت الصحف ان السيد سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة حمل فتوى قسم الرأى بالمجلس الى على ماهر باشا رئيس الحكومة ، بشأن الوصاية على عرش مصر ، وكانت تنص على هيئة وصاية مكونة من ثلاثة ، يختارهم مجلس الوزراء ، وفى اليوم نفسه اول أغسطس ١٩٥٢ ، أصدر مجلس الوزراء قراره بتكوين هذه الهيئة ، وقد اختار لها بالترتيب الآتى هؤلاء الثلاثة :

ــ الأمير محمد عبد المنعم ــ من الأسرة المالكة .

ــ القائمقام محمد رشاد مهنا .

ــ الاستاذ بهى الدين بركات « باشا » .

وخلع القـــائمقام رشاد مهنا ملابسه العسكرية ، وارتدى الملابس المدنية ، وبدأ يعمل فى قصر عابدين ، واستطاع خلق مناخ تعاون وصـداقة بينه كثائر يمثل الجيش وبين عضوى الوصاية الأمير والباشا . ورغم ذلك لم تستطع الصحافة أن تنشر من هو رشاد مهنا ، وما هو دوره فى ثورة ٢٣ يوليو ؟!

وانقضى شهرا اغسطس وسبتمبر ، وصدر قانون الاصلاح الزراعى ، ثم ظهرت الصحف صباح ١٤ أكتوبر

عام ١٩٥٢ ، بأول نبأ يحمل ملامح الخلاف بين ضباط القيادة العامة للقوات المسلحة أو ثوار يوليو .. نشرت الصحف فى صفحاتها الاولى بيان القيادة العامة للقوات المسلحة باقالة « الوصى » رشاد مهنا .

وجاء فى البيان :

ـ ان الوصى رشاد مهنا سمح لنفسه بمعارضة قانون تحديد الملكية « الاصلاح الزراعى فيما بعد » رغم علمه التام بأن هذا القانون هو حجر الزاوية فى الاصلاح الشامل الذى تريده الامة والجيش وقيادته ، وبلغ به التمادي أبعادا فأخذ يدلي بالتصريحات العامة للصحف والمجلات المصرية والاجنبية ، وتناول موضوع السودان وموضوعات داخلية من صميم سياسة الدولة ، ولايجوز له كوصى أن يصدرها .

وجاء فى البيان أيضا :

ـ « انه دأب على بث روح الفرقة بدعاية واسعة نحو غاية مرسومة حتى بدا أن هناك جملة اتجاهات للجيش ، وانه تجاهل النصح والارشاد » .

وكانت مفاجأة لجماهير الشعب ، ولكنها لم تكن مفاجأة لبعض الصحفيين الذين اقتربوا كثيرا من مجلس قيادة الثورة ، أو القيادة العامة للقوات ، وشهدوا قدرا من بداية الصراع بين ثوار وأحرار يوليو ، ولم يكن ماحدث لرشاد مهنا الا حلقة من هذا الصراع الذى تكتموه جيدا !

نعود الى ١٤ أكتوبر ١٩٥٢ ، فنجد اللواء محمد نجيب رئيس مجلس الثورة يصرح للصحف بتأكيد صداقته للسيد رشاد مهنا ، واستمرار صداقته له ويعلن

بأن ما حدث ليس له أدنى تأثير على هذه الصداقة !!
وازداد تخبط الناس ..

وفى اليوم نفسه ١٤ أكتوبر ١٩٥٢ ، يوم اقالة رشاد مهنا وقعت مفاجأة أخرى ، فقد قدم بهى الدين بركات باشا الوصى الثالث على العرش استقالته ، وتقرر اسناد الوصاية الى الامير محمـــد عبد المنعم فقط ، وقالت الصحف أن التفكير اتجه الى انشاء وزارة جديدة لشئون القصر .

من هم .. ؟

وتجاهلت الصحف بعد ذلك حكاية رشاد مهنا ، حتى نساها الناس أيضا ، غير ان واقع الأمر كان يعكس صراعا شديدا بين القاعدة العريضة من الضباط الاحرار الذين قاموا بثورة ٢٣ يوليو ، وبين قيادتها المتمثلة فى مجلس قيادة الثورة برئاسة علنية للواء محمد نجيب ، ورئاسة فعلية للبكباشى جمال عبد الناصر ، وبين الاثنين كما هو معروف دار صراع مرير لم ينته الا فى عام ١٩٥٤ .

واستمر هـــذا الصراع محصورا داخل اجتماعات الضباط الاحرار فى أسلحتهم بالجيش ، ومناقشتهم حول مصير البلاد ومصير ثورتهم التى قاموا بها ، وفى نطـاق اجتماعاتهم بأعضاء مجلس قيادة الثورة فى كوبرى القبة ، وهى اجتماعات أقرب الى اللقاءات الجماعية ، وكانت تتم يوميا تقريبا ، وتستمر عدة ساعات من الليل أو من النهار ، وقد أخذ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يذهب الى الوحدات العسكرية فى زيارات متكررة شبه يومية فى محـاولة للسيطرة على هـذه الصراعات وكبح جماح الضباط الاحرار من صغار الرتب خاصة بين رتبة

« اليوزباشي ـ نقيب » الآن وملازم أول ، وهؤلاء يمثلون القاعدة العريضة لخلايا تنظيمات الضباط الاحرار فى أسلحة الجيش والطيران ... وبالتحديد فى «المدفعية» ثم المشاة فالمدرعات ، حيث ارتفعت الاصوات بعض الشيء تسأل ماذا يفعل مجلس قيادة الثورة ... وفى أحيان أخرى كان السؤال ... من هم أعضاء مجلس قيادة الثورة ؟!

ولقد تعمدت ذكر هذه الصراعات لأن لها صلة مباشرة بقضية رشاد مهنا ، وقضية ما قيل عنها بأنها أول صدام بين أنصار الديمقراطية ، وانصار ـ الدكتاتورية ، من الضباط الاحرار الذين يتزعمون مناصرة الديمقراطية ويطالبون باجراءات ثورية محددة يمثلون ضباط المدفعية ، وقد توقف هذا الصراع بالقبض على عدد ليس بقليل من هؤلاء الثوار ... « أحرار المدفعية » فى النصف الاخير من اكتوبر ١٩٥٢ .

انني أكتب هذه التفاصيل وقد عاشتها كصحفي، يتردد كل يوم على مجلس قيادة الثورة ، ويزور أسلحة الجيش خلف البكباشي جمال عبد الناصر، وكانت زياراته شبه يومية ، وكنا ثلاثة من الصحفيين نتابع هذه الزيارات باهتمام ومثابرة .

ومرت عدة أشهر ثم صدرت الصحف اليومية يوم ٣١ مارس ١٩٥٣ ، حاملة مفاجأة جديدة استوعبت عدة صفحات !

فى ذلك اليوم نشرت الصحف بدون سابق مقدمات نبأ تشكيل مجلس قيادة الثورة على شكل محكمة وتاريخ صدور قرار تشكيلها فى ٢٨ فبراير ١٩٥٣ ، لمحاكمة

« ١١ » ضابطا على رأسهم رشاد مهنا ، وثلاثة مدنيين، بتهمة احداث فتنة فى القوات المسلحة . ومع قرار التشكيل وأسماء المتهمين نشرت الصحف تفاصيل الاتهامات الموجهة للضباط والمدنيين الاربعة عشر ، والاحكام التى أصدرتها المحكمة وتصديق رئيس مجلس قيادة الثورة عليها .

وهنا مفاجأة أخرى ، فلأول مرة يذاع اسم البكباشى أركان حرب جمال عبد الناصر مقرونا بصفته الرسمية وهى رئيس مجلس قيادة الثورة .

كانت هيئة المحكمة مكونة من جميع أعضاء مجلس الثورة ، ماعدا « اللواء محمد نجيب والبكباشى أنور السادات والبكباشى عبد المنعم أمين عضوى مجلس الثورة ، وفى الوقت نفسه لم تنشر الصحف أى تبريرات رسمية توضح عدم اشتراكهم فى هذه المحاكمة ... غير ان الاستنتاجات والترددات كانت تقول بأن اللواء محمد نجيب اعتذر عن اشتراكه فى محاكمة أبرياء ، وان البكباشى أنور السادات اعتذر هو الآخر لأن بعض الضباط من المتهمين كانوا يعارضون منذ بداية الثورة انضمام كل من البكباشى عبد المنعم أمين والبكباشى أنور السادات الى مجلس قيادة الثورة ، فرأى السادات انه من الافضل عدم اشتراكه فى المحاكمة حرصا منه على حياد المحكمة، وفى الوقت نفسه كان عبد المنعم أمين قد اختلف مع قيادة الثورة واعتكف قليلا ، وهى القصة التى رويناها كاملة فى الصفحات السابقة .

وقيل أيضا ان أنور السادات اعتذر عن الاشتراك فى المحاكمة ، قائلا : « لن أحاكم ضابطا مصريا .. أنا الذى تعرضت للسجن والمحاكمة عدة مرات .. »

وصدرت الاحكام يوم ١٩ مارس ١٩٥٣ ، كما نشرت الصحف فى ٣١ مارس ، وكانت تقضى بالآتى :

١ ــ قائمقام « عقيد » محمد رشاد مهنا ــ بالسجن المؤبد .

٢ ــ يوزباشى « نقيب » محسن عبد الخالق « ١٥ سنة سجن وطرد من الخدمة العسكرية » .

٣ ــ بكباشى ابراهيم عاطف « ١٠ سنوات سجن وطرد من الخدمة العسكرية » .

٤ ــ بكباشى مصطفى راغب « ١٠ سنوات سجن وطرد من الخدمة العسكرية » .

٥ ــ يوزباشى محمد سعد الدين عبد الحفيظ « ٧ سنوات سجن وطرد من الخدمة العسكرية » .

٦ ــ يوزباشى محمد عبدالله « ٥ سنوات سجن وطرد من الخدمة العسكرية » .

٧ ــ ملازم أول محيى الدين الخولى « ٥ سنوات سجن وطرد من الخدمة العسكرية » .

٨ ــ صاغ السيد ابراهيم « ٣ سنوات سجن وطرد من الخدمة العسكرية » .

٩ ــ يوزباشى أحمد وصفى « ٣ سنوات سجن وطرد من الخدمة العسكرية » .

١٠ ــ صاغ عبد العزيز هندى « سنة سجن وطرد من الخدمة العسكرية » .

١١ ــ صاغ حمزة أدهم « الاستغناء عن خدماته » .

١٢ ـ مدنى طبيب عبد العزيز الشال « ١٠سنوات سجن » .

١٣ ـ المحامى صبرى الحكيم « سنتان سجن » .

١٤ ـ المحامى محمود رشيد « سنتان سجن » .

وجاء بالبيان ـ ان المتهم الحادى عشر من العسكريين وهو اليوزباشى فتح الله رفعت لم تجر محاكمته لمرضه.

وسنعود الى بعض هؤلاء الضبـــاط فى الصفحات القادمة .

وكانت التهم الموجهة الى القائمقام محمد رشاد مهنا ، الوصى السابق على العرش ، انه سـعى مع آخـرين لاحداث فتنة فى القوات المسلحة باغراء عسكرى ، وانه قال لبعض الضباط ان القيادة تعتزم أن تقسم فى مصر جمهورية غير دنية ، وذلك بشهادة ٦ من العسكريين المتهمين وهم « مصطفى راغب ومحمد عبد الله وابراهيم عاطف وعبد العزيز هندى وحمزة أدهم ومحمد الخولى »

كماشملت قائمة الاتهام الموجهة لرشاد مهنا ولزملائه، « التمهيد لاستخدام القوة عند اللزوم ، وتجمع عدد من الضباط لاجراء أى عمليـــة فى الوقت المناسب ، والقبض على ضباط القيادة .. أى أعضاء مجلس قيادة الثورة » !

لقد التقيت بالسيد رشاد مهنا عدة مرات ... فى نهاية يوليو ١٩٥٢ ، وفى شهرى أغسطس وسبتمبر من نفس العام وقبل القبض عليه بأيام قليلة ، ثم التقيت به مرة أخرى فى الايام الاولى من يناير ١٩٧٥ ، بعد الحاح شديد منى ، لكى أستمع الى حقيقة وخلفيـــة هذه الاحداث ... وأقف على التفاصيل الدقيقة لقصة أول صراع على السلطة بين قمة ثوار يوليو، وهوالصراع

الذى أطلق عليه البعض بعد ذلك « صراع أنصار الديمقراطية وأنصار الدكتاتورية » بين الضباط الاحرار أعضاء الخلايا السرية فى الجيش المصرى، الذين قاموا بثورة يوليو ١٩٥٢ .

ولد السيد رشاد مهنا عام ١٩٠٩ — بقرية التوفيقية — بحيرة — لأب من قدامى خريجى الأزهر الشريف ...
قال لى الرجل :

— « قامت ثورة ١٩ وكنت تلميذا بالمرحلة الابتدائية فتفتح وجدانى على الثورة ، وقصص أبطالها وتضحياتهم الجليلة .. »

« وانتقلنا الى طنطا لنعيش فيها حيث تقع أقرب مدرسة ثانوية لدمنهور التى لم تكن تضم مدارس ثانوية فى تلك الفترة من بداية العشرينات ، وفى زيارة المدينة أقام الانجليز معسكرا اقيم أتيهم ، كنت أقف أمام هذا المعسكر طويلا أشاهد ما يجرى بداخله .. ثم رحلت قوات الاحتلال البريطانى ، وجاءت قوات مصرية لتتمركز فى المعسكر ، وتقوم بطوابير أسبوعية بشوارع طنطا ، تتقدمها الفرق الموسيقية ، وقد ارتبطت نفسيا بهذا الطابور ، وعشت أتتبعه بشغف كلما ، وكانت بداية ارتباط النفسى بالجيش ، والاعجاب بضباطه المصريين .

وحاولت الالتحاق بالمدرسة الحربية ، وعارض أبى ، والحقنى بكلية الطب التى قضيت بها عاما كاملا ، وما لبثت أن عدت الى المدرسة الحربية ، بعد أن أقنعت والدى بضرورة التحويل ، والتحقت بها عام ١٩٢٩ ، وتخرجت بعد ثلاث سنوات ، ضابطا بسلاح المدفعية » .
« كان الجيش فى الثلاثينات يتكون من الفرسان ،

والمدفعية ، والمشاة ، يخدمون حسب توزيع عسكرى وضعه الانجليز ...

ـ الفرسان .. يبقون فى القاهرة بصفة دائمة ...

ـ المدفعية .. موزعة بين القاهرة والعريش والسلوم

ـ المشاة.. بين القاهرة والعريش والسلوم واسكندرية ومنقباد ..

وكضابط مدفعية حديث التخرج خدمت فى العاصمة عامين ثم نقلت الى العريش حيث قضيت بها عام ١٩٣٤، وفى عام ١٩٣٥ ، خدمت بالصحراء الغربية » .

وفى عام ١٩٣٧ ذهب السيد رشاد مهنا الى بعثة عسكرية ... فى انجلترا وكان الاول على بعثته ، وعاد عام ١٩٣٨ ليعمل مدرسا للمدفعية المضادة للطائرات «م ـ ط» بمدرسة المدفعية، التى تضم جميع المدفعيات، مدفعية الميدان، والمدفعية الساحلية ، والمضادة للدروع والمضادة للطائرات ... وكانت بداية لقاءات فكر وحوار مع رفاق السلاح ، وصفار الضباط من المدفعية وأسلحة أخرى فكر وحوار حول الدين والوطن والاخلاق، حلقات من المعلمين وصفار الضباط ... الذين تجمعهم اهتمامات واحدة ، وأفكار متقاربة ، ونقاء فى السلوك ونضج فى الفهم ...

وفى منتصف الاربعينات ، تولى رشاد مهنا أركان حرب قوات قسم القاهرة ، وهى ما يطلق عليها الآن المنطقة المركزية ، وبحكم الوظيفة أصبح على صلة واسعة بجميع ضباط الجيش الذين ينقلون من القاهرة الى أنحاء مصر وبالعكس ، وظل الرجل دائما شقيقا أكبر للضباط ، وزميلا وفيا ، لرفاق الدفعة وقدامى

الزملاء ، وعرفه كل من اقترب منه ضابطا متدينا متمسكا بتعاليم الدين قارئا ممتازا فى عديد من العلوم، عسكرية وغير عسكرية ، ورجلا جريئا لا يتردد عن قولة حق ، له اهتمامات وطنية ورؤيا سياسية غير حزبية ، لايساير الخطأ أو صاحبه ، مستقيم الاحكام والاراء ، رفيع السلوك ، ومن هنا كانت شعبية رشاد مهنا فى المدفعية بصفة خاصة ، وبقية أسلحة الجيش بصفة عامة ، بل أصبح الجيش المصرى يضم جيلا من الضباط يمكن أن تطلق عليهم أبناء رشاد مهنا .

تحقيق لم يتم .. !

وعرف عن الرجل عدة مواقف جريئة صلبة صامدة ضد كبار الرتب من قادة الملك ... منها على سبيل المثال قصة تكريم العميد المرحوم عبد الواحد سبل ، وهذه القصة رواها لى بعض ضباط المدفعية منذسنوات والتى اكدها لى المرحوم يوسف صديق وجاء ذكرها فى الفصول السابقة .

كان ابراهيم عطا الله باشا رئيس الاركان قد طلب الى العميد عبد الواحد سبل التوقيع على صلاحية صفقة سيارات للجيش ، وقال العميد سبل انها لا تصلح ، وأصر على رفض الصفقة ، فصدر قرار رئيس الأركان باحالة الرجل الى الاستيداع .

واجتمع رشاد مهنا بضباط عبد الواحد سبل ، واتفقوا على اقامة حفل تكريم للرجل ، واستغل وظيفته كأركان حرب قسم القاهرة وحصل على التصديق العسكرى باقامة الحفل فى نادى ضباط الجيش، وساهم كل ضابط بمبلغ معين ، وفى الحفل القى كل من رشاد

مهنا ، ويوسف صديق خطابا وطنيا تحدثا فيه عن ضرورة رفض الانحراف ، ومقاومته فى كل مكان ، ودافعا عن نقاء الجيش وضرورة حمايتـــه من التلوث .. وأثار الخطابان ضجة كبيرة بين أسلحة الجيش ، وبصفة خاصة خطاب أركان حرب قوات قسم القاهرة ، وهو منصب له حساسية عسكرية فى تحركات وحدات الجيش ...

واستدعى رئيس الاركان ــ الصاغ رشـــاد مهنا للتحقيق معه ، واستدعت ادارة المخابرات الحربيـــة ضباطا آخرين ممن أشتركوا فى الحفل ... ثم تجمد الموضوع فجأة ... ولم يفصل احد أو ينقل الى مكان بعيد !!

لمـاذا .. ؟

قالَ لى أحد ضباط المدفعية القدامى :

ــ « لقد تلقت المخابرات الحربية تقارير سرية حول تجمعات تعقد خلسة بين حين وآخر فى منـازل بعض ضباط المدفعية ، وان هؤلاء الضباط لهم نشاط ثورى ضد الملك وذكرت هذه التقارير بعض الاسماء ، وكانت لضباط من المشاة والمدفعية ، ومن بينهم المرحوم يوسف صديق ، والصاغ رشاد مهنا ولذلك نصحت المخابرات رئيس الاركان بتجميد موضوع حفلَ تكريم العميد عبد الواحد سبل واعتباره عملا تافها ، لكى تتمكن المخابرات من القبض عليهم بعد ذلكَ ، متلبسين بالنشاط السرى المضاد للنظام الملـكى » .

« ولم يفطن أحد لهذه الخدعة الا بعد ان ظهرت أول منشورات ثورية بين ضباط المدفعية تحرض على التمرد

والثورة ، والقبض على ١٧ ضابطا ، والتحقيق معهم ... حدث ذلك عام ١٩٤٧ » .

ولقد أبلغت المخابرات الحربية والبوليس السياسى معا عن رشاد مهنا فى ذلك الوقت ، فقبضت عليه النيابة العامة ، ثم باشرت التحقيق معه ومع زملائه !

واستطاع رشاد مهنا أن يجعل التحقيق يسفر عن لا شىء فى النهاية ، كما استطاع الضباط الآخرون المقبوض عليهم بتماسكهم وصلابتهم انهاء التحقيق بالحفظ ، لعدم ثبوت الادلة ...

« علق السيد رشاد مهنا » .. على هذه القصة قائلا:

ـ « تذكرت هذه الفترة أثناء التحقيق معى خلال محاكمتى أمام الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة ، وبخيالى قارنت بين أجهزة الملك فاروق ، وأسلوبها ... وبين جمال عبد الناصر وبعض رفاقه.. وأسلوبهم ! ! »

« ولا يسعنى اليوم أن أقول عن تلك الايام الماضية من عام ١٩٤٧ ، الا انها كانت فريدة ... أيام سيادة القانون قبل أجازته الطويلة »

عاد رشاد مهنا الى عمله بعد التحقيق معه ، كما عاد بقية الضباط الى مواقعهم ، واكتفى رئيس الاركان بنقل عدد قليل منهم الى مناطق نائية ! !

وتوقف نشاط الضباط الثوار فى المدفعية مؤقتا ، وذلك شىء طبيعى ... ثم قامت الجولة الاولى من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وتقدم رشاد مهنا يطلب السماح له بالاستقالة للتطوع ، فرفض طلبه ، ومرة ثانية حين ذهب الجيش المصرى كجيش نظامى للحرب تقدم رشاد

مهنا طالبا شرف القتال فرفض طلبه مرة أخرى ...

وفى الفالوجا ... قام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بنشاطه المكثف بين الضباط من أجل « العمل سرا » بعد العودة الى القاهرة ... كما هو معروف ونشر من قبل عدة مرات، ثم عاد عبد الناصر عام ١٩٤٩ الى العاصمة ، وبدا يتصل بمن رشحهم لرئاسة خلايا الضباط الاحرار فى تنظيمه السرى داخل أسلحة الجيش

بصراحة ...

قال لى السيد رشاد مهنا :

ــ كنت أعرفه بحكم وظيفتى كأركان حرب قسم القاهرة ، كما أعرف بقية ضباط المشاة والاسلحة الاخرى ، وذات صباح ، يوم جمعة على ما أذكر، فوجئت به يزورنى بدون سابق موعد ــ فى منزلى بحمامات القبة وتكلم عبد الناصر فى الموضوع قائلا :

ــ « اننى أعرف تماما من هو رشاد مهنا الذى جئت اليه اليوم لألتقى به فى بيته وأعرف تاريخه ومكانته ، ولذلك سأتحدث بصراحة تامة معك ... لقد قمت مع زملاء من أسلحة مختلفة بتكوين تنظيم سرى داخل الجيش ، ونريدك معنا ... ما رأيك ؟ »

وقال لى السيد رشاد مهنا وهو يستعيد حديث ذلك اليوم البعيد ...

ــ « تحدثت أنا الآخر معه بصراحة مطلقة ، قلت له لا أريد أن أنضم لجماعة تعمل سرا أو تنظيم سرى ، وبالتالى لا أريد الانضمام الى حزب أو هيئة أو رابطة ما ، لأننى رجل يؤمن بالعمل فى الضوء .. كما أرجو

الا تفهم من حديثى هذا اننى غير موافق على نشاطكم ، بل ستجدنى متحمسا دائما لكم »

واستغل عبد الناصر بمهارته الشخصية هذه الاجابة، وأقنع رشاد مهنا فى النهاية بأنه يكتفى بلقاء مع زملائه، ويبقى بينهم وقتا قصيرا يتحدث اليهم ..

قلت للسيد رشاد مهنا :

ـ ترى ... ماذا كان فى رأس جمال عبد الناصر ، تلك اللحظة .. ؟

وقال الرجل وقد أغمض عينيه :

ـ ذلك شيء يعلمه الله وحده ، ولم يكن بوسعى لحظتها أن أتبين نواياه ، ولكنى كنت متحمسا حقيقة لنشاط هؤلاء الشباب .

وتواعدا ... وذهب رشاد مهنا برفقة جمال عبد الناصر الى بيت الضابط مجدى حسنين بشارع منصور ـ بباب اللوق حيث وجد زكريا محيى الدين وعبد اللطيف البغدادى ، وحسن ابراهيم ، وجمال سالم .

ودار حديث طويل ... شربوا خلاله عدة أكواب من الشاى ..

قلت : فيم تحدثتم ؟

ـ قال : استمعت اليهم أولا ، فوجدت لديهم تصورا بضرورة التخلص من كبار الضباط ، قادة وأعوان الملك فاروق .

سألت : هل تحدث عبد الناصر فى هذا الموضوع ايضا ؟

أجاب : لا .. كان أكثرهم صمتا ...

ولقد عارضت أسلوبهم وبينت لهم الجريمة والخطأ في هذا الاقتناع . وتحدثت اليهم بضرورة اختبارتأثيرهم في الجيش أولا ، وأهمية اجراء مثل هذا الاختبار، وعلى ضوئه تخططون لمرحلة قادمة ، وعرضت عليهم بعد ذلك وفي لقاءات أخرى ، اقتراحا لاجراء الاختبار، وهو الاشتراك بخلاياهم السرية في انتخابات نادى الضباط ...

قلت للسيد رشاد مهنا :

ـ معنى ذلك انك اشتركت تدريجيا في التنظيم السرى . رغم اعلانك لعبد الناصر ، انك رجل لا تؤمن الا بالعمل في الضوء ؟ !

وعلق الرجل بقوله :

ـ ليس اشتراكا بمعنى الاشتراك في النشاط ، فقد ظل دورى بالنسبة لهم دور الأب الموجه ، المتحمس لنشاط أبنائه .

مزايا محمد نجيب

وجاء عام ١٩٥٢ ، وقرر المرحوم جمال عبد الناصر وزملاؤه تنفيذ اقتراحى بترشيح رجالهم في انتخابات نادى ضباط القوات المسلحة ، وتساءلوا ... من الرجل الذى يمكنهم وضعه على رأس قائمة المرشحين ، وبالتالى يمكنه الفوز برئاسة النادى ؟

واستطرد السيد رشاد مهنا :

واقترحت اسم اللواء محمد نجيب ، وشرحت أسباب ترشيحى له :

أولا ـ هو رجل معروف بوطنيته ونقائه

ثانيا ـ انه ليس عميلا للسراى

ثالثا ـ أبعدوه عن سلاح الحدود تلبية لرغبة ملكية، ليحل بدلا منه اللواء حسين سرى عامر ، أحد أعوان الملك ورجاله فى الجيش .

رابعا ـ انه رجل يمكن التفاهم معه والاتفاق على أى خطوط ، ويمكنهم الاعتماد عليه ولن يستقل بنشاطه على الاطلاق .

وأيد الجميع ترشيحى ، وفوضونى فى مفاتحة اللواء محمد نجيب ، وذهبت اليه وفاتحته فى الامر، فوافق على الفور ... ودخلنا انتخابات نادى الضباط .

وجاءت نتيجة الانتخابات كما توقعنا ، بعد اجراء اتصالات مكثفة واسعة مع جميع العناصر الوطنية من الضباط ، وانتخبنا محمد نجيب رئيسا للنادى

وجاء يومها من يهمس فى أذنى قائلا :

ـ « كن على حذر .. لقد سمع الملك عن نشاطك ، وقال متوعدا ... هو اسمه رشاد مهنا أو رشاد الشيشكلى ؟ ! »

وحاول الملك عن طريق بعض كبار ضباطه تعديل قانون نادى الضباط ، وكنت فى ذلك الوقت التقى بعدد ليس بقليل من الضباط الاحرار ، فقلت لهم كما قلت للبكباشى جمال عبد الناصر ، انه من الاصوب الا نلتقى هذه الفترة لأننى بالضرورة مراقب ، ولقد سمعوا بحكاية رشاد الشيشكلى التى أطلقها الملك ، وماذا يعنى

هذا القول ؟ قلت لهم هذا خوفا وحرصا عليهم ...

كنت فى ذلك الوقت قد رقيت الى رتبة عقيد ، او قائمقام ما قبل الثورة ، فصدر قرار بنقلى قائدا للالاى الاول مدفعية فى العريش ، وهو عمل عسكرى قيادى مرتبط بواجبات رتبتى ، وما يجب ان يسند لمن هو فى رتبة بكباشى مثلا او قائمقام ..

وجمعت عبد الناصر واعضاء لجنة القيادة أو لجنة القاهرة كما كان يطلق عليها قبل الثورة وقلت لهم اننى ذاهب للعمل فى العريش ، وتحدثت معهم عن ضرورة تماسك أعضاء مجلس ادارة النادى ، وضرورة ان يكون الاتصال بيننا مشافهة وحددنا اسماء الرسل الذين نثق بهم ، ولم يعترض واحد منهم .

عدت أسأل : لقد ترددت قصة عام ١٩٥٣ ، تقول بأن الضباط الاحرار فوجئوا بعد قيام الثورة بأنك قدمت طلبا سريا راجيا نقلك الى العريش، عندما عرفت بقرب موعد الثورة ، وذلك حتى لا تتورط بالاشتراك فيها ، وان صلاح سالم أخبر جمال عبد الناصر، وبقية أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار، بهذه القصة حين علم بها مصادفة قبل الثورة ، فلم يصدقه أحد ، ولكنهم عثروا على الطلب بعد قيام الثورة ... ماهى حقيقة هذه القصة ؟ .

وأجاب الرجل :

ـ هى قصة مختلفة ، استغلوا واقعة متصلة بها ، ونسجوا هذا الخيال بهدف تشويه موقفى ، على أثر القبض على ومحاكمتى فى مارس ١٩٥٣ .. أما الحقيقة فسأرويها لك ..

كان المرحوم صلاح سالم معروفا بالاندفاع الشديد وقد علم بأمر نقلى الى العريش ، وخيل له ان المقصود من قرار النقل هو التنكيل بى فذهب الى محمد حيدر باشا وزير الدفاع ورجاه بالغاء قرار النقل قائلا ان رشاد مهنا لم يرتكب شيئا ضد السراى فى انتخابات النادى ، واننى ظلمت بهذا النقل ...

واستدعانى وزير الدفاع وسألنى :

ـ من قال لك اننى نقلتك للعريش بهدف التنكيل بك ؟

ـ وقلت لحيدر باشا : لم يقل لى أحد هذا الكلام، ولم أقله لأحد أيضا .

ـ اذن لماذا لا تريد السفر الى العريش ؟ !

وتملكنى بعض الغيظ فقلت لوزير الدفاع :

ـ اننى رجل عسكرى ، وكل نبض فى جسدى يؤمن بالعسكرية ، ولا أقبل أن أبقى فى القاهرة فى وظيفة بكباشى ورتبتى قائمقام وسافرت الى العريش فى مارس ١٩٥٢ ، وصدر بعد ذلك قرار الملك بحل مجلس نادى الضباط فى يوليو ١٩٥٢ .

وقد عرفت بعد الثورة ان صلاح سالم صارح جمال عبد الناصر بأنه يخشى على قيادته للضباط الاحرار فى العريش أو رفح ـ منى ، وكان شعوره هذا خلف تحمسه لالغاء نقلى لدى وزير الحربية ! !

فى النهاية ، أحب أن أقول لك انه لم يحدث أن طلبت نقلى الى العريش ، ولم أكتب طلبا على الاطلاق بذلك ، لقد كنت فى القاهرة بمثابة جسم يمنع التصادم بين

القياداتالعسكرية الملكية والضباط الاحرار، وابتعادى عن العاصمة سمح بوقوع هذا التصادم ، وكان التعجيل بالثورة

ومرت الايام ، وقبل نهاية الاسبوع الثالث من يوليو ١٩٥٢ ، جاء « حسن ابراهيم »-الى رفح ، ولم يمر بالعريش ، واخبر المرحوم صلاح سالم والبكباشى أنور السادات بموعد الثورة ، وكان محددا له ليلة ٢٢يوليو، ثم تأجل الموعد الى ليلة ٢٣ يوليو ، وعاد حسنابراهيم الى القاهرة ..

وفوجئت فى الساعة الثالثة من صباح ٢٣ يوليو بصلاح سالم يطلبنى من رفح ويخبرنى بقيام الثورة ، وانهسيكونمسئولا عن رفح ، أما العريش فهىمسئوليتى فقلت له :

ــ أنا عامل كل ترتيباتى هنا ... اهتم أنت بالناس فى رفح .

والمقصود « بالناس » هم الضباط الذين يخدمون فى منطقته .

كنت مالكا لزمام السيطرة على القوات الموجودة فى العريش ، ومعى عدد كبير من الضباط الاحرار هناك، أظهروا قدرا عظيما من الضبط والربط ، واذا بالمرحوم جمال سالم يأتى من التصرفات ما يمكن أن تطلقعليها تصرفات عجيبة .. وأتى من السلوك أمام بقية الضباط ما جعلنى أطلب منه السفر الى القاهرة بالأمر ، والا يبقى فى العريش دقيقة واحدة .

وانصاع للأمر وعاد فورا الى القاهرة ...

وكانت هذه هى الخطوة الاولى فى طريق الصدام مع مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ... ويعلم الله ماذا قال جمال سالم بعد وصوله القاهرة عنى ... وكيف روى قصة مغادرته العريش .. ولمـاذا أصـدرت له الأمر بالسفر فورا ؟ !

ولقد ذكرنى جمال سالم أثناء محاكمتى السرية بهذه القصة قائلا لى فى غضب وثورة : « فاكر لما طردتنى من العريش » ! !

وانقضى اليوم الاول من الثورة ، واذا بى أتلقى خلال اليوم الثانى ثلاث اشارات لاسلكية أرسلها زميلى ضابط المدفعية المضادة للطائرات « البكباشى عبد المنعم امين » عضو مجلس قيادة الثورة .. ثلاث اشارات كلها تطلب حضورى الى القاهرة .

وسافرت الى القاهرة يوم ٢٥ يوليو ، ولم أذهب الى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة الا بعد ذلك بأيام حتى لا يبدو وجودى كمن يبحث عن منصب أو غنيمة!

قلت للسيد رشاد مهنا :

ـ لقد سمعنا قصة ما حول عودتك ، سمعناها فى نهاية يوليو أو بداية اغسطس ١٩٥٢ ، وكانت القصة تقول بأن ضباط المدفعية فى القاهرة علموا بنبأ وموعد وصولك ، فذهبوا الى محطة سكك حديد القاهرة ، واستقبلوك استقبال الابطال، وحملوك الى ادارة المدفعية وانك القيت خطابا وطنيا بينهم حملت فيه على الملك حملة شديدة ، ثم قمت بزيارة بعض وحدات المدفعية فى أطراف العاصمة ، والقيت عدة خطب ، ثم تقدمت ضباط المدفعية فى شبه موكب رسمى الى مقر القيادة

العامة للقوات المسلحة ، وان الرئيس الراحل تساءل أمام هذا المشهد ، عما اذا كان هذا انقلابا جديدا ، أم زيارة للقيادة ؟ !

ــ بعض القصة صحيح ، والنصف الاخير منها غير صحيح على الاطلاق ... لقد وجدت أبنائى من ضباط المدفعية فى انتظارى بمطار الماظة ، فقد عدت الى القاهرة بالطائرة وليس بالقطار ، وتوجهت بهم الى القيادة ، ووجدت فتورا ملحوظا فانصرفت الى بيتى ثم الى سلاحى ولكنى لم أخطب فى ضباط المدفعية ولم أذهب لزيارة وحدات مدفعية فى أطراف المدينة ... ذلك كله من نسج خيال الذين أرادوا تشويه موقفى والافتراء على الحقيقة .

لقد طلب منى ضباط المدفعية أن أسافر الى الاسكندرية ونحن نستعد لعزل الملك ، وذهبت الى الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو ، يوم غادر فاروق البلاد ، وفى المساء التقيت بالرئيس أنور السادات داخل ثكنات مصطفى باشا ، وكانت مفاجأة له ، لأنه سألنى :

ــ « هل انت معنا ... هل انت واحد منا ؟ ! »

درس فى الاخلاق

وعرفت فى تلك اللحظة ان الرئيس جمال عبد الناصر أخفى عن بعض زملائه تطورات صلتى بهم حرصا منه على الانفراد بالسلطة .

وفكرت فى الأمر ، ولأننى لا أبحث عن منصب قررت العودة على الفور الى العريش ، وعدت الى القاهرة ورأيت ان اذهب لأول مرة الى مقر القيادة العامة ، لأقول لهم كلمة أخيرة ...

وفى مساء ٢٨ يوليو أو ٢٩ يوليو لا أذكر، توجهت الى كوبرى القبة ، واقتحمت حجرة اجتماعاتهم ، ووجدتهم جميعا أمامى ، واذا بجمال عبد الناصر يسألنى :

ـ لماذا جئت ... ما الذى جعلك تترك العريش ؟

وقلت له :

ـ لقد قمت بواجبى بعد أن أبلغنى صلاح سالم بموعد التحرك ، ولم أترك العريش الا بعد أن تلقيت منكم ثلاث اشارات لاسلكية بضرورة تواجدى فى القاهرة

وسأل عبد الناصر فى حيرة :

ـ من الذى أرسل هذه الاشارات ؟

وقال عبد المنعم أمين : أنا أرسلتها .. وماذا فى ذلك؟!

ونظر جمال عبد الناصر الى صلاح سالم نظرة ذات مغزى ، وسأله غاضبا :

ـ لماذا لم تخبرنى بما فعلته ، لماذا أخفيت على انك اتصلت به وأبلغته بأنك ستتولى رفح وهو يتولى العريش؟!

وقال رشاد مهنا ، وهو يستعيد أحداث الامس :

ـ لم اكن أحب أن أروى هذه التفاصيل .. لأن أكثرها مخز للأسف !

لقد روى المرحوم صلاح سالم أمامى ، مجموعة اكاذيب فى جراة لم أعرفها من قبل ليبرر موقفه أمام عبد الناصر !

وأمام هذا السلوك اضطررت لألقن صلاح سالم درسا فى الاخلاق ، وواجه الموقف بالاغماء ، ولم أتبين اذا كان

يفتعل الاغماء أم أغمى عليه حقيقة ، حتى انني قمت بتدليك وجهه ويديه ، الى أن استعاد وعيه

وساد الصمت دقيقة .. ثم قال عبد الناصر موجها حديثه لى :

ــ سأقول لك بصراحة لماذا جئت القاهرة ؟

لقد تركت العريش وجئت القاهرة لكى تنقض على الثورة ... هذا هو رأيى

واستعمل جمال عبد الناصر كلمة « تنقض » مرتين!

ورددت عليه قائلا :

ــ هذه شجاعة وصراحة طيبة، وانت تعرفني جيدا ، وتعرف أنني لست ممن ينقضون ، ولست الرجل الذى ينقض على الثورة .

وتحدثت طويلا ... وجهت حديثى اليهم جميعا ، وكنت صادقا فى كل كلمة نطقت بها ، لقد قلت لهم جميعا ، ليست الثورة وليمة ، وليست مكاسب لنا ، أو لكم ، بل الثورة مسئولية وطنية تاريخية ، ثم قلت لهم فى النهاية :

ــ غدا سأذهب الى سلاحى ، سأسافر بمشيئة الله الى وحدتى بالعريش ، وفقكم الله .

الوصاية والعرش .. !

فى الصباح التالى مباشرة ، جاءنى المرحوم جمال سالم ممثلا لمجلس قيادة الثورة ، وفاتحنى فيما انتهوا اليه بعد أن تركتهم وانصرفت ، وطلب منى رأيى فى منصب الوصاية على العرش ، واحسست وهذه حقيقة انهم

يحاولون التخلص منى ، ولكنى لم اشأ الرفض فقلت له :

ـ اننى جندى ـ اخدم فى أى مكان ، وأقوم بأى عمل ، مادام ذلك فى مصلحة مصر ..

جمال سالم بعد ذلك قال لبعض أصدقائه انه كان ينوى اطلاق الرصاص على ، لو رفضت العرض ، واننى انقذت حياتى من الموت بقبولى ! !

وبدات مرحلة جديدة من العذاب مع الايام الاولى من اغسطس ١٩٥٢

حاولت أن اقول لعدد كبير منهم .. من ضباط القيادة ، وأعوانهم من صغار الضباط .. ان الثورة اخلاق وسلوك راق ، وان الثورة سمو عن الصغائر، وتجاوز للأحقاد ، وان الثورة ليست اجازة متعة ، فنطلق العنان لغرائزنا ، وان الثورة تحتاج الى الرؤيا الناضجة ، والنظرة الواعية ، والخبرة والتجربة .

حاولت أن أقول كل هذا وفشلت ... وكان الوزراء المدنيون يشكون من سلوك ضباط القيادة معهم ، وكنت احاول التهدئة ، وخلق المناخ النقى للعمل ... ولكنى فشلت أيضا !

وبدات حملة تطهير فى ضباط الجيش ، وتدخلت واستطعت حماية عناصر كثيرة كان مصيرها الطرد من الخدمة ، وقد افلحوا فى طردهم بعد ذلك ..

ووقعت أحداث صغيرة مؤسفة ، يعرفهاكثيرون غيرى ويستطيعون الحديث فيها باستفاضة ... وأحسست بالصراع على السلطة بين الرئيس محمد نجيب والرئيس

الراحل جمال عبد الناصر ، وخشيت الفتنة فى الجيش والفتنة فى البلاد ... بل وتصورت ما يمكن أن يحدث اذا استمرت هذه الاوضاع ... وهو ما وقع فعلا عام ١٩٥٤ ، وأذكر اننى تحدثت بمخاوفى هذه الى صديقى فكرى أباظة وكنا نستقل سيارته ذات مساء قبل صدور قرار اقالتى واعتقالى ثم سجنى .

وتحدثت بعد ذلك مع جمال عبد الناصر وبعض رفاقه وشرحت لهم أخطار الديكتاتورية ومصيرها ، ومكاسب الشعب والثورة ، اذا لجأنا الى الديمقراطية واجراءاتها ، ولم يتوقف الهزل والخطأ ، وانهالت القرارات العفوية وردود الفعل ، وسمعت من يقول أمامى .. مليون ، ٢ مليون .. يموتوا مش مهم .. يموتوا من أجل الثورة .. وماله ؟!

قلت للسيد رشاد مهنا :

ــ لقد تردد أنك عارضت مشروع الاصلاح الزراعى أو تحديد الملكية الزراعية ، وانك حاولت تكوين رأى عام فى الجيش والبلاد ضد هذا القانون .. مما عجل بالصدام بينك وبين مجلس قيادة الثورة .. ماتعليقكم ؟

ــ لم أعارض المشروع ولم أرفضه ، قلت فقط نحن ضباط ومثل هذا المشروع يتعلق بمستقبل شعب ، وبثروة شعب ، لابد من أن ندع مجموعة من الخبراء فى الزراعة والارض والاقتصاد ، تجلس وتقول رأيها ، تحدد لنا الوسيلة العلمية الناجحة لكى تخرج تصوراتنا الثورية بالنسبة للفلاح المصرى ــ الى الواقع والوجود .. كل ماطالبت به اللجوء الى أهل الخبرة .. بدلا من مخاطبة عواطف الشعب بقوانين سريعة .. خاصة فى

الثروة الوحيدة التى لم تكن نملك غيرها فى بداية الثورة .. وهى الارض .

ولقد جاءوا من ألمانيا بعالم الاقتصاد الالمانى « دكتور شاخت » لنناقشه ويناقشنا وجاءوا به فعلا .. وكانت آراء الرجل مطابقة لآرائى !!

ان قانون تحديد الملكية الزراعية ليس قرارا بالقبض على باشا أو بك من أعداء الثورة ، انه قانون يتعلق بمستقبل البلاد ، بمستقبل الشعب ، بمستقبل الفلاح الذى تتحدثون عنه .. ولدينا عشرات الخبراء المصريين فلنستمع اليهم .

واعتبروا كلامى هذا معارضة للمشروع وأعلنوا الحرب السافرة ضدى ، وقالوا أننى تخيلت نفسى ملكا بدلا من فاروق !!

لقد زارنى بعض قادة الاحزاب السياسية يسألوننى المشورة فى مستقبل أحزابهم ، وأكثرهم تجمعنى بهم علاقات شخصية ، وتحدثت مع زعماء السعديين حول ما ارتكبوه من ارهاب وتنكيل بمن وقف بجانب أسر الاخوان المسلمين المقبوض عليهم ، وقلت لهم لقد قتلتم المروءة فى النفس الانسانية بذلك ، وقال جمال عبد الناصر وبعض رفاقه أننى أتدخل فى السياسة !

زارنى وفد سودانى ، وتحدثنا عن مصر والسودان ، وبينت لهم أن الانفصال ضد مصلحة شعبنا العربى ، فقالوا عنى أننى أنفرد برسم سياسة مصر العربية !!

تحدث بعضهم عن اعتقال طلبة الجامعة المشاغبين سياسيا ، فعارضت ذلك بشدة ، وقلت لهم شباب

الجـــامعة الآن هم مستقبل مصر ، فكيف تسجنون مستقبل مصر ؟!

فقالوا اننى احاول اغراء الطلبة لكى استغلهم ضـد الثورة !

زارنى الدكتور محمود فوزى ليودعنى قبل سـفره سفيرا لمصر فى لندن فســألته هل لديه خطة عمل أو سياسة مرسومة ليطبقها مع حكومة الانجليز ، فأجاب بالنفى ، وتحدثنا طويلا فى ذلك ، كما تحدثت مع جمال جمال عبد الناصر فى ذلك ، ولكن جمال قال اننى أتدخل فى سياسة مصر الخارجية .

نشر المرحوم حسنى العرابى وكان يعمـل صحفيا « بالاهرام » تصريحا لى ردا على سـؤال له ، وكان السؤال يقول :

ـ ماذا فعلت بعد نجاح الثورة ، وأين تعيش الآن ؟

وكأنه يود أن يسأل هل ستسكن بعـد ان توليت الوصاية على العرش قصر عابدين ؟

وقلت له : سأبقى كما عشت قبل الثورة ، وسيبقى بيتى كما هو ، وستبقى أسرتى اليوم وغدا كما عاشت بالأمس ، اننى رجل فلاح .

وقال جمال عبد الناصر ، اننى أنشر دعاية شخصية عن نفسى فى الصحف ؟

وزارتنى صحفية أمريكية شهيرة وسألتنى هل انت من الاخوان المسلمين ؟

قلت لها : لا اننى رجل مسلم .

قالت لى : أليست صلاة المسلمين تعطل الناس عن أعمالهم ؟

وشرحت لها خطأ تصورها حتى اقتنعت بحديثى ، فقال جمال عبد الناصر ، اننى أتصل بالصحفيين من هنا وهناك لاستغلالهم لحسابى !

زارتنى شخصية عربية متصوفة وتحدثنا عن تقسيم الدول العربية ، وضرورة يقظة الشعب العربي حول تقسيم وطنه ، وحتمية الوحدة العربية ، وضربت أمثلة على قوة المسلمين بوحدتهم مستعينا بتاريخنا الاسلامي العظيم ، فقال جمال عبد الناصر ، اننى أنادى بالخلافة واعمل لكى أصبح خليفة للمسلمين !!

تحدثنا فى مستقبل الوطن ، وكان مطروحا أمامنا للمناقشة الغاء النظام الملكى واعلان النظام الجمهورى ، وعرضت وجهة نظرى وتتلخص فى أن نشرح لجماهير الشعب عن طريق التوعية وأجهزة الاعلام ما هو النظام الملكى وما هو النظام الجمهورى ، وقد يستغرق هذا بعض الوقت ، حتى يصبح الشعب قادرا بوعى على اصدار حكمه الصحيح ، وعن طريق الاستفتاء الشعبى يتحدد مصير الملكية فى مصر ، وتكون الثورة فى وضع يسمح لها بترشيح من تراه لرئاسة الجمهورية اذا قرر الشعب اقامة الجمهورية ، ولا داع للعجلة فالمشوار طويل .

ولم يرق هذا الكلام لجمال عبد الناصر ، وقال أننى أضع العراقيل أمام الثورة ، وأننى أطمع فى منصب رئيس الجمهورية ، ويعلم الله أن ذلك لم يدر بذهنى أبدا !!

تحدثت مع عضوى مجلس الوصاية ومع المرحوم على

ماهر باشا ، ومع جمال عبد الناصر فى ضرورة وضع ميثاق للعمل الوطنى ، يحـــــدد مسئولية الحكومة ومسئولية مجلس الثورة ، ويرسم بوضوح طريق العمل التنفيذى ، واقترحت أن يصدر هذا الميثاق لكى يعرف كل من الوزراء ، وأعضـــــاء مجلس الثورة حدوده وتخصصــــاته ، ولــكيلا تعم الفوضى ، ويعمــل كل ضابط اشترك فى الثورة على أساس أنه الحاكم ولا حاكم غيره .. ولم يصدر هذا الميثاق أبدا .

وقلت للوزراء الذين كانوا يشكون لى تصرفات بعض صغار الضباط ، اننى أطالبــكم وأنا ضابط مثلهم ، أطالبكم باحترام أنفسكم ، وباحترام كرامة مناصبكم ولا تسمحوا لأى ضابط أن يتصرف معكم بما تتحدثون به ، وثورتنا اذا كانت تحرص على شىء فهى تحرص فى الدرجة الاولى على سلامة أخلاق وسلوك ضباطها .

ولقد قالوا اننى أغرى الوزراء بالتمرد على الثورة ، وأننى أثير الفتنة والشك .. واتهامات مختلفة مما جاء ذكرها فى الصحف بعد محاكمتى ! !

المحاكمة ..

فى تلك الأيام من أكتوبر ١٩٥٢ صباح يوم ١٢ أكتوبر بالتحديد أرسل جمال عبد الناصر الى رشاد مهنا يقول له أنه يريد أن يلتقى به لقاء خاصا ، يتحـــدثان فيه بصراحة ، وحدد له بيت ضابط صديق لهما ، فى منطقة كوبرى القبة ، وهو بيت الرائد محمود غراب ، وكان الموعد فى مساء اليوم نفسه وذهب رشـــاد مهنا الى الموعد ، وبقى مع غراب حتى ما بعد منتصف الليل ، ولم يأت عبد الناصر .

وفى صباح ١٣ أكتوبر كان رشاد مهنا يستمع الى راديو لندن ، واذا به يذيع قرار اقالة مجلس قيادة الثورة فى القاهرة لرشاد مهنا ممثل الثورة فى لجنة الوصاية على العرش .. ولم يصب بالدهشة ، ولم يغادر بيته .. وعرف أنه لا فائدة من الحوار .. وبعد دقائق أطل من نافذة بيته فوجد جنود الشرطة العسكرية يحوطون البيت ، وقال الرجل لأسرته أنه تصرف حسن وطيب بالنسبة لى .. لانه سرعان ما يعرف الجميع ضباطا ومدنيين أن الشرطة العسكرية حول البيت فيمتنعون عن زيارتى ، وبالتالى لا يقبض على أحد بسبب رؤيته أو زيارته لى !

وظل السيد رشاد مهنا محدد الاقامة فى منزله حتى جاءوا يوم ٧ يناير ١٩٥٣ ، وقبضوا عليه ونقلوه الى السجن الحربى ، وبقى به الى أن عقدوا مجلس قيادة الثورة على شكل محكمة خلال الايام الاولى من مارس ، وانعقدت المحكمة بمبنى قشلاقات قصر النيل بميدان التحرير .

ويروى الرجل ..

كانت المحاكمة الساعة ٣ صباحا . كل الاعمال الكبيرة ذات الاهمية بالنسبة لهم كانوا يقومون بها ليلا .. ودخلت الى قاعة الاجتماع ، وجلست الى مقعدى ، ونظرت الى ساعتى ، كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل .

وطلب جمال عبد الناصر الى زكريا محيى الدين أن يقرأ الادعاءات ، وقرأ كثيرا من الخيال .. وفهمت أنهم يحاكموننى لأننى حاولت الاستيلاء على السلطة لحساب

الاخوان المسلمين تارة .. وتارة لحسابى ؟!

وسألونى .. هل أنت مذنب ؟

وتحدثت .. قلت لهم سأعيد على مسامعكم صلتى بكم ، وما قمت به معكم ، ومن أجل الثورة ، واستمعوا لى طويلا ووجوههم سوداء من الخجل والاضطراب .

وجاءوا بشهود الاثبات ، وعرفت بعد ذلك أن هؤلاء الشهود كان مقبوضا عليهم بتهمة التآمر أيضا وقد صدرت أحكام بسجنهم مع الحكم الخاص بى ، ولكنه اى الرئيس الراحل أفرج عنهم بعد فترة قصيرة وألحقهم بأعمال مختلفة فى أنحاء الدولة.

وتكلم الشهود وهم عبد العزيز هنـــدى ضـابط مشاة ؟ ، وابراهيم عاطف مدفعية ، ومصطفى راغب مدفعية ، تكلموا كلاما ليس فيه ادانة لى على الاطلاق ، وحاول زكريا مناقشة الشهود بحدة وخشونة ، ولكنهم لم يعدلوا عن كلامهم .. قالوا فعلا أنهم قاموا بزيارتى وتحدثنا فى مصير ثورتنا ، وفى ضرورة الحفـــاظ على ديننا وضرورة التمسك بالاخلاق فى معاملاتنا وقراراتنا .. ولم نتحدث فى أمر انقلاب .

وانفضت المحكمة ..

وعلمت بعذ ذلك أنهم أصدروا الحكم بسجنى مدى الحياة ، ونشروا فى الصحف صفحات عن القضية وربطوا بينى وبين الشهود المقبوض عليهم ، وجعلوا منها قضية واحدة ، قضية تآمر !!

وسمعت ان عبد الناصر قال لزواره ورفاق السلاح ، ان أعضاء المجلس اجمعوا على ضرورة اعدام رشاد مهنا

وأنه عارض هذا الاتجاه وبذل مجهوداً كبيراً حتى وافقوا على المؤبد بدلا من الموت .

يقول رشاد مهنا :

وبعد محاكمتي وسجني ، رددوا تلك القصة التي نسجوها من خيالهم ؛ قصة الطلب الذي تقدمت به الى وزير الدفاع في بداية يناير ١٩٥٢ لنقلي الى العريش حتى لا أتورط معهم في الاعداد للثورة !!

والسبب طبعا واضح ، ولست في حاجة للشرح ابعد من ذلك ، غير أنني اقول في النهاية لم أكن مستعدا للعمل « بصمجيا » على الاطلاق .

عدت أقول :

ـ سمعنا ان عبد الناصر زارك في السجن الحربي قبل اجراء المحاكمة .. هل حدث هذا فعلا ؟

ـ نعم .. وعرض على أن أقبل الخروج من مصر ، وان أعمل سفيرا لمصر في الهند ، وقد رفضت العرض لعدم ثقتي فيهم .. ولم يكن هذا العرض في السجن وانما أثناء تحديد اقامتي في بيتي ، وكان قد قرر سجني ثم محاكمتي .

كم بقيت في السجن ؟

بقيت في السجن الى ما قبل حـــرب ١٩٥٦ بفترة بسيطة ، وعدت الى بيتي وأسرتي ، واعتكفت تماما ، وفي ٢٤ يوليو ١٩٦٥ فوجئت بالقبض على مرة أخرى ، وكانت حملة الاخوان المسلمين الجديدة ، ويبدو أنهم خشوا قيامي بنشاط معـــاد لهم .. فآثروا سجني ، وظللت بالسجن الحربي حتى يناير ١٩٦٧ .

وتوقفت قصة رشاد مهنا عند هذا الحد وبين قرار تحديد اقامته بعد اقالته ، وقرار القبض عليه فى ٧ يناير ١٩٥٣ وقع صراع مثير بين عدد ليس بقليل من الضباط الاحرار أبناء المدفعية الذين يمثلون القـــاعدة العريضة للتنظيم السرى وبين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

المدنيون الثلاثة ..

قبل أن أستطرد فى الحديث عن قضية رشاد مهنا والمدفعية نقف قليلا هنا لالقاء نظرة على المدنيين الثلاثة الذين حوكموا فى هذه القضية وصدرت أحكام بسجنهم وذلك لصلاتهم بأحداث أول صراع على السلطة مع بداية الثورة ، وهم :

ـ طبيب عبد العزيز الشال « ١٠ سنوات سجن » .
ـ المحامى صبرى الحكيم « سنتان سجن » .
ـ المحامى محمود رشيد « سنتان سجن » .

ولقد بحثت عنهم وذهبت اليهم لأقف على صلاتهم بهؤلاء الضباط ، واستمع الى القصة من أفواههم .

واكتشفت ان المحامى صبرى الحكيم انتقل الى رحمة الله منذ عامين

التقيت فى البداية بالمرحوم محمود رشيد المحامى .

من مواليد ١٩٠٤ تخرج فى كلية الحقوق عام ١٩٣٠ ، وكان من زعماء طلبة الجامعة الذين يشتغلون بالعمل السياسي وقد التحق بوظيفة حكومية بوزارة الداخلية فى نهاية عام ١٩٣٠ ، وعمل ســـكرتيرا لوزير الداخلية اسماعيل صدقى باشا ، وفصل من الخدمة عام ١٩٣٣ لأسباب سياسية وعاد الى المحاماة ، وقام بنشاط بارز

أيام الائتلاف الحزبى عام ١٩٣٦ تمهيداً لتوقيع اتفاقية ٣٦ مع بريطانيا .

بعد ذلك وحتى قيام الثورة عام ١٩٥٢ كان قد شغل وظيفة مدير مكتب لثلاثة من رؤساء الحكومات وهم بالترتيب التاريخى ، أحمد ماهر باشا وحسين سرى باشا أثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم اسماعيل باشا صدقى ، وكان صديقا لعلى ماهر باشا .

روى لى الرجل :

ـ فوجئت فى اليوم الاول للثورة بالمرحوم على ماهر باشا يخاطبنى تليفونيا ويطلب منى أن ألحق به فوراً ، وذهبت اليه فقال لى :

ـ لا تتركنى هذه الأيام ، أريدك بجانبى ، فقد طلب منى ضباط الانقلاب ان أقوم بتأليف الوزارة ، وأن أتعاون معهم من أجل تحقيق مطالبهم .

وبقيت معه ، وقلت له فى اليوم الثانى رأيى :

ـ هذه ثورة يا رفعة الباشا وليست مطالب للجيش وأعتقد أن حكاية المطالب التى قدمها اللواء محمد نجيب وزملاؤه ليست كل شىء ، المسألة أكبر من ذلك وأخطر .

ورفض على ماهر أن يؤيد رأيى ، وبات مقتنعا بأن المسألة لا تعدو مجموعة مطالب عسكرية ، وأنه سيعمل على تحقيقها لدى الملك حرصا على انهاء الزوبعة ، وحين طالب الثوار باقالة الملك ، قال على ماهر للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، لقد صدق محمود رشيد ، فسأل عبد الناصر من هو محمود رشيد ،وكانت البداية .

وفى يوم ٢٨ يوليو عام ١٩٥٢ جاءنى المرحوم الصاغ

سعد توفيق فى مكتبى بشـــارع شريف ، وقال لى ان البكباشى جمال عبد الناصر يريدك غدا بمقر القيادة فى كوبرى القبة .

وذهبت فى صباح اليوم التالى اليه ، أدخلنى سعد توفيق الى حجرة وجدت بها المرحومين جمال سالم ، ويوسف صديق ، ثم جاء جمال عبد الناصر واستأذن يوسف صديق فى الانصراف .

وأخذ جمال عبد الناصر يتحدث .. قال لى :

ـ نحن عسكريين ليس لنا صلات قوية بالحياة المدنية ، وبالتالى بالحياة السياسية ، ولقد سمعت عنك وعرفت ماضيك السياسى وخبرتك ، أريدك أن تعمل معنا كمستشار ، وسيكون عملك معى ، اننى فى حاجة اليك .. ما رايك ؟

ـ اننى على تمام الاستعداد للعمل معكم من أجل الثورة التى أؤيدها بكل مشاعرى ، فأنا ثائر منذ صباى .

زكريا محيى الدين

ولقد ظللت حتى منتصف يناير ١٩٥٣ ، أعمل مستشارا له ، وشهدت عن قرب أحداث تلك الفترة الحساسة الخطيرة فى بداية الثورة ، وقدمت له رأيى وخبرتى فى كل الموضوعات السياسية والحزبية التى أهتم بها ، غير أننى لاحظت شيئا له دلالته ، بين علاقة عبد الناصر ببقية أعضاء مجلس قيادة الثورة .

لاحظت أنه لم يكن له ذلك النفوذ بين زملائه ، بل كان يخشاهم ويتوجس منهم شرا ، وكانوا هم يعاملونه بكل احترام صحيح ، ولكن كواحد منهم ، وأكثرهم

يحاول فرض سيطرته وايجاد مكان قوى يقف فوقه ، وبدا أبرزهم فى هذا الصراع الصـــامت المقنع زكريا محيى الدين وقد تولى منذ البداية مهمة أمن الثورة وحمايتها .

ولاحظت أيضـا ان عبد النـــاصر كان يلجأ الى أنور السادات فى كل خطوة يخطوها فى عالم السياسة ، والى عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين فيما يتصل بالجيش وضباطه .

وذات يوم سألنى جمال عبد الناصر :

ــ هل صحيح ان على ماهر سألك .. من ياترى قائد هؤلاء الضباط فى اليوم الاول للثورة ؟

قلت له : نعم .

عاد يسألنى :

ــ بماذا أجبته ؟

ــ صراحة توقعت أن يكون البكباشى أنور السادات هو قائدكم ، وايدنى على ماهر فى البداية .

ــ وماذا جعلك تختار أنور السادات بالذات ؟

ــ لأنه هو الذى أذاع البيان الاول فى الراديو ، وهذا عمل جرىء جدا ، وأى انسان يعرف ان مثل هــذه الخطوة قد تطيح به ، فضلا عن ماضى السادات ونضاله الوطنى ، ومن هنا قلت ان هذه الحركة لها أبعادا أخطر من تحقيق عدة مطالب ، وانها قد تطيح بالملك ، والا لما أقدم ضابط مثل السادات وبرتبته العسكرية على اذاعة مثل هذا البيان .. لان وجود الملك بعد تحقيق مطالبهم ، سيقذف به حتما الى السجن مرة أخرى .

وتدعمت علاقتى بعبد الناصر بعد ذلك ، وكان معجبا بصراحتى ووضوحى معه حتى طلب منى فى أحد الايام تكليفى بعمل خطير وهام وسرى قائلا لى :

ـ هذه المهمة التى أكلفك بها تحتاج الى سرية تامة ان زملائى لا يعرفون عنها شيئا ، ولا أريد أن تتحدث عنها حتى مع زوجتك أو اقاربك .

ـ ما هى ؟

ـ أريد منك بحثا قانونيا تضع فيه كل أمكانياتك القانونية وثقافتك السياسية حول شرعية اسقاط النظام الملكى واقامة الجمهورية .

قال لى الأستاذ محمود رشيد :

ـ قد يبدو مثل هذا الطلب الان شيئا عاديا ، لكنه فى تلك الايام خلال الاشهر الاولى من ثورة يوليو يمثل تطورا خطيرا وهاما على طريق الثورة ، وقد فرحت بهذا التكليف ، وبدأت أعمل سرا ، وكل ورقة أنتهى منها أعرضها عليه ، ليناقشنى فيها خلال لقاءات لا تجمع غيرنا ، وكان اذا قدم أحد زملائه علينا توقف عن الحديث ، وغطى الاوراق الموجودة أمامه ، وشعرت بأن السيد زكريا محيى الدين يتابعنا باهتمام ، ويتواجد كلما جئت للقاء عبد الناصر ، وسأل أكثر من مرة .. ماذا تفعلان ؟

وكان عبد الناصر يجيبه بقوله :

ـ أننى أستمع الى ذكريات الاستاذ محمود عن الأحزاب والحكومات السابقة ، انها ذكريات مثيرة ومعلومات أسمعها لأول مرة .

وبالطبع لم يكن ذلك صحيحا !

وقد سألت جمال عبد الناصر بعد أن انتهيت من بحثى ، وبعد أن قرأه وهنأنى عليه :

ــ هل ستعلن الجمهورية ؟

فأجاب رحمه الله :

ــ انها مسألة خطيرة جداً ، وأريد تأمين ثورتنا حتى نقوم بهذه الخطوة ، تأمين الثورة ليس داخليا فقط بل خارجيا ودوليا أيضا .

فعدت أسأله :

ــ من فى ذهنك يصلح ليكون أول رئيس للجمهورية ؟

فقال :

ــ على ماهر باشا ، انه أصلح الموجودين .

ولم أتبين اذا كان صادقا أم أراد أن يخدعنى ويضللنى عما فى رأسه ، وفى النهاية طلب منى ألا أتحدث مع على ماهر فى هذا الموضوع ويبقى سرا بيننا نحن الاثنين ، ووعدته بذلك ونفذت وعدى ، ثم وقعت مفاجأة .

مطلوب فى المخابرات !

ــ فوجئت بأحد رجال المخــــابرات وهو الصــاغ عبد المنعم النجار الذى عمل بعد ذلك سفيرا لمصر فى اوربا يزورنى ويطلب منى أن أكون صباح اليوم التالى مبكرا فى مكتب السيد زكريا محيى الدين مدير المخابرات

وذهبت فى الموعد تماما ، وقابلنى زكريا ليطلب منى معلومات عما كان يدور بينى وبين جمال عبد الناصر ،

وعما قدمته له من أوراق ، وعقدت الدهشة لسانى ، ثم قلت له :

ـ لماذا لا تسأل جمال عبد الناصر بدلا منى ؟
قال :

ـ لا . أريد أن تخبرنى أنت ، ولست فى حاجة لكى توجهنى وتحدد لى من أسأل .

عدت اقول :

ـ فى هذه الحالة لن أخبرك بشىء ، لانه لم يحدث شىء بينى وبين عبد الناصر يمكننى أن أحيطك علما به .. لقد كانت اللقاءات كلها دردشات حول الماضى وهو يحب سماع رأيى فى عهود ما قبل الثورة .

وفى اصرار عاد يقول :

ـ لا .. لا تكذب وتحاول تضليلى ، ولا تحاول أن تتحول الى عدو للثورة ، حاول أن تكسبنى فى البداية .. اننى أسألك من أجل حمـــاية الثورة ، هذه هى مهمتى .

وأحسست بأنه يهددنى بأسلوب غير مباشر ، فصممت على موقفى ، واضطر هو لاخلاء سبيلى ، فذهبت على الفور الى مكتب جمال عبد الناصر ، وكان يشغل منصب مدير مكتب القائد العام ، وهى وظيفة شكلية لكى تبقى له السيطرة التى اخذ يحاول الحصول عليها والاحتفاظ بها منذ اليوم الاول للثورة .. وقابلنى الرجل ورويت له ما حدث فقال لى فى هدوء :

ـ اطمئن ، واستمر على موقفك ، ولن يستطيع أحد أن يوقع بيننا أو يلحق بك أى أذى .

علمت بعد ذلك ، ان زكريا محيى الدين قال فى تقاريره لجمال عبد النـــاصر اننى أطلق التشنيعات عليهم فى مجالسى الخاصة واننى أنشر الفتنة بين الضباط وأدعو ضد الثورة وأننى أعمل لحساب محمد نجيب ورشاد مهنا ولم أكن أعرف الرجلين .

وفى الأيام الاولى من يناير ١٩٥٣ ، دعوت جمـــال عبد الناصر ويوسف صديق وعبد الحكيم عامر ، وعددا من الضباط لتناول العشاء فى بيتى، ولبوا الدعوة وكان عددهم ٣٢ ضابطا من بينهم السيد حسن كامل رئيس الديوان الجمهورى الآن ، وكنت صـــديقا للمرحـوم والده .

وكان جمال عبد الناصر حريصا على مجاملتى تلك الليلة وتحدثنا فى أشياء كثيرة ، ثم فوجئت بالقبض على وايداعى السجن الحربى يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ .

ولقد حوكمت بعد منتصف ليلة ١١ مارس ١٩٥٣ ـ أمام مجلس قيادة الثورة ، وسألت جمال عبد الناصر لـماذا تفعلون ذلك بى ، ولم يجب ، كان يغطى وجهـه بيديه ناظرا طوال الوقت الى ورق أمامه !!

وأخذ ضابط برتبة نقيب اسمه حلمى عبد المعطى ويقوم بوظيفة نائب احكام يقرأ الاتهامات الموجهة لى ، وكلها اتهامات لفقها زكريا محيى الدين ضدى ، ثم صدر الحكم بسجنى عامين ، وفى سجن الاستئناف بعد ذلك التقيت بصبرى الحكيم المحامى وعرفت أنه حوكم مثلى لأنه صديق الضابط عبد العزيز هندى ، وكان الاخير يطلق العنان لرأيه فى مجلس قيادة الثورة خلال سهراته الخاصة التى يشـاركه فيها صبرى وآخرون ، كما

التقيت لاول مرة بالسيد رشـــاد مهنا ، وبالدكتــور عبد العزيز الشال .

وقــد أفرج عنى وعن المرحوم صبرى الحكيم عام ١٩٥٤ ، ثم أعتقلت مرة أخرى فى ١٧ أكتوبر ١٩٦١ ، حتى نهاية ديسمبر من نفس العـــام وفى ١٤ فبراير ١٩٦٢ ، حددوا اقامتى ببيتى ، وظللت سجين البيت الى ٢٠ مايو ١٩٦٢ .

وسألته :

ــ لماذا أعادوا اعتقالك عامى ٦١ و ٦٢ مرة أخرى ؟

ــ شىء محير وغريب ، لقد استدعانى محمد أحمد مدير مكتب الرئيس الراحـــل ، وطلب منى أن أكتب دراسة عن الاوضاع الحالية للرئيس بناء على رغبته ، فكتبتها بالفعل ، وقال لى محمـــد أحمد بعـــد ذلك أن الرئيس سيصدر قرارا بتعيينك مستشارا له ، ثم قال لى أن محمد حسنين هيكل اعترض على هذا الاختيار ، وأقنع جمال عبد الناصر بالعدول عنه .. ثم صدر قرار اعتقالى !!

الدكتور الشال ..

وذهبت الى الرجل الذى اقترب من عامه السابع والسبعين الدكتور عبد العزيز الشـــال ، المدنى الثانى فى هـــذه القضية ، والذى صـــدر الحكم بسجنه عشر سنوات ، واستمعت الى قصته .

ــ ولدت عام ١٩٠٠ بقرية ميت الخولى مؤمن ــ مركز دكرنس دقهلية ، ثم اشتركت فى ثورة ١٩ ، وعرفت أن السلطة تبحث عنى لسجنى ، فهربت الى الخارج ، الى

المانيا وبقيت بهـــــا حتى عام ١٩٢٨ ، ادرس الطب وأتخصص فى مرض السل .

وعدت من ألمانيا مشحونا بشعار طرحه فردريك الاكبر الذى قال « من يستنبت اثنين من أعـــواد السنابل فى أرض ثم ينبت فيها غير عود واحد ، يكسب بهذا لشعبه أكثر مما يكسبه له قائدا فى المعركة » .

وفكرت مع بعض الاصدقاء فى أنشاء جيش العمل من شباب مصر وبدأنا التجربة فى أرض فضاء بالعجوزة مكان مستشفى الشرطة حاليا ، استأجرت الارض عن طريق صديقى المهندس كمال يعقوب ، من الجمعية الخيرية الاسلامية بايجار قدره أربعة جنيهات شهريا ، وبدأنا نزرعها ونقيم فوقها يوميا مباريات رياضية ، كان معى الى جانب كمال يعقوب ، دكتور الاقتصاد المرحوم كمال فايد والمرحوم الدكتـــور الحفنى والصحفى عبد العزيز خميس والمرحوم حسنى العرابى والممثلة نعيمة وصفى ، وزوجها الصحفى عبد الحميد سرايا ، وبالطبع كان لنا اهتمامات سياسية ، وزرعنا الارض ، زرعنـــا كرنب وأرنبيط وفجل ، وأحضرت طامبـــة ماء للحصول على الماء ارتوازيا ، وشادوف ، وبلغ عددنا أكثر من ٥٠ فتى وفتاة وكان ذلك عام ١٩٤٢ .

وماذا كنت تعمل أيامها ؟

ــ كنت أعمل فى مصحة للأمراض الصدرية بحلوان .

ــ كيف كانت اهتماماتكم السياسية ، لقـــد ذكرت « حسنى العـــرابى » ومعروف أنه مؤسس أول حزب شيوعى فى مصر ؟

ـ كانت اهتماماتنا تنحصر فى ضرورة تعديل الملكيات الزراعية لأنها الوسيلة الاولى للقضاء على الفقر والمرض والجهل ، وكنت أكتب مقـــالات أسبوعية فى الاهرام ، أربط فيها بين مرض السل والملكيات الزراعية الكبيرة ، كما كنا ننادي بعدالة اجتماعية لجمـــــاهير الشعب ، وباستقلال البلاد .

ولقد طبعنـــا بعض المنشورات الثورية بعـــد حادث ٤ فبراير، وفوجئت بزيارة الرئيس السادات والطيار حسن عزت لنـــــا ، جاء بهما كمال يعقوب وعبـــد العزيز خميس ، وعرفت انه أحد الضباط الثوار الذين أبعدهم الملك عن الجيش لعدائهم للانجليز ، وارتبطنـــا به عن طريق الفكر المتقارب .

أما عن حسنى العرابى ، فقد عاش فى ألمانيا فترة ليست بقصيرة، وكفر بالشيوعية تماما بعد زيارته الثانية لروسيا ثم عاد لنعمل معا .

ولقد زارنا عثمان نورى ، أحد الضباط الاحرار بعد الملك ، ثم أخبرتنى احـــدى الفتيــــــات ممن يعملن معنا وهى قريبة لصديقي المرحوم الدكتور كمال فايد بأنها تعرف بعض ضـــباط الطــــــيران من أصحاب الافكار الوطنية ، وانها حدثتهم عنا وعن نشــــــاطنا وأفكارنا الوطنية ، ويريدون زيارتنا ، وجاءوا بالفعل ، وكانوا ثلاثة طيـــارين ، عبد اللطيف البغـــدادى ، ووجيه أباظة والمرحوم شريح طلعت وكان والده من كبار رجال السرأى الملكيـة ، ولقــــد استمرت صلتى بالبغدادى متصلة الى ما قبل قيام الثورة بعدة أشهر .

عدت أسأل الدكتور الشال :

ولكنك لم تقل لى كيف جاء اليكم الضابط عثمان نورى ؟

ـ تصادقت مع الضابط الثائر أبو المكارم عبد الحى منذ بداية الاربعينات وكان برتبة ملازم أول ، وهو بلدياتى من أبناء قرية ميت سلسيل القريبة لقريتنا ، وأتى بعثمان نورى ذات يوم وتعارفنا ، وخلال الحرب العالمية الثانية تعرفت بالسيد رشاد مهنا عن طريق أبو المكارم أيضا كما عرفنى صديقى محمد التابعى الذى أصبح سفيرا بعد الثورة بالضابط مصطفى راغب أحد الذين حوكموا مع رشاد مهنا .

كان هؤلاء الضباط يزوروننى فى بيتى حيث عيادة صغيرة أسستها داخل المسكن ، وكنت أقيدهم كمرضى لأحميهم من نشاط البوليس السياسى ، ومن خلالهم عرفت أن ثمة تنظيما ثوريا سريا داخل الجيش يعمل من أجل الثورة كما عرفت أن ثمة تنظيمات ثورية أخرى داخل الجيش من أحاديث الضباط الآخرين الذين يترددون على عيادتى .

وبعد قيام الثورة ، وقعت عدة أعمال منافية للأخلاق والسلوك الثورى ، وقد حدثت صديقى رشاد مهنا عنها ، ثم أرسلت قيادة الثورة عن طريق السيد محمد محمود جلال وكان رئيس شركة مصر للطيران الى عالم الاقتصاد الألمانى دكتور شاخت ليزور القاهرة ، وجاء الرجل ، وسعيت الى لقائه وتحدثنا فى تحديد الملكيات الزراعية وفى مشروعى الخاص بجيش العمل الوطنى ، وأذكر أن شاخت قال لى ، كما قال لضباط القيادة :

ـ لا أستطيع أن أتحدث باستفاضة عن تحديد الملكية

الزراعية فى مصر لأننى لا أعرف شيئا عنكم ولكنى أتحدث عنه كمبدأ ، انه مبدأ سليم ، غير أنه يجب ان تضعوا فى حساباتكم ان الملكيات الصغيرة لا تشيد اقتصادا زراعيا قويا .. وعليكم بانشاء تعاونيات زراعية تضم ملكيات صغيرة .

وناقشنا كلام شاخت فى مجالسنا ، وعلمت الثورة بهذه الأحاديث فاعتبرتنا أعداء لها ، وأعداء للاصلاح الزراعى ، أنا الذى كتبت فى الاهرام وأخبار اليوم منذ الاربعينات أنادى بتحديد الملكية الزراعية !!

ثم ظهر قطاع بين ضباط الجيش يردد ضرورة عودة الجيش الى ثكناته ، وأحدهم قال فى لحظة انفعال ان من يرفض العودة الى الثكنات سنلقى به الى البحر ، فاعتبروا هذا الكلام مؤامرة واعدادا لها ، وفى بداية يناير ١٩٥٣ ، قبضوا على ، وكانوا قد قبضوا على رشاد مهنا وعدد ليس بكبير من ضباط الجيش ، وقدمنا للمحاكمة ولما سألت عن امكانية الاستعانة بمحام ، قالوا لى انها ستكون محاكمة عائلية ، غير أنها انتهت بعشر سنوات سجن قضيت منها عامين ونصف عام حتى أفرجوا عنى .

أحرار المشاة والإشارة

وسط مناخ مشبع بالتمرد ضد القيادة العسكرية الانجليزية التى كانت تشرف على تقاليد الامور فى الجيش المصرى نشط الملازم أول جمال عبد الناصر بين زملائه رفاق السلاح الذى يخدم به « سلاح المشاة » وضباط الاسلحة الاخرى ممن يلتقى بهم عن طريق العمل العسكرى اليومى المشترك أو عن طريق أصدقائه الضباط خارج المعسكرات والوحدات .

كان ذلك فى بداية الاربعينات ، حيث بدأت تظهر اولى ملامح هذا التمرد الوطنى على البعثة الانجليزية وضباطها فى شكل تجمعات من شباب الضباط المصريين ممن تخرجوا فى نهاية الثلاثينات ومن بينهم دفعة الرئيس السادات ثم لحقتها دفعة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، والدفعات التى تخرجت بعد ذلك كانت تضم المرحوم عبد الحكيم عامر ، والمرحوم صلاح سالم وكمال الدين حسين وغيرهم من أبرز الضباط الاحرار وثوار يوليو ١٩٥٢ ، ظهرت ملامح هذا التمرد الوطنى على شكل تجمعات بين هؤلاء الضباط الذين يجمعهم سن وفكر متقارب وفى شكل منشورات سرية غير منتظمة أخذت تصدر بين حين وآخر ثم تختفى ، وكلها تدعو لضرورة ايقاف السيطرة الانجليزية ورفض أسلوب الضباط

الكبار وأكثرهم أخذ يتعاون مع القـــادة الانجليز خوفا وانتهازية ، وهذه الفترة شرحهـــا الرئيس السادات باستفاضة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ و ٢٥ ديسمبر ١٩٧٦ ونشرت الصحف اليـــومية المصرية أحاديثه التى شرح فيها دوره مع أحرار الطيران حتى اعتقلته السلطات فى نهاية عام ١٩٤٢ ، وقيـام الرئيس الراحل عبد الناصر بقيادة هذا النشاط سرا ، وهى « قيادة » لم تكن بالمعنى المعروف «للقيادة» كما ذكرت فى الفصول السابقة .

لقد سمعت خلال جولتي المكثفة بحثا عن ثوار يوليو كما جاء في الفصول السابقة ، ان عبد المنعم أمين ضابط المدفعية المضادة للطائرات وعضو مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٢ ، قام مع زميله ابراهيم عاطف ومعهما ضابط المشاة عبد الحليم الدغيدى ، وهو غير الدغيدى الطيار الذى حوكم بعد هزيمة ٦٧ ، وحصل على البراءة ، قام الثلاثة بطبع منشورين عام ١٩٥٠ ثم توقفا لعدم اقتناعهم بجدوى هذا العمل ، كما قال لى الفريق محمد أحمد صادق وزير الحربية السابق حتى عام ١٩٧٢ ، انه عمل مع بعض زملائه على تكوين خلية مستقلة عام ١٩٤٠ ، ضمت المرحومين هلال المنجورى ومحمد وجيه خليل ، وأمين الخشاب ، وكان ثلاثتهم يلتقون كثـــيرا بثروت عكاشة ووجيـــه أباظة ، ثم يتوجهون الى بيت « المغرب العربى » بشارع عبد الخالق ثروت فى القاهرة ـ حيث يجتمعون بالاستاذ عبد العزيز على وزير البلديات فى أول وزارة بعد الثورة ، وهو واحد من زعماء ثورة ١٩ واليد السوداء ، ويعتبر أبا روحيا لثوار يوليو وفى مقـدمتهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والرئيس السادات ،

وكان « عبد العزيز على » على صلة صداقة بثوار المغرب العربي فى القاهرة ، وهناك التقوا بالرئيس بومدين الذى كان يعمل موظفا بالمكتب ويدرس بالازهر فى نفس الوقت.

وقال الفريق أول متقاعد محمد أحمد صادق :

ــ اشتركنا مع ثوار تونس والجزائر والمغرب ممن يعيشون فى القاهرة وتحت اشراف « السيد عبد العزيز على » فى اصـــدار منشورات وطنية ضد الاستعمارين الفرنسى فى شمال أفريقيا ، والانجليزى فى بلادنا وفى السودان ، وكنا نوزعها على جميع الضباط المصريين وعلى الهيئات السياسية والسفارات الاجنبية ، بل وعملت على توزيعها سرا داخل القصر الملكى !!

لقد كان أبى قائدا للحرس الملكى، ولكن ذلك لم يمنعنى من ممارسة نشاطى الوطنى ، ومسايرة الفكر الثورى الذى انتشر بين ضـــباط الجيش من الشباب وخاصة دفعات ما بين ١٩٣٥ حتى ١٩٥٢ ، وحلقاتهم الجماعية ، ومحاولاتهم فى سبيل ايجاد طريق لخـــلاص مصر من الاحتلال البريطانى .. وعن طريق أبى كنت أدخل القصر الملكى !

سمعت أيضـــا عن ضباط الفرســان فى منتصف الاربعينات يتقدمهم سعد عبد الحفيظ وعبد الحميــد كفافى ومصطفى نصير وكثير من أعوانهم وقيامهم بطبع أول منشور ثورى ، يحمل توقيع الضباط الاحرار .

وقال لى مصطفى الوكيل ضابط الاشــارة ، ومدير الحرب الالــكترونية حتى منتصف عام ١٩٧٠ وخريج الكلية الحربية عام ١٩٤٢ ، انه أصدر مع زميله طاعت خيرى وزير الشباب بعد ذلك ، وحامد مهابة أكثر من

منشور فى منتصف الاربعينات باسم ضباط الجيش ، بل انه حاول عام ١٩٥١ ، ضم الرئيس الراحل جمـــال عبد الناصر الى خلايا التشكيل السرى دون أن يعرف أن البكباشى جمال هو القائد السرى لهذا التشكيل ، ثم سافر مصطفى الوكيل الى رفح وشارك زملائه ضباط الاشارة هناك نشاطهم الثورى ، عمل مع فتحى حمدى وأمين شاكر وحسن نايل ومحمد شوكت وجمال السيد وفاروق يس وأحمد صادق ، وبعضهم أسهم فى النشاط الفدائى لقيادة وتدريب الفـدائيين ضد قوات الاحتلال البريطانى بالقناة بعد الغاء معاهدة عام ١٩٣٦ ، فى أكتوبر ١٩٥١ ، أثنـــاء حكم الوفد ، وكان معهم بعض ضباط المدفعية ميدان ، أذكر منهم الفريق محمد سعيد الماحى قائد قوات المدفعية المصرية فىحرب أكتوبر الماجدة وكبير الياوران عام ١٩٧٤ ، والعميد متقاعد محمد أحمد حسن أحد الذين قبض عليهم فى بداية ١٩٤٧ ، وكان صديقاه عبد الفتاح عنايت والطيار متقاعد حسن عزت قد قدماه الى الرئيس السادات عام ١٩٤٥ ، وفى هذه الفترة عمل الثلاثة « عنايت والسادات الذى حمل اسما آخر للتمويه على بوليس الســـلطة وحسن عزت » على تكوين شركة للنقل بالسيارات أطلقوا عليها « السهم الفضى » وكان لهم نشاطهم الوطنى ضد قوات الاحتلال البريطانى فى الوقت نفسه .. اننا على حد تعبير محمد أحمد حسن الثائر القديم « لم ننسى مصر أبدا » .

لقد توقف نشاط الثـوار مع بداية ١٩٤٧ ، نتيجة القبض على ما يقرب من ٤٠ ضابطا على رأسهم رشاد مهنا ، وهى القضية التى عرفت بالمؤامرة الكبرى واكتفى الملك فى نهايتها بعد أن صيغت الاتهامات قانونيا بنقلهم

الى مناطق نائية حتى جاء الصاغ جمال عبد الناصر بعد عودته من فلسطين عام ١٩٤٨ ، وأخذ يعمل فى اعادة دمج هذه النشاطات القصيرة الصغيرة ، واستطاع بقدرته الفائقة على ادارة النشاط التنظيمى السرى ، والجهود المتناثرة بين مختلف الاسلحة أن يطبق أسلوبا فريدا متألقا فى تكوين خلايا الضباط الاحرار ، مستغلا امكانياته الشخصية والعسكرية ، معتمدا على أكبر قدر من الكتمان والسرية فى تجنيد وضم الضباط الوطنيين المتحمسين لاحداث هزة عنيفة فى البلاد ، يعاونه فى ذلك مجموعة ليست بقليلة من الضباط الذين يجيدون الحديث فى السياسة وأمور البلاد ، ثم الكتمان المطلق لما يحصلونه من نتائج خلال اختباراتهم للمرشحين من زملائهم قبل ضمهم الى خلايا التشكيل السرى ، وهى اختبارات كانت تستغرق وقتا طويلا ، وأكثر من أسلوب ضمانا للسرية ، وليس فى حوزتهم سلاح آخر يحميهم من بطش الملك غيرها .

***

قال لى « الثائر القديم وحيد جودة رمضان » الذى كان مسئولا عن منظمات الشباب والحرس الوطنى فى بداية الثورة ، ثم نكل به طويلا ، وهو فى الوقت نفسه أحد أبطال الجولة الاولى فى فلسطين عام ١٩٤٨ :

ـ للحقيقة والتاريخ سمعت أول حديث جدى عن ضرورة القيام بعمل عسكرى عنيف يقوم به ضباط الجيش المصرى عام ١٩٤٦ ، من جمال عبد الناصر وكنا نلتقى بقهوة السمر فى نهاية شارع الخليج المصرى بالسيدة زينب ، ثم سمعت الحديث نفسه من الثائر أنور السادات قبل القبض عليه وكنا نلتقى معا فى سكنى أحد البنسيونات الصغيرة بشارع قصر النيل

حيث يسكن بالقرب من جامع الكخيا ، وعرفت انه على صلة بعبد الناصر، وان هناك شبه تنظيم سرى لم بنضج بعد ، وفى بداية عام ١٩٥١ استطعت أن أقدم صديقى المرحوم يوسف صديق الى الرئيس الراحل والى أن قام بدوره البارز ليلة الثورة .

***

وقال لى الصاغ متقاعد محمد عبد العزيز هندى أحد كبار موظفى وزارة الثقافة حاليا ،وقد تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٩ ، وكان من بين أول دفعة تحاكم عسكريا فى يناير ١٩٥٣ ، وقصته تكشف عن جوانب لم تنشر من قبل حول التاريخ السرى لحركة الضباط الاحرار .

قال لى الرجل :

ـ فى نهاية عام ١٩٤٩ ، كانت الاغلبية من ضباط الجيش المصرى مشحونة بضرورة التغيير ، وقد استغل الرئيس الراحل هذه المشاعر وهذا المناخ جيدا ، وبحسابات ناجحة ذكية سيطر عليهم جميعا .

لقد استطعت أنا « والمرحومين عادل لطفى ومحمود الاتربى » من زملائى الضباط أن نعد عريضة سياسية وطنية يرفعها الضباط الى الملك تطالب بانقاذ البلاد ..

هكذا هدانا تفكيرنا ، وبالفعل وقع العريضة ٤٨ ضابطا يمثلون مختلف الاسلحة ، وأكثرهم من الكتيبة الثالثة

مدافع ماكينة وكان مقرها بمنشية البكرى ، وقد حلت هذه الكتيبة قبل الثورة ، وأضافت القيادة الى ضباطها عددا كبيرا ، وكونت منهم اللواء السادس مشاة ، وهو اللواء الذى اشترك فى ثورة يوليو بكتائبه الثلاث « ١٦

و ١٧ و ١٩ » مشاة ، الى جانب ثوار الكتيبة ١٣ مشاة بقيادة العقيد أحمد شوقي وصلاح نصر، والكتيبة ٢٠ مشاة بقيادة حمدىعبيد الذى تولى وزارة الحكم المحلى ذات يوم قبل أن يتقاعد تماما .

كانت العريضة التى عملنا فى اعدادها فكرة رومانسية ولكنها تعبر عن فورة الحماس فى صدورنا ، صدور مجاميع من الشباب أرادوا تحذير المفاسد والاخطاء التى تعيشها القيادات السياسية والعسكرية ، وقرروا مواجهة الملك فاروق بها ، رغم علمهم بأن مثل هذا الاجراء قد يعرضهم للفصل والتشريد والسجن ، ولكنه كما قلت كان تعبيرا عن مشاعر تؤرقهم نتيجة مايرونه ويعيشونه من مجتمع مرفوض داخل الجيش وخارجه

وبين الضباط الأحياء الذين اشتركوا فى توقيع هذه العريضة « عبد الفتاح على أحمد نائب وزير الحكم المحلى حاليا ، وشوقى سليمان سكرتير عام محافظة الاسماعيلية ، ومحمود المصرى سكرتير نادى ضباط القوات المسلحة بالزمالك ، وزغلول عبد الرحمن نزيل السجن الحربى حتى عام ١٩٧٤ » .

سألت السيد محمد عبد العزيز هندى :

ـ هل قدمتم العريضة .. ؟

ـ لا .. جاء الينا الضابط اسماعيل فريد ، وطلبها منا لكى يجمع عليها توقيعات مجموعة أخرى من الضباط، بعد أن شرح لنا أن عددا من زملائه يتفقون معنا فى نشاطنا ويريدون أن ينضموا الينا تحت خط استكمال رسالة البطل الفدائى المرحوم أحمد عبد العزيز ، الذى استشهد فى فلسطين وكان يستقل سيارته بجانب صلاح

سالم ــ وأحمد عبد العزيز عاش واستشهد وهو يمثل فى أذهاننا وقلوبنا ريادة كل الضباط الوطنيين الاحرار فى الجيش المصرى الى جانب الزميل العقيد رشاد مهنا وهو بمرتبة الاخ الاكبر والاستاذ فى العسكرية المصرية ، ثم رجل الدين الجليل المرحوم الشيخ محمد الأودن ، المعلم الروحى لنا .

وأعطينا اسماعيل فريد العريضة ، ثقة وتعاونا ، ولم نكن قد انضممنا لتنظيم الضباط الاحرار بالمعنى الذى تبلور فى النهاية .. عام ١٩٥٢ ، ولكنه لم يعد ، ثم عرفنا أن جمال عبد الناصر أحتفظ بها !

كيف حدث ذلك ؟

ــ توقيت العريضة كان فى نهاية ١٩٤٩ ، وفى بداية ١٩٥٠ ذهبت وبرفقتى الضابط أحمـــد أنور ــ قائد البوليس الحربى بعد الثورة ــ الى بيت الصديق الكبير رشاد مهنا ، وهناك رأيت جمال عبد الناصر لاول مرة ، قدمنا رشاد مهنا ، وفوجئت به يقول لى :

ــ اننى أعرفك من قبل ..منذ مشروع العريضة .

وشرح جمال عبد الناصر موقفه ، وتبريره لاخفاء العريضة بدعوى حماية وتأمين أصحاب التوقيعات عليها ، وخوفا من تشريدهم ، وامكانية استغلالهم بعد ذلك فى عمل مفيد من أجل مصر .

ودخلنا فى مناقشة ، وقلت رأيى منذ البداية ..

تحدثت عن نهضة مصر ، وأمل الشعب فى مستقبل مشرق وبينت أن مثل هذا المجتمع لن يتحقق الا بالايمان والشريعة الاسلامية ، وضربت مثلا بأسلوب القائد صلاح

الدين الايوبى ورؤيته الاسلامية التى ترفض التعصب وقد صنعت من السلطة أسلوبا فريدا راقيا فى خدمة الشعب العربى .

وفى نهاية اللقـــاء أعرب عن رغبته فى لقاءات أخرى تجمعنا ، ورحبت به فى بيتى، وتكررت اللقاءات ، ورأيت عددا كبيرا من زملائه ، واستمعت اليهم جيدا ، كمـــا استمعت الى عبد الناصر طويلا ، وفى كل مرة كنت أشرح له رؤيتى وفهمى ، وقد أخذته أكثر من مرة لزيارة « فضيلة الشيخ محمد الأودن » ليجلس الى الرجل ويتفهم تعاليمه وأحاديثه .

ورغم ما أبداه عبد الناصر أيامها من رغبة فى توثيق صلاته بى وبأصدقائى ايمانا بخطى واسلوبى الا اننى كنت أشعر كثـــيرا بسلوكه المختلف فى علاقاته بزملائه وبى فصارحته قائلا :

ــ اننا نهدف بتكتلنا ونشاطنا الى تغيير مجتمعنا الى مجتمع نقى مشرق .. فكيف ننجح فى ذلك ونحن نمضى فى طريق له أكثر من وجه وعدة ملامح مختلفة ؟!

لقد بدا لى وكأنه يلعب على عدة حبال وليس حبلين فقط !

وجاء عام ١٩٥١ ، وتوليت أركان حرب كتيبة مشاة احتياطى بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، بهدف تأمين القناة ، وفى الأشهر الأولى من ١٩٥٢ ، وكان عبد الناصر قد نجح فى تجنيد أكثر الاسماء التى وقعت على عريضة عام ١٩٤٩ وظلت مناقشاتى معه تدور حول الآتى :

ــ ما هو الهدف من انقلابنا أو ثورتنا ؟

ـ هل الهدف هو الانتقـــام من الملك والباشوات أصحاب الاقطاعيات الزراعية ؟

ـ أم الهدف من ثورتنا هو بناء المجتمع الذي نحلم به ، مجتمع يقوم على دستور يستمد مواده من الشريعة الاسلامية ؟

ولقد شرحت كثيرا رؤيتى للثورة قبل يوليو ١٩٥٢ ، وقلت اننا لا نثور من أجل حقد فى صدورنا على الملك أو الباشوات أو الانجليز ، بل نثور لتخليص بلادنا أولا من هؤلاء ، وفق مبادىء هى أسس ثورتنا ، مبادىء تحدد لنا تخطيطا واسعا لبناء بلادنا من جديد ، وهذا التخطيط يقوم على قواعد تستمد شريعتها فى النهـــاية من الشريعة الاسلامية ..

ـ باختصار كنت أقول .. ماذا بعد الثورة اذا شاء الله أن ننجح فى القيام بها ؟

قلت للسيد عبد العزيز هندى :

ـ كيف كان يرد على تســـاؤلك وآرائك .. كيف أستقبلها ؟

ـ فى البداية أعلن تأييده التام لسياستى ورأيى ، ورأيته حريصا على التمسك بى وبزملائى واخوانى من صغار الرتب الوطنيين الاحرار ، ولكنى فى الوقت نفسه كنت أشعر بأنه يريد فرض أسلوب السيطرة غير المرئية على الجميع ، السيطرة غير الملموسة ماديا وغير المباشرة ، ولكنه يطبقها فى دهاء وطول بال بهدف ترويض الضباط الاحرار فى النهاية تحت قيادته ، وهى عملية تستطيع ان تقول عنها عملية اخضاع من خلال الاحتواء النفسى ..

انها أقرب الى عمليات غسيل المخ منها الى الايمان بمبدأ وعقيدة والخروج للثورة من أجلها ، وكلامى هذا ليس تعميما بالنسبة للجميع ، ذلك لأنه اصطدم بعددكبير من الضباط الاحرار قبل وبعد قيام الثورة ، رفضوا الخضوع وترديد كلمة آمين ، وقد فهموا متأخرا ما فى رأس القائد ، ومن هنا طبق شعاره أهل الثقة قبل أهل الخبرة ، وهو شعار بدأ تطبيقه فى الحقيقة قبل أيام من قيام الثورة !!

ـ وهل صارحته بذلك ؟

ـ نعم وقلت له عدة مرات لا تتخيل أننى أخضع لاحد، اننى أخضع لخالقى فقط سبحانه وتعالى ، ومصارحتى هذه هى أحدى عوامل القبض على تخلصا منى ثم محاكمتى الهزلية ، وسجنى بعد ذلك فى يناير ١٩٥٣ .

واستطرد السيد محمدعبد العزيزهندى فىحديثه :

ـ نعود الى يوليو ١٩٥٢ ، فى بيتى هذا ، وفى نفس الحجرة التى تجمعنا الآن التقينا مساء ١٦ يوليو ١٩٥٢ ، جاء عدد كبير من الضباط الاحرار على رأسهم جمال عبد الناصر وأذكر منهم شمس بدران والمرحوم عبد القادر مهنا ، وأحمد عبد الرحمن نصير ، وجمال القاضى ، وزغلول عبد الرحمن .

وأقسمنا على المصحف الشريف على الاخلاص والقيام بالثورة ، ثم عدت وطلبت منهم أن نقسم مرة ثانية على القيام بالثورة لنمضى بها من خلال الشريعة الاسلامية ، وتردد عبد الناصر لحظة ، ولكنه وافق وأقسم فى النهاية .

وانتهينا فى هذا اللقاء الى القيام بالثورة خلال اسابيع قليلة جدا وأن يتحدد الموعد أو ساعة الصفر قبل نهاية يوليو ..

كنت قد نقلت الى رئاسة هيئة المشاة ، وسافرت الى الاسكندرية لاقضى يومين مع أسرتى وأعود بها الى القاهرة استعدادا للموقف والمهمة التاريخية الكبرى ، وقبل فجر ٢٣ يوليو صحوت من نومى على حركة غير عادية يقوم بها شقيق زوجتى عميد مهندس محمد حسن عامر وكان كبيرا لمهندسى القوات البحرية ، واخبرنى ان السراى طلبته بشكل عاجل ، وعلق بقوله « يبدو أن زملائى فى القاهرة تحركوا » فمنعت شقيق زوجتى من الذهاب الى السراى ، وفى دقائق توجهت الى ثكنات مصطفى باشا ، وقمت مع المقدم أحمد فهمى طويلة فى احكام سيطرتنا على قوات الثكنات ، بالتعاون مع الاحرار من الضباط زملائى فى المدينة حتى لا تستطيع السراى أو حيدر باشا وكان وقتها بالاسكندرية القيام بحركة مضادة للثورة ثم عدت فورا الى القاهرة ، ذهبت مبكرا والتقيت فى مقر القيادة العامة بجمال عبد الناصر، وأبلغته بما قمت به وكيف علمت بنبأ التحرك ، وعاتبته على عدم ابلاغى فأظهر دهشته ، ثم طلب منى بعد مضى نصف ساعة على اذاعة البيان الاول بصوت الرئيس السادات .. طلب منى أن أتوجه الى الاذاعة وأتولى الاشراف على كل المواد التى تعد لبثها اذاعيا ، وفى مقر الاذاعة وجدت الضباط الذين قاموا باحتلال المبنى من مجموعتى وزملائى ، ومضت الايام بعد ذلك ونشاطنا يتصاعد بالثورة ايقاعا وتطورا .

سألت ■

ــ هل تبينت أسباب دهشة جمال عبد الناصر ، عندما عاتبته على عدم ابلاغك بموعد التحرك أو ساعة الصفر ؟

ــ نعم ، علمت أنه أخبر زميلى المرحوم محمود الاتربى بابلاغى تليفونيا ، ولكن الاتربى نسى فى غمرة التحرك ، وقد أعتذر لى « محمود » باللحظات العصيبة التى كانوا يتجمعون فيها استعدادا لساعة الصفر ، واقتنعت بالسبب والاعتذار .

وماذا بعد ذلك ؟

ــ طالبته بتنفيذ ما أقسمنا عليه ، ولكنى لم أر غير سعى دائب للسيطرة ومحاولة تركيز السلطة فى يده ؛ وابعاد بعض العناصر الجيدة من الضباط عن مواقعهم بحجة تأمين الثورة ، وبدأت مرحلة من الاكاذيب والخداع والتضليل ، وتقريب المنافقين والمصفقين ، وتدريجيا عاد الضباط الشرفاء الى مواقعهم ، ولكن لصوص الثورة الذين حرصوا على ركوب الموجة بعد طرد فاروق لم يسمحوا لهم بهذا ، وفاتحنى عبد الناصر فى تعيينى بمنصب دبلوماسى لى بعيداً عنالقاهرة وقد تفتق ذهنه خلال الاشهر الاولى للثورة عن هذا الاسلوب ، وحدد لى السعودية لأعمل بها سفيرا لمصر.. حدث ذلك فى نهاية سبتمبر ١٩٥٢ ، ورفضت هذا الابعاد .

قلت له : اذا كان هذا أجرا لى فأنا لا أنتظر الأجر منك أو من أحد آخر ، واذا كان ابعادا لى عن القاهرة والجيش فأنا كرجل ثورى مثلك أرفضه ايمانا وثقة بنفسى ، ولكنى أطالبك فى الوقت نفسه بتنفيذ اتفاقنا والقسم الذى أديناه .

وذات صباح قرأت فى « روز اليوسف » تصريحا لأحد المسئولين دون ذكر اسمه يقول فيه « أن النية تتجه الى اصدار دستور ثورى لا يحدد دين الدولة » فذهبت الى جمال عبد الناصر ثائرا ، وطالبته باصدار تكذيب لهذا الخبر ، ولكنه اعتذر وقال هذا كلام جرايد، ولم أتمالك نفسى ، أخرجت مسدسى ولوحت به فى وجهه قائلا :

ـ « انني أرميك بالرصاص لو فعلت بثورتنا ما يدور فى رأسك » .

وانصرفت غاضبا ، وبعد أيام قليلة قبضوا علىّ فى طريق عودتى الى بيتى ذات مساء ، وحوكمت أمام مجلس قيادة الثورة بين من حوكموا فى يناير ١٩٥٣ ، ولم يفعل أكثرهم شيئا غير طلب المشاركة فى توجيه مسار ثورتهم ، وصدر الحكم بسجنى عاما واحدا وقال لى الرئيس الراحل .. انه حكم خفيف لسلوكك الضار بالضبط والربط !

لقد حوكمت بلا حصانة قانونية وقلت لهم :

ـ انتم الخصم ، وانتم الحكم فى الوقت نفسه ..

***

وفى لقاء آخر مع السيد عباس رضوان أحد أحرار المشاة والذى تولى وزارة الداخلية فى الستينات وحوكم عام ١٩٦٨ بتهمة الاشتراك فى انقلاب عسكرى لحساب المشير عبد الحكيم عامر ، وغادر السجن عام ١٩٧٤ ، أكد لى وجود هذه الحلقات من صغار الضباط فى منتصف الاربعينات وفكر واحد يجمع بينهم .. « كنا نبحث عن طريق للخلاص ! » .

قال لى الرجل :

ـ كنت التقى كثيرا بحسن التهامى وكمال رفعت وبالمرحوم الوسيمى الطيـــار ، وبمحسن عبد الخالق ومصطفى نصير وبعبد الحميـــد كفافى وبعبد الرحمن مخيون وبمحمد البلتاجى واسماعيل فريد ، وكنا نمثل المشاة والفرسان والمدفعية والطيران ، ثم توقفت لقاءاتنا بعد حركة التشريد التى أصابت عددا ليس بقليل من أبرز الضبـاط عام ١٩٤٧ ـ تلك التى عرفت بقضية المؤامرة الكبرى ، ونقلت الى منقباد .

وفى عام ١٩٤٩ عدت أخدم كمدرس بمدرسة المشاة ، ثم ذهبت الى رئاسة المشاة لأطلب نقلى الى وحدتى الاصلية فى رفح ، وهناك تعرفت بالصاغ عبد الحكيم عامر ، وتصادقنا وطلب منى أن أنسى حكاية نقلى الى سيناء وأن أبقى بالقاهرة ، وعرفت منه اننى مرشح لعضوية تشـــكيل سرى للضباط ، وقدمنى للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وتكونت خليتنا من التهامى وكمال رفعت والبلتاجى واسماعيل فريد وعبد المحسن أبو النور ومحمد عبد المحسن الذى تخلف عنا بناء على رغبته حين رفض أن يقدم لنا سيارته لنستخدمها فى توزيع المنشورات السرية وكنت مكلفا مع اسماعيل فريد بهذه المهمة ـ كذلك عبد المحسن أبو النور لم يعد يلتقى بنا ، وأعتقد أنه كلف بالعمل مع خلية أخرى ، أو توقف نشاطه عبر التنظيم .

واستمر عملنا فى سرية تامة ، وكنت أعرف ان الرئيس الراحل والمرحوم عبد الحـــكيم عامر يقومان بتجنيد الضباط سرا ، وكل منا لا مانع عليه من القيام بهـــذا الواجب بشرط تطبيق التعليمات حرفيا ، وأولها الكتمان

المطلق ، ولذلك حرص الرئيس الراحل على عدم ابلاغ عدد ليس بقليل من أعضاء الخلايا بساعة التحرك لعدم قدرتهم على اخفاء هذا السر بالرغم منهم ، وقد جاءوا جميعا بعد نجاح الثورة الى مبنى القيادة العامة خلال الساعات الاولى من صباح ٢٣ يوليو ، وبعضهم فضل الانتظار يوما أو اتنين حتى تنجلى الامور تماما !

ـ وماذا كان دورك ليلة الثورة ؟

ـ كنت طالبا بكلية الاركان ومعى اسماعيل فريد ، وقد كلفنا ومعنا البلتاجى وحمدى عاشور وعبد الحليم عبد العال وكمال رفعت بالقبض على قاده الملك فى بيوتهم وكانت كلها محصورة بين العباسية ومصر الجديده وكوبرى القبة .

قلت له : سمعنا قصصا مختلفة عن دور شمس بدران ، بعضها يقول انه تلقى تهنئة خاصة من عبدالناصر صباح ٢٣ يوليو ، وبعضها قال انه تلقى عتابا ولوما على تأخيره فى التحرك مع زملائه الضباط فى كتيبة المشاة « ١٧ » .. فما هى الحقيقة ؟

ـ الحقيقة أن شمس بدران كان محل اعجاب الرئيس الراحل للقيام بدوره خير قيام ، كان برتبة ملازم أول وقد استطاع قيادة كتيبة مشاة ، وهى احدى كتائب اللواء السادس ، وتحرك فى الموعد تماما .. ربما وقعت بعض الاخطاء فى كتيبة أو أخرى وهى أخطاء بالضرورة ستقع خلال هذا التحرك السرى المدعم بالذخيرة والمعدات من مدفعيات وعربات مدرعة ودبابات ومدافع ماكينة ، وربما عطلت هذه الاخطاء تحرك بعض الوحدات ووصولها فى الموعد المحدد لها فوق الخطة التى ساهم زكريا محيى

الذين فيها بجهد كبير ولكنهم جميعا كانوا فى مواقعهم وقد أحكموا سيطرتهم على الموقف ، بنجـــاح لم يكن متوقعا حدوثه بهذا الحجم .

بهذه المناسبة ، تردد أيضا أن زكريا محيى الدين لم ينضم الى الضباط الاحرار الا خلال الاشهر الاولى من عام ١٩٥٢ .. هل هذا حقيقة ؟

ـ لا .. لقد رأيت زكريا محيى الدين فى حوار مع الرئيس الراحل عام ١٩٥٠ ، وكان حديثهما يدور حول بعض مهامنا السرية ، كخـــلايا للتنظيم ، لقد توثقت علاقتهما جيدا فى جولة ٤٨ بفلسطين .

***

وكما كان للضباط الاحرار قاعدتهم فى القــاهرة والاسكندرية كان لهم أيضـــا قاعدة بشرية قوية بين وحدات سيناء فى العريش والقنطرة ورفح .

ولقد كان للرئيس أنور السادات منذ عودته للجيش فى بداية ١٩٥٠ ليخدم فى الفرقة الاولى مشاة كضابط اشارة بالقنطرة ثم العـريش ورفح حتى يغادرها فجر ٢٢ يوليو١٩٥٢ مستقلا قطار غزة فىطريقه الى القاهرة ، كان له نشاطه ودوره المكثف فى تجنيد عدد كبير من أحرار الاشارة وأحرار المشاة والمدفعيـــــة .. فوق مسرح سيناء .

وروى لى الثائرالقديم محمود حسنىعبد القادر وكان من رجال المخابرات العامة حتى يوليو ١٩٦٧ ، وقد تخرج من الكلية الحربية ١٩٤٨، وخدمكضابط بالكتيبة الاولى مدافع ماكينة التى تحركت مقدمتها من العريش الى القـــاهرة فى ١٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة المرحوم مقدم

يوسف صديق وقامت بدورها ليلة الثورة .. كما جاء بالجزء الخاص عن البطل الثائر الشهيد يوسف صديق .
قال لى محمود حسنى :

ـ «عام ١٩٥١ كنا نلتقى كثيرا بالرئيس أنور السادات أكثرنا سمع بقصته ودوره فى بدايه الاربعينات ووجدته حريصا على لقائه بصغار الرتب . يتناول معنا طعامنا ثم يحدثنا عن الوطنية المصريه ورجال مصر وحوار متصل ذكى يديره باستاذية وخبرة ووعى ، وفى هذه اللقاءات كان يجند بعضنا أو يرشحه للاختبارات اللازمة لكى يضمه لخلايا التنظيم » .

« كان السادات كثير التنقل نشط الحركة بين الضباط والجنود فى العريش ورفح والقنطرة ، كما كانت المنشورات السرية تصل الينا بانتظام وحتى ما قبل قيام الثورة بفترة بسيطة جدا ، وعرفنا أن البكباشى السادات خلف هذه العملية يعاونه عدد من ضباط الاشارة والاسلحة الاخرى المتمركزة فى سيناء » .

***

وقال لى مقاتل الاشارة لواء فاروق خفاجى ، وأحد قادة حرب أكتوبر الرمضانية الماجدة ، وكان برتبة ملازم أول حين التقى بالرئيس السادات فى سيناء عام ١٩٥٠ :

ـ « من المثير أن تعلم أن أكثر قادة حرب أكتوبر من تلاميذ السادات ، عرفهم فى بداية الخمسينات ، وكتب عنهم فى أجندته الصغيرة الخاصة التى يحتفظ بها فى جيبه ، ثم بحث عنهم عام ١٩٧٢ ، وأسند اليهم أدوارهم القيادية .. ان الفريق حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية وقائد قواتنا الجوية فى حرب رمضان عرفه

الرئيس السادات لاول مرة عام ١٩٥٠ فى مطار العريش ، وكان الطيار حسنى برتبة ملازم ثان ، وقد كتب عنه بضعة أسطر فى أجندته » .

« كان يحرص على معرفة كل منا معرفة جيدة ، كما اختار عدداً قليلا من بيننا لمعاونته فى طبع المنشورات السرية .. ولم يكن يصلنا من القاهرة غير نسخة واحدة نقوم بطباعة كمية منها بعد منتصف الليل ؛ ثم بتوزيعها تحت الابواب المغلقة داخل ميسات الوحدات ، وعليه بعد ذلك دراسة رد الفعل عند جميع الضباط الذين يتحدثون بالضرورة عن المنشورات التى فوجئوا بوجودها تحت أبوابهم صباحا وبعد أن تتكرر هذه العملية عدة مرات يرشح من يختاره لخلايا التنظيم » .

***

كانت مهمة الضباط الاحرار فى سيناء أو منطقة القناة شرق وغرب ليلة الثورة بعد أن أبلغ المرحوم صلاح سالم وقائد الاسراب حسن ابراهيم قادة هذه الخلايا بساعة الصفر ، كانت مهمتهم هى العمل على ابقاء كل القوات فى حالة تأييد للثورة بعد اذاعة البيان رقم واحد ، والحيلولة دون تحرك أى قوات يفكر الملك فى نقلها من سيناء أو القناة لمواجهة قوات الثورة ، وثبت أن جميع القوات ظلت على مستوى الثورة سياسيا ووطنيا ، وبدأ التأييد منذ السابعة صباح ٢٣ يوليو جارفا ، واشترك الجميع فى وضع الاستعداد لمواجهة أى قوات اسرائيلية قد تستغل الفرصة وتحاول القيام بهجوم عدوانى على الارض المصرية .

ومن بين ضباط أو أحرار سيناء الذين برزوا على المسرح السياسى ، أحمد طعيمة وتوفيق عبد الفتاح

وزير الشئون الاجتماعية سابقا ، وحسن صبرى الخولى والمرحوم قائد جناح جمال سالم ، الى جانب السيد رشاد مهنا الوصى السابق على العرش ، وقد عاد الى القاهرة صباح ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ، لتبدأ أولى حلقــات صراع الســلطة وتنتهى بالقضية الشهيرة التى أذيعت فجأة على الرأى العام فى مارس ١٩٥٣ ، كما جاء بمقدمة الجزء الخاص برشاد مهنا فى صفحات هذا الكتاب .

ولقد أحدثت هذه القضية تصدعا فى ترابط ضباط الجيش من أحرار وغير أحرار ، وأعضاء مجلس قيــادة الثورة ورأى البعض فيها تهديدا للجميع .. كما أحدثت هزة عنيفة لدى جماهير الشعب المصرى التى لم تـكن تتصور مثل هذا التصدع ولم تمض ستة أشهر من عام الثورة الاول ، واهتم المعلقون السياسيون فى الصحف العالمية ممن ظلوا بالقاهرة يتابعون تطور الاحداث بعد يوليو ١٩٥٢ بتصاعد أنباء هذه المحاكمة .

غير أن ثمة قصة ترددت فى بداية أغسطس ١٩٥٢ ، وقبل أن يعلن رسميا عن تكوين مجلس قيادة الثورة فى منتصف الشهر نفسه ، فعنــدما أذيع قرار مجلس الوزراء باسناد عضوية مجلس الوصاية على العرش الى العقيد رشاد مهنا فى ٣٠ يوليو ١٩٥٢ ، عارض بعض ضباط المدفعية هذا القرار علانية ، وقالوا انه ليس الا محاولة للخلاص منه ، وظهر رأى عام مضاد لمجلس الثورة ينتشر وينمو بين ســــــلاح المدفعية ، مما أزعج الرئيس الراحل ، فعاد يحسب حساباته من جديد !

كان جمـــــال عبد الناصر قد خصص يوما من أيام الاسبوع يلتقى فيه بأحرار كل سلاح من أسلحة الجيش ، وأخذ يطبق هذا القرار ابتداء من سبتمبر ١٩٥٢ ، وفى

هذه اللقاءات يجيب على كل تساؤلات ثوار يوليو ، ثم ما لبث أن شـــعر بالضغط عليه وبالقيود تلتف حوله وتمنعه من الحركة ، قيود الضـــــباط الاحرار ، وقد طرحوا عشرات القضايا والاراء والاقتراحات المتناقضة، وأدرك الرئيس الراحل ان كل ضابط يريد أن يحـكم ، فأخذ يجتمع بهم فى حلقات صغيرة ، ليســـأل كل منهم سؤالا محددا :

ـ هل لك أن تختار موقعا بعيدا عن الجيش تخـدم فيه ؟

واعلنت الاغلبية دهشتها وتساءلوا :

ـ لماذا نترك الجيش ؟

وأجابهم بقوله : هذا شيء طبيعى ، ان الثوار اذا قاموا بثورة عليهم أن يتركوا مواقعهم الى مواقع أخرى ، للخدمة العامة ، لكى يحققوا أهداف ثورتهم التى قاموا بهـا .

ولقد قال لى كمال الدين حسين عام ١٩٧٥ ان مجلس قيادة الثورة كان يؤيد هذا الاتجاه ، حتى اننا اتفقنا على قطع اتصالاتنا بأســـلحتنا ، وفى أذهاننا سلسلة الانقلابات التى وقعت فى سوريا ، وكلنا حريص على عدم تكرار التجربة السورية فى ثورتنا . ولكن عددا ليس بقليل من ضباط المدفعية ، وضباط المشاة ، وضباط الفرسان ، كانوا يعارضون هذا الاتجاه علانية ، أكثرهم صوتا وتجمعا .. ضـــباط المدفعية فقد كانوا يمثلون اغلبية بين الضباط الاحرار وقاموا بواجبات عديدة ليلة الثورة جعلتهم يشعرون بأنهم أصـحاب الاولوية فى كل شيء ..

وأظهر الصف الثانى من ضباط المدفعية نشاطا بارزا فى الاجتماعات واللقاءات مع الصف الثانى من الفرسان والمشاة ، وأخذوا يتحدثون عن جمعية عمومية للضباط الاحرار تعرض عليها القرارات الكبيرة التى تتعلق بالبلاد حتى لا ينفرد عشرة أو أكثر من الصف الاول باصدار هذه القرارات التى ثاروا من أجلها .

وظهر تيار بين هؤلاء الضباط ينادون بضرورة اجراء انتخابات لمجلس قيادة الثورة وقال البعض انهم لايعرفون أكثر هؤلاء الضباط البكباشية الذين يمثلونهم فى مجلس القيادة أو لجنة القيادة كما كان يطلق عليها وطرح آخرون حلا مختلفا ، فقالوا ان خمسة ضباط من لجنة القيادة لهم أن يبقوا بشكل دائم ، أما بقية أعضاء اللجنة فيجب انتخابهم عن طريق جمعية عمومية للضباط الاحرار .

وهؤلاء الخمسة هم :

ـ « لواء محمد نجيب ـ بكباشي يوسف صديق ـ صاغ كمال الدين حسين ـ صاغ عبد الحكيم عامر ـ قائد جناح طيار عبد اللطيف البغدادى » .

ولم يكن أكثر الضباط الاحرار يعرفون جمال عبد الناصر ودوره القيادى .. لاعتماده فى بناء التنظيم السرى على نظام الخلايا ، حتى ان عددا من رؤساء هذه الخلايا لم يكن يعرف عبد الناصر قبل الثورة .

ولقد روى لى بعض الضباط الاحرار وقد التقيت بأكثر من سبعين منهم ، وأنا أبحث عنهم فى نهاية عام ١٩٧٢ ، رووا لى أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر خيل له أن السيد رشاد مهنا خلف هذه

التيارات يحركها ويشجعها ، فدعا عددا كبيرا من احرار الصف الثانى للاجتماع به بمقر القيادة وكان اجتماعا صاخبا ،فقد نادى البعض بعودة الحكم الديمقراطى خلال فترة زمنية قصيرة تعود بعدها الجيش الى ثكناته ، ونادت مجموعة أخرى بشجب هذا الرأى واعتبرته تخريبا للثورة ، وطالبت باستمرارها وأن يكن لها الحق فى فترة استثنائية طويلة ، تستعد خلالها لتطهير الوطن من الاحتلال البريطانى ، وخلال هذه الفترة تكون جماهير الشعب قد نضجت وعيا ، وتصبح قادرة على اختيار شكل الحكم الذى تريده .

واحتدم النقاش طويلا ، حتى أن أحدهم أخرج مسدسه وحاول التهديد به .. وقال بعض ضباط المدفعية ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بكى تلك الليلة آسفا وحزنا على هذا التمزق ، واستطاع بذلك المشهد تأجيل الحوار والاجتماع بشكل مؤقت .

وفى « ميس المدفعية » تجمع الفريقان الفريق الذى يطالب بفترة استثنائية قصيرة ، والفريق الآخر المضاد ، ودار نقاش حاد ، وهدد البعض بقتل زملائهم أن لم يتوقفوا عن هذا المطلب ، وفى الوقت نفسه كان عبد الناصر مع أعضاء مجلس الثورة يناقشون هذه التطورات وما تطرحه من احتمالات وانقلابات مضادة ، وفى الذهن الانقلابات العسكرية السورية ، وفشلها وتمزقها .

وذهب كمال الدين حسين بصفته قائد خلايا الضباط الاحرار فى سلاح المدفعية ، ذهب الى ضباطه الثائرين وناقشهم وناقشوه ، ثم تركهم عائدا الى الرئيس الراحل ، ووعدهم بالعودة ولكنه لم يعد !

وكانت الأعصاب مشـــدودة متوترة ، والآراء كثيرة متضاربة ، وكل فريق يدافع عن وجهة نظره بحماس شديد ، وظهرت تيارات الاخوان المسلمين ، وتيارات اليسار بين الضـــباط الاحرار ، والجميع يقولون ان أفكارهم هي السبيل الوحيد لحماية الثورة التى قاموا بهـا .

قال لى بعض الضباط الاحرار :

ــ لقد استطاع عبد الناصر أن يجمع حوله عددا من أحرار المدفعية ــ جعلهم يواجهون زملاءهم ممن يطالبون بانتخابات لمجلس القيـــادة ، وبفترة استثنائية قصيرة تحدد وتعلن للشعب ، وقال عبد الناصر لهؤلاء : « انى لن أتكلم معكم ، سأدع زملاءكم يستمعون الى طلباتـكم وسأقوم مع زملائى بتنفيذ هذه المطالب على الفور » .

واستمرت اللقاءات والمناقشات حتى سبتمبر ١٩٥٢، والتفت الاحرار فجأة الى ناديهم الذى تعرض مجلس ادارته للحل والتشريد بواسطة الملك فاروق قبل القيام بالثـــورة ، وهو المجلس الذى جاء به تنظيم الضباط الاحرار وقيادته ــ على رأسه اللواء محمد نجيب رئيسا لمجلس ادارة نادى ضباط القوات المسلحة ، ورشاد مهنا وكيلا له ، وبين أعضـــائه زكريا محيى الدين وحسن ابراهيم وآخرين من أعضاء الخلايا السرية .. فى سبتمبر ١٩٥٢ ، التفت الضـــباط الاحرار الى ناديهم وكأنهم تذكروه ، وطالبوا بانتخابات جديدة لمجلس ادارة النادى تتفق ومناخ مابعد نجاح الثورة .. لكن بعض أصوات مجلس القيـــادة وبعض الضباط الاحرار الموالين لهم عرضوا تعيين أعضاء المجلس بدلا من انتخابهم بحجة ان الجيش لم يستكمل تطهير صفوفه بعد .. فثار القطاع

المطالب بالانتخابات وقالوا كيف نقبل اليوم بعض ماثرنا من أجله بالأمس !

وتأزم الموقف .. وقال بعض الضباط الاحرار ان زملاءهم من الاخوان المسلمين يحاولون السيطرة على النادى ، وتردد أن السيد رشاد مهنا والبكباشى مصطفى راغب « والاثنان مدفعية » يتزعمان هذا الاتجاه ، فتقرر اجراء الانتخابات ، واعتمدت القيادة على بعض ركائزها من الضباط للعمل من أجل اسقاط مرشحى الاخوان أو اليسار أو كل من يعمل سرا لهيئة أو حزب ، غير أن النتيجة جاءت يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٢ بمفاجأة ، قيل أن الرئيس الراحل ثار من أجلها وقال ان ضباط رشاد مهنا وكمال حسين عملوها ، وقيل أيضا أن كمال حسين ثار هو الآخر على رفاق السلاح من ضباط المدفعية !

ومرت ساعات وقبل أن تنتصف الليلة التالية قام البوليس الحربى بالقبض على رشاد مهنا ومصطفى راغب ومحمود غراب وعاطف ابراهيم ، وعدد آخر من الضباط بلغ عددهم ٤٦ ضابطا من بينهم ٤١ مدفعية والباقى مشاة .

وانتشر الخبر بين أسلحة الجيش وكان مفاجأة وصدمة للأغلبية ، وأخذ الحماس ببعضهم فرفع بكباشى المشاة حسنى الدمنهورى صوته بالاعتراض والرفض لأسلوب القيادة ولما وقع عليه شخصيا من غبن ، وقام بالمرور على ضباط مختلف أسلحة الجيش محرضا ضد البكباشى جمال عبد الناصر وبعض رفاقه ، والبكباشى الدمنهورى هو أول من حوكم سرا ، مع شقيقه الاصفر يوزباشى المدرعات حسن ، وفى ساعات اشتعل الموقف داخل ثكنات الجيش ومقر القيادة ، وتزعم اليوزباشى مدرعات

سعد عبد الحفيظ ومجموعة قليلة اخرى من الضباط ، ومعهم ثلاثة من المدنيين محامين وطبيب « الحكيم ومحمود رشيد والدكتور الشال » الدفاع عن الضباط الاحرار وما يقع ضدهم من سجن واعتقال حتى أن بعض الضباط ناقشوا خطة للهجوم على السجن الحربى ، والافراج عن زملائهم من الضباط المعتقلين هناك.. وقبل التنفيذ انكشفت خطتهم ، وانضموا الى المجموعة السابقة نزلاء بالسجن الحربى !!

وبدأت مرحلة التحقيق ، تردد أيامها داخل الجيش ان أحد المتهمين وهو اليوزباشى أحمد وصفى من المشاه مات متأثرا بارتجاج فى المخ بعد ضربة على رأسه. وربما كان هذا الضابط هو أول شهداء التعذيب ، وقد مات قبل أن تصدر الاحكام ، وجاء أسمه بين قائمة المحكوم عليهم بالسجن والطرد من الخدمة العسكرية ، ولم يكن بين القائمة اسم البكباشى حسنى الدمنهورى أوشقيقه اليوزباشى حسن ، اللذين صدرت من أجلهما أحكام اخرى سابقة لم تعلن فى حينها ، وكان أول حكم يصدر بالاعدام على ضابط — لم يكن بالفعل من الضباط الاحرار ، ولكنه عمل منذ اليوم للثورة متعاونا معها ، حريصا فى الوقت نفسه على كرامة العسكرية المصرية — كما صدر الحكم فى الوقت نفسه على شقيقه الاصغر حسن بالسجن خمس سنوات مع ايقاف التنفيذ .

وهكذا أصبح على « القيادة » أن تخضع لسيطرتها كل من المدفعية والفرسان وقد نجحت فى ذلك عن طريق الارهاب لا الحوار والاقناع .

قال لى السيد كمال الدين حسين فى أكتوبر ١٩٧٥ ونحن نستعيد هذه الاحداث .

— « لقد كان اجراء ضروريا رغم قسوته ، ولـكنه أشبه بعملية جراحية كبتر جزء صغير من الجسد هدد الجسد كله بالموت ، اجراء رغم قسوته بدا حتميا لاستمرار الثورة وعدم تعريضها لما حدث فى سوريا من انقلابات عسكرية عديدة فاشلة » .

لقد ترك هذا الموقف أسوأ الأثر فى نفوس من قبض عليهم ، ومن حوكموا ، ومن اعتقل دون محاكمة، وصورت وكالات الانباء العالمية ما حدث فى القاهرة على انه بداية كمائن لتصفية الضباط الاحرار .

وقالت وكالات أخرى انه صراع بين الديمقراطيين والديكتاتوريين من ثوار الجيش المصرى ، وجاء مارس ١٩٥٣ ، وأذيعت أنباء المحاكمة والاحكام على السيد رشاد مهنا ، و ١١ ضابطا ، و ٣ مدنيين ، وأعلنت الصحف لاول مرة ان البكباشي جمال عبد الناصر هو رئيس مجلس قيادة الثورة ، غير أن السجن الحربى كان يضم عددا آخرا من الضباط الاحرار، وقد أفرج عن أكثرهم بعد الصدام الذى وقع عام ١٩٥٤ ، وكادت المدفعية تفتح نيرانها على الفرسان ، وقد تبدل المناخ فى السلاحين وحين هدأ هذا الموقف قرر جمال عبد الناصر ورفاقه الافراج عن أغلبية الضباط المعتقلين منذ يناير ١٩٥٣ ، ثم عاد وأفرج عن الباقى فى يوليو ١٩٥٦ وكان من بينهم السيد رشاد مهنا ، الذى أعيد اعتقاله مرة أخرى عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٦٧ .

وانحرف المسار

وبين اغسطس وسبتمبر حتى ديسمبر ١٩٥٢ ، ثم

يناير ١٩٥٣ ، الى نهاية عام ١٩٥٥ ، كان الجيش المصرى قد فقد عددا كبيرا من الكفاءات العسكرية ، خاصة الذين حققوا مستويات راقية من القتـــال فى جولة ١٩٤٨ بفلسطين ، أحيلوا الى التقاعد ، أو نقلوا الى أعمال مدنية فى وزارات التجارة والخـــارجية والتعليم والمواصلات وهيئة التحرير ، وسمحوا للبعض وعاونوهم فى انشاء مكاتب استيراد وتصدير ، فحققوا ثروات خيالية غير مشروعة أظهرتها قضية الاستيراد الكبرى فى الستينات وبعض المتهمين فيها من الضباط الاحرار أو من الكفاءات العسكرية الممتازة قبل الثورة « قضية بسيونى جمعة » .

ولقد فشل بعض الضباط فى وظائفه المدنية فشـــلا ذريعا ، أو انحرف ، ونجح آخرون وحققوا تقدما ونتائج طيبة فى قطاعاتهم ، ثم ظهرت نظرية الولاء قبل الكفاءة ليس على مستوى الجيش فقط ، بل على مستوى جميع المرافق والمناصب الهامة فى البلاد حيث سيطرت مجموعة كبيرة من الضباط الذين تسلقوا الثورة بعد طرد الملك ، والذين رفضوا الخروج ليلة الثورة ، وبدأت تظهر دولة « البرامكة » أو بداية « حكم العصـــابة » كما وصفها الرئيس الراحـــل ذات يوم فى حديث له مع الرئيس السادات !

أحرار الإسكندرية

بعد ٢٥ سنة صمت

تأتي قصة الضباط الاحرار فى الاسكندرية وهم يمثلون اسلحة المدفعية الساحلية والمضادة للطائرات والمدفعية ميدان والمشاة والاشارة فالبحرية ، والتى تذاع لأول مرة بعد ربع قرن من الصمت ، لتكتمل الصورة التى ظلت مبتورة طوال هذه السنين ، صورة العمل السرى لثوار يوليو ، وأخيرا أسرار هذا العمل فى الاسكندرية التى أطلق عليها بعض الضباط « بيت الداء » حيث كانت تضم قادة الملك السابق ، والقائد العام الفريق محمد حيدر باشا وبعض قادته وعدد ليس بقليل من الضباط المعروفين بولائهم للملك فى القوات البحرية ثم زعماء الاحزاب فى المصيف .

ان دور الضباط الاحرار فى الاسكندرية ودور قائدهم بكباشى المدفعية الساحلية أحمد عاطف نصار يعكس قصة مثيرة من قصص السلطة والصراع عليها بعد الثورة ، وما جرى خلف الستار والكواليس من أحداث وتطورات لم تعرف عنها جماهير الشعب شيئا !

من هو عاطف نصار ؟

اتركه هنا يروى عبر لقاءات معه خلال العام الماضى ١٩٧٦ .

« ولدت فى ٥ مايو ١٩١٤ ـ بقرية سروهيت مركز الباجور منوفية ، وتخرجت فى الكلية الحربية عام١٩٣٥، والتحقت بسلاح المدفعية ميدان ، والى انجلترا سافرت فى بعثة عسكرية وقضيت هناك عاما ونصف عام ، ثم عدت الى القاهرة فى أوائل عام ١٩٣٨ .

ولقد وجدت بعد عودتى فى سلاحى تجمعات تضم رفاق السلاح، ترفض معاهدة ١٩٣٦ وتبحث فى مستقبل مصر ، وانضممت الى مجموعة من الضباط كانت تضم « الزملاء رشاد مهنا وعبد الحليم الدغيدى وأحمد حسن الفقى وابراهيم عاطف وعبد المنعم أمين » وأخذ نشاطنا يتركز فى القيام بعمل مضاد ضد البعثة الانجليزية العسكرية وقادتها الذين يسيطرون على الجيش المصرى.

وجاء عام ١٩٤٠ ونقلت للعمل بالسودان ، حيث التقيت لاول مرة بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، لنبدأ مشوارا ثوريا معا انتهى بتقديمى للمحاكمة بتهمة التآمر عام ١٩٥٧ ، ثم صدور الحكم باعدامى فسجنى ٢٥ عاما ، فالافراج عنى بعد ٩٠ يوما فقط .. ! بعد أن سأل عنى الزعيم الهندى الراحل جواهر لال نهرو وسأل عن حقيقة ما ارتكبته ضد ثورة يوليو ، فما كان من جمال عبد الناصر الا أن أفرج عنى !

نعود الى البداية ، الى عام ١٩٤٠ فى السودان ..

كنت برتبة يوزباشى وعبد الناصر برتبة ملازم أول وقد عرف عنى كراهيتى للقيادة البريطانية وتعسفها ضد المصريين والسودانيين معا ، وأمر عسكرى أصدرته ذات يوم لجنودى بضرب جنود الانجليز فى الشوارع « علقة ساخنة » نتيجة اعتداء بعض الانجليز على عدد

ّمن جنودنا المشاة ، فبات قائد المنطقـــة الانجليزى فى بورسودان يخشانى تماما .

وسعى عبد الناصر للقـــائى ، وتحدث معى مزهوا بشجاعة جنود المدفعية ، ثم صرنا نلتقى ونتحدث حول المانيا وبريطانيا ومستقبل مصر ، وبدا لى اننا متقاربان فكرا وسلوكا .

وجاء عام ١٩٤٢ ، فعـــدت الى مدفعية السواحل بالاسكندرية ، واصطدمت مرة أخرى بالقيـــادة الانجليزية أثناء انسحاب الانجليز أمام روميل ومحاولاتهم تدمير كل المنـاطق العسكرية المصرية فى الاسكندرية اذا تقدمت القوات الالمانية فى زحفها ورفضى التام لتنفيـــذ خطة الانجليز ، وتدخل قائد المنطقـــة العسكرية الشمالية فى المدينة لواء زكى كمال ثم اقتنـــاعه بوجهة نظرى .. الى أن لجـــأ الانجليز للمغفور له مصطفى النحاس باشا الذى أرسل لنا سرا الاستاذ حسن سرور نقيب المحامين بالاسكندرية أيامها ، وحسن بكرى عضو مجلس النواب عن محرم بك ينقلان لنا تأييده وتعاطفه ، وقد التقيا بزملائى الضباط الذين يقفون معى ، هؤلاء الضباط تحـــولوا الى نواة للتنظيم السرى لاحـرار الاسكندرية فيما بعد .

نقلت بعد ذلك الى التدريس بالكلية الحربية حيث التقيت مرة ثانية بجمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين المدرسين بالكلية ، وقصتى الوطنية تسبقنى ، ونبدأ معا رحلة صداقة وزمالة بقدر أكبر من النضج والوعى .

وبعد عامين قضيتها مدرسا بالكلية الحربية عدت الى المدفعية الساحلية بالاســـكندرية ، وفى عام ١٩٤٦ ،

ألتحقت بكلية أركان حرب والتقيت للمرة الثالثة بعبد الناصر وزكريا محيى الدين والمرحوم صلاح سالم ، وفى عام ١٩٤٨ تخرجت وعينت أركان حرب اللواء الرابع مشاة وتوجهنا الى الجولة الاولى بفلسطين .

وأصيب قائد اللواء العميد فؤاد هجرس وتسلم القيادة منه العميد محمد نجيب لواء فيما بعد ــ والتقيت به وبأركان حربه المرحوم عبد الحكيم عامر وبعدد كبير من ضباط يوليو الاحرار أثناء العمليات الحربية .

وعدنا الى القاهرة ، وفى عام ١٩٤٩ فاتحنى الرئيس الراحل لاول مرة فى تنظيم سرى وعرفت منه أن صديقى المرحوم صلاح سالم هو الذى طلب منه مفاتحتى فى أمر الانضمام لهذا التنظيم فرحبت على الفور بعد ان أوكل لى مسئولية قيام التنظيم فى الاسكندرية وتجنيد الضباط للانضمام الينا ، لما لى من صلات قوية متشعبة فى المدينة بكافة الأسلحة الاخرى نتيجة خدمتى الطويلة بها ، وكان رحمه الله يقوم من جانبه بتجنيد ضباط آخرين عن طريقه ثم يخطرنى بهم مثل أحمد حمروش الكاتب الصحفى حاليا ، وصلاح قنصوة السفير بالخارجية الآن ، والصديق عبد الحليم الاعسر بقطاع الغزل والنسج أخيرا .. وكثيرا من الضباط لا أذكر أسماءهم، بعضهم استمر معنا ، والبعض تراجع خوفا من المستقبل المجهول .

وفى الاسكندرية ومنذ عام ١٩٤٩ ، حرصت مع زملائى الضباط على اقامة شبكة علاقات وصداقة قوية مع رجال الجامعة والشرطة ونقابات الاطباء والمحامين والمهندسين والصحفيين ، ثم قادة المصانع بل وعمالها،

والجاليات الأجنبية فى المدينة ، والنوادى المختلفة ، ولا أنسى الدور الذى أداه لنا نادى أبنـاء ألشرقية ، من خلال زميلى ضابط الاشارة عميد شريف أباظة الآن ـ أحد الضباط الاحرار فى الاسكندرية ، وكان والده من مؤسسى النادى .

لقد قمنا فىهذا النادى بدعوة طلبة الجامعة وأساتذتها ورجال المرافق العامة فى المدينة لجلسات حوار ولقاءات فكر حتى أصبح لنـا قاعدة جماهيرية كبيرة ، قامت بدورها صباح ٢٣ يوليو ، فكان التـلاحم الراقى بين الشعب ووحـــدات الجيش التى خرجت الى انحاء الاسكندرية منذ اللحظة الاولى التى أذيع فيها بيـان الرئيس السادات ، البيان رقم واحد للثورة .

قبل ذلك ، دخلنا اختبارا عمليا عام ١٩٥١ ، بعـد ان ألغى مصطفى النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦ ، اذ شرعنا على الفور فى تدريب طلبة الجامعة على القتـال وحرب العصابات يعاوننـا الزميل وجـدى خليفـة من رفاق السلاح وكان مسئولا عن التـدريب العسكرى لطلبـة جامعه الاسكندرية .

أخذنا أرض « لتوريا » بمنطقة الشاطبى ، مبنى كلية الزراعة حاليا ، وكانت أرضا مهجورة تملـكها مدرسة ايطالية أثناء الحرب العالمية الثانية وجعلنا منها مسرحا للتدريب ، كما أقمنا مسرحا ثانيا بالصحراء الغربيـة .

كنا ثلاثة نقوم بالاشراف على التـدريب الى جانب وجدى خليفة ، وعبد الحليم الاعسر ، وشريف أباظة ، وأنا ، وكان بين أول دفعة من شهداء طلبة الاسكندرية فى منطقة القناة الشهيد الطالب عباس الاعسر شقيق

زميلي عبد الحليم ، وقد رفض أن يقوم باجازة من التدريب واستمر يعمل فخوراً بشهادة أخيه الاصفر .

لقد أثنى الرئيس الراحل طويلا على نشاطنا فى حرب الفدائيين عام ١٩٥١ ، ونجاحنا في تنفيذ الخطة بكفاءة عالية ، هذه الكفاءة التي حاولنا تطبيقها مرة أخرى أثناء العدوان الثلاثي علينا عام ١٩٥٦ ، فكانت أحد العوامل التي دفعتهم في القاهرة لالقاء القبض على ومحاكمتي بتهمة التآمر ضد الثورة !

عدنا بعد حريق القاهرة واجهاض الحركة الفدائية الى تعبئة الرأى العام فى الاسكندرية وتوزيع المنشورات التي كانت تصل الينا من أحرار القاهرة فنطبع أضعاف أضعاف ما يصلنا ، ونعمل على توزيعها ليس على العسكريين فحسب ، بل على كل الهيئات المدنية ، لاحساسنا بأنهم سند الجيش حين يقوم بخطوته الامامية .

وتعددت لقاءاتي بالرئيس الراحل ولقاءاته بزملائى الضباط الاحرار فى الاسكندرية هنا أو فى القاهرة ؛ وكل خطواتنا أعرضها عليه حتى الضباط الذين كنت أدخرهم لمهام محددة يوم الثورة ولم أجندهم للتنظيم من أجل حساسية مواقعهم التي يشغلونها ، كنت أخبره بهم ، مثل البكباشي اسماعيل شاكر قائد فرع المخابرات الحربية الملكية بالاسكندرية الذى قام بالفعل صباح يوم الثورة بدوره كأحد الضباط الاحرار المتحمسين للثورة ، ومثل اليوزباشي محيى لبيب السكرتير العسكرى للواء محمد حلمى عبد الرحمن قائد المنطقة الشمالية العسكرية وكانت مهمته ابلاغى سرا بكل تحركات ضباط الملك ونشاطهم المضاد لنا ، ومثل الصاغ محمود غراب

الذى شاركنا العمل لحظة بلحظة ثم انسحب بعدخروج الملك لارتباطه بالاخوان المسلمين ..

سألته ، كيف لم يبلغكم أحد بساعة الصفر ؟

لقد قيل ان جمال عبد الناصر أرسل اليوزباشي أحمد حمروش اليكم بالموعد ولكن تقصيرا منه وقع ، فلم تعرفوا بالثورة الا من خلال الراديو .. ما حقيقة هذه القصة ؟

ـ حدث تقصير بالفعل وهو ما سمعته من الرئيس الراحل بعد الثورة مباشرة .

كان أحمد حمروش من أعضاء التشكيل السرى بين ضباط الالاى المضاد للطائرات بمنطقة السلسلة بوحدات الانوار الكاشفة ، وكان كثير التنقل بين القاهرة والاسكندرية ، وعبد الناصر هو الذى قام بتجنيده ، ودوى لى عبد الناصر بعد الثورة ان حمروشا سافر الى بلدته بالبحيرة لا الاسكندرية ليبلغنا بساعة الصفر ، وبالفعل ظهر حمروش بيننا يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ ولم يقل شيئا .

ولقد فسر البعض موقف حمروش بأنه كان ينفذ تعليمات « حركة حدتو الشيوعية » التى تضمه سرا ، وكانت تعليماتها الى أعضائها من الضباط الاحرار هى العمل على افساد هذا الانقلاب العسكرى ، وقد التزم بها حمروش فقط ، ولذلك لم يقرر له عبد الناصر معاشا استثنائيا ولم يهتم به الا بعد التحول نحوالشرق والاتحاد السوفييتى الذى بدأ مع عام ١٩٦٢ ، ومن هنا لم يذكروا اسمه فى الوثيقة الرسمية التى صدرت عام ١٩٧٢ ، تلك التى أصدرها الرئيس السادات ، فى

قرارين جمهوريين يحملان رقم ١٣٨٦ و ١٣٨٧ ، مسجلا أسماء ثوار يوليو من الضباط الاحرار .

سؤال للتاريخ : لقد ترددت قصة تقول ان الرئيس الراحل رأى أن يحول بين مائة ضابط من الاحرار وبين ساعة الصفر ، ودون أن يكلفوا بأى واجبات ، حتى اذا لا قدر الله وفشلت الثورة ، يظل هؤلاء المائة نواة لحركة ثورية جديدة داخل الجيش لمعاودة الثورة مرة أخرى ، وانه طبق هذا القرار على الضباط الاحرار فى الاسكندرية .. ما رأيك ؟

سؤال ثان : قصة أخرى ترددت فى الاسابيع الاولى للثورة ، تقول ان الرئيس الراحل كان يعتزم لو فشلت الثورة أن ينجو هو وبعض أعضاء لجنة القاهرة أوالهيئة التأسيسية للضباط الاحرار كما أطلق عليها قبل الثورة ، بواسطة طائرة حربية ، أعدها قائد الجناح عبد اللطيف بغدادى وبعض زملائه من أحرار الطيران فى مطار انجليزى قديم بمنشية البكرى بجوار بيت الرئيس الراحل حاليا ، يطيرون بها الى سوريا ، وكان العميد أديب الشيشكلى قد قاد انقلابا ناجحا فى دمشق ، وفى ذهن عبد الناصر ان هؤلاء الضباط الاحرار المائة الذين لم يبلغهم بموعد الثورة ومنهم أحرار الاسكندرية يمكن أن يعاودوا النشاط السرى مرة أخرى بقيادته من سوريا ، وانه رأى ألا يبلغكم بساعة الصفر تطبيقا لهذه الخطة ، فاذا كانت القصتان صحيحتان ، يصبح اليوزباشى أحمد حمروش ، متجنيا عليه ... ماذا تقول أنت ؟

— بالنسبة لقصة المائة ضابط فاننى أجزم بأنها غير

صحيحة ولم يفكر فيها عبد الناصر قط .. لماذا ؟

لأن التنظيم كان فى حاجة الى أكبر عدد من الضباط رتب كبيرة وصغيرة ، واسمح لى أن أقول من خلال موقعى قبل الثورة انه ومعه بعض أعضاء لجنة القاهرة كانوا يخشون تخلف عناصر كثيرة من أعضاء التنظيم ساعة الصفر خوفا وتراجعا ، وقد حدث هذا بالفعل، ثم آثر الرئيس الراحل أن يحتفظ بأسماءهم سرا حتى مماته ، وبعضهم أسند اليه مناصب قيادية فى مرافق البلاد وهم بعض من أطلق عليهم « أهل الثقة» !

ودليلى على ذلك هو ذهاب جمال عبد الناصر وكمال حسين يوم ٢١ يوليو الى بيت صديقى عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ليفاتحاه فى الانضمام اليهم ، وحين وافق عبد المنعم قالا له ان موعد تحركنا غدا !

ماذا يعنى هذا ؟

يعنى انهم كانوا فى حاجة ماسة الى عدد اكبر من الضباط لمساندة الثورة .

ويهمنى أن أذكر لك اننى ذهبت الى القاهرة قبل الثورة ببضعة أيام تقل عن أسبوع والتقيت بالرئيس الراحل الذى أخبرنى بالاستعداد للثورة خلال أيام قليلة جدا وانه سيخطرنى بساعة الصفر قبلها بأربعة وعشرين ساعة ، ثم طلب منى العودة الى زملائى بالاسكندرية ، وأن نأخذ وقفة الاستعداد منذ لحظة وصولى مباشرة اليهم ، وقد نفذت كل هذا بدقة شديدة ، وكتبت بكل التفاصيل الى الرئيس أنور السادات فى نهاية عام ١٩٧٢، ومن هنا وحين فوجئنا بالبيان رقم واحد، تحركنا بثبات

ووعى وسيطرنا على المدينة تماما حسب الخطة الموضوعة من قبل .

أما بالنسبة لقصة الطائرة واللجوء الى سوريا ، فهى قصة ترددت بعد أغسطس ١٩٥٢ ، حين احتدم الخلاف بين الضباط الاحرار حول تشكيل مجلس قيادة الثورة ، وسمعناها مرة أخرى بعد يونيو ١٩٥٣ ، عندما صدر قرار مجلس القيـــادة بتعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للجيش وترقيته الى رتبة لواء ، وعرفنا ان بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة كان يعارض هذا الاختيـــار مثل البغدادى ، وكمال حسين ، وجمال سالم ، وصلاح سالم ، ولـكن عبد الناصر فرضه عليهم بسلوكه وذكائه وسيطرته ، فخرجت القصة من جديد فى محاولة سرية لتشويه خلفية عبد الناصر بين قاعدة الضباط الاحرار ، غير اننى أذكر للتاريخ ان الرئيس الراحـل قد حرص بالفعل على عدم ابلاغ عناصر معينة من الضباط الاحرار بموعد التحرك ليس خوفا عليهم ، بل تخوفا منهم ومن طبيعة تكوينهم ونشاطهم القديم ، وخاصة من كان له نشاط ثورى سرى قبل أن يندمج فى تشكيل جمال عبد الناصر ... بعضهم وليس كلهم ، ساورته المخاوف منهم بعد نجاح الثورة ، اذا قدر لهم أن يشاركوا فيها تحركا وايجابا ... وأعتقد ان توقعاته كانت صحيحة ... لقد أورثه أكثرهم « الصداع » الدائم كحد تعبيره لى بعد يوليو ١٩٥٢ ، وكان جادا فى البحث عن وسيـلة للخلاص منهم قبل نهاية الشهور الستة الاولى من عمر الثورة .

عدت أسأل البكباشى أحمد عاطف نصار : كيف كان تحرككم صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبقية الايام التى تلت

صباح الثورة حتى غادر فاروق البلاد ؟

ـ كانت خطتنا التي وضعتها مع زملائي أن نسيطر على الوحدات العسكرية من داخل هذه الوحدات ، ونقوم بعزل القادة القدامى دون أن تتحرك وحداتنا خارج المدينة ـ وبعد أن استمعنا الى البيان الاول للثورة اتخذت رئاسة الالاى الثاني للمدفعية المضادة للطائرات بمنطقة السلسلة مقرا مؤقتا لقيادة الثورة بالاسكندرية لقربه من المرافق الحيوية ولتوسطه الوحدات العسكرية ، وسيطرنا على مركز القيادة العامة للقوات المسلحة بالمدينة وعلى رئاسة المنطقة الشمالية بثكنات مصطفى كامل ، وأجهزة الامن العام بالتعاون مع ضباطها من الشرطة ، ومصلحة التليفونات وشبكاتها ، ومطارى الدخيلة والنزهة ، وجميع المرافق الحيوية بالمدينة .

ولما كان للشبكة الحديدية الغاطسة فى مدخل ميناء الاسكندرية اهمية بالغة فى نجاح الثورة فهذه الشبكة كما هو معروف تابعة للقوات البحرية ، ومن بينها عناصر قيادية مساندة للملك ، فقد قامت قوات المدفعية الساحلية باحتلال غرف تشغيل الشبكة الحديدية لمنع تحرك أى قطعة بحرية يفكر ضباطها فى نجدة الملك ، وأذكر ان المرحوم الفريق أول سليمان عزت قائد القوات البحرية حتى ١٩٦٧ وكان فى بداية الثورة برتبة بكباشي حاول أن يستقل لنشا ولكن ضباطنا منعوه ، وأحكموا غلق الميناء مع تغطيتها بنيران المدفعية الساحلية لمنع دخول أو خروج اى قطع بحرية تهدد المدينة أو تعمل على تهريب الملك .

ثم قمنا بتحريك قوات المشاة من مواقعها الى المواقع الجديدة طبقا للخطة وكلفت مع وحدات المدفعية الساحلية والمدفعية المضادة للطائرات بحماية مداخل الاسكندرية برا ، وجوا ، وبحرا .

وجهنا بعد ذلك المدافع الساحلية على قصرى رأس التين والمنتزه لمنع فاروق من القيام بأى تصرف طائش كما وجهت بعض المدفعيات لمواجهة عدة قطع بحرية كنا نعتقد انها ستساند الملك ، وفى صباح ٢٤ يوليو جاء الينا ضباط القوات البحرية ، وأعلنوا تأييدهم للثورة وتضامنهم معنا ، وعملنا على عزل اللواء محمود بدر قائد البحرية وتعيين العقيد بحرى حمدى ناشد قائدا مؤقتا لها .

كما قامت المدفعية المضادة للطائرات الى جانب واجباتها الارضية بحماية سماء المدينة ، وسمحت لطائرات ضباط الطيران الاحرار بالتحليق فقط وقبضنا على طيار الملك حسن عاكف حين هبط بطائرته فى مطار الدخيلة للتزود بالبنزين ، واستولينا على طائرته .

وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر ٢٣ يوليو اتصلت تليفونيا بالرئيس الراحل فى القاهرة وأبلغته بتمام السيطرة على الاسكندرية عسكريا ومدنيا ثم نقلت مقر قيادتنا الى مبنى القيادة العامة بثكنات مصطفى كامل ، وعلمت من أفراد الرقابة الموضوعة على قصر المنتزه ان الملك وأسرته استقلوا عربات لورى للنقل بعد منتصف ليلة ٢٤ يوليو الى قصر رأس التين، فسيطرنا بالمدفعيات والقوات حول القصر .

ولقد حاول فاروق استغلال اللواء وحيد شوقى مدير

خفر السواحل لترتيب مظاهرة من جنوده تهتف بحياة الملك ، وعلمنا ان بعض السياسيين القدامى ممن كانوا بالاسكندرية تعاونوا معه من أجل اعداد هذه المظاهرة ، فعملنـــا على اجهاضها بأن طفنا بعربات كثيرة مزودة بالميكروفونات بين أنحاء الاســكندرية تشرح للجمــاهير أهداف الجيش من ثورته ، واستمرت هذه السيارات تجوب المدينــة عدة أيام وحولها مجاميع من شــباب وطلبة جامعة الاسكندرية الذين التحمنا بهم منــذ عام ١٩٥١ ، ودربناهم على استخدام الســلاح فى منطقــة القناة ضد قوات الاحتلال البريطاني وكان دور هؤلاء الشباب هو حماية مرافق ومحال المدينة من عمليــات التخريب المستترة خلف التجمهر والهتــاف للجيش ، واللواء محمد نجيب ، وبالفعل حاول بعض المخربين باشراف ضباط البوليس السياسى أن يقوموا بمظاهرة ظاهرها الترحيب بقائد الثورة وباطنهــا الاعتــداء على أرواح وممتلــكات الاجانب حتى يكونذلك ذريعة لتدخل أجنبى عسكرى للاطاحة بالثورة وتــكرارا لمــا حــدث بالاسكندرية عام ١٨٨٢ ، فطلبت من الرئيس الراحل أن يذيع اللواء محمد نجيب فى الراديو كلمة تحية لأهالى الاسكندرية يرسلها لهم من القاهرة ، وكانت أجهــزة البوليس السياسى قد أشــاعت ان اللواء محمد نجيب جاء الاسكندرية مساء ٢٣ يوليو ... وحينأذاع الراديو كلمة القائد العام الجديد من العاصمة انصرفت التجمعات وفشل مخطط أعداء الثورة !

ووصلت القوات قادمة من القاهرة بعــد أن أخبرنى الرئيس الراحل بموعد وصولها وتمركزت بملعب بلدية

الاسكندرية ، بعضها وصل يوم ٢٥ والباقى يوم ٢٦ يوليو .

سألته : كيف قبضتم على اللواء حسين سرى عامر رجل الملك ؟ ..

ـ ذهب الزميل النقيب عمر عيد ـ العميد فيما بعد ـ فى طلب أحد ضباط الحدود بمرسى مطروح كنا قد علمنا بأنه يحاول جمع الاعراب من الصحراء الغربية لحساب الملك ، وهناك اكتشف تجمعا داخل أحد المخيمات ، ووجد بداخله اللواء حسين سرى عامر ، يعمل على استنفار القبائل مع بعض قوات الحدود لنجدة الملك فى الاسكندرية فقبض عليه وعلى الضابط الآخر ، وعاد بهما .

لم يكن اذن فى طريقه للهرب خارج الحدود ؟

ـ لا ... ليس هذا صحيحا ..

عدت أقول : لقد سمعنا فى القاهرة انكم قمتم بعدة اتصالات سياسية فى الاسكندرية كان لها صداها الطيب فى العاصمة .. لدى مجلس قيادة الثورة ... هل يمكن أن اسمع منك بعض التفاصيل ؟

ـ حرصت انا وزملائى على الاجتماع برجال ورؤساء الأديان كلها فى المدينة ـ المسلمون والمسيحيون واليهود وبعدها أصدروا بيانا يعلنون فيه تكاتفهم جميعا لمساندة الثورة وتمسكهم بشعار « الدين لله والوطن للجميع » الذى تؤمن به حركة الجيش ، وذلك للقضاء على أية محاولة لاثارة الفتنة بين الاديان وقد نقلت صحف العالم صور زعماء الاديان الثلاثة وهم متعانقين معنا ...

ثم علمت أن الملك فاروق قال لرجال اليخت المحروسة بعد أن أوصلوه الى ايطاليا وعادوا الى الاسكندرية ، انه سيلجأ الى الصحافة الايطالية والعالمية ـ فاجتمعت برجال الجاليات الاجنبية كلها فى المدينة ، ومن بينهم الجالية الايطالية بالطبع ، وتم الاتفاق معهم على السفر الى القاهرة للقاء رجال الثورة واعلان تأييدهم لها ، وتحرك الموكب فى مائة وخمسين سيارة بين ممثلى الصحافة العالمية ووكالات الانباء ، وكان حدثا عالميا بارعا واعترفت ايطاليا بالنظام المصرى الجديد ، بعد أن اعترفت فرنسا وكنت قد بادرت بلقاء قنصل فرنسا بالاسكندرية الذى سافر الى سفيره بالقاهرة واتصلا بباريس وجاء اعتراف فرنسا أول اعتراف دولى بشرعية ثورتنا ، وكل هذه التفاصيل ظللت أحرص على ابلاغها للرئيس الراحل جمال عبد الناصر أولا بأول ، قبل وبعد القيام بها على الفور .

ثمة حدث هام آخر له دلالته ، لقد كانت جامعة الاسكندرية هى أول هيئة علمية ترسل برقياتها الى القاهرة تأييدا للثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ صباحا ، وكان لهذا التأييد أجمل الاثر فى نفس الرئيس الراحل وزملائه أعضاء لجنة القيادة .

لقد كان هناك تعاون وثيق مستمر بين جامعة الاسكندرية وبين الضباط الاحرار فى المدينة ، وكنا ثلاثة نعمل كضباط اتصال مع الجامعة « زميلى وصديقى شريف أباظة ضابط الاشارة ، وزميلى وصديقى عبد الحليم الاعسر ضابط المدفعية المضادة للطائرات ، يعاوننا الصديق والزميل وجدى خليفة الضابط المسئول عن التدريب العسكرى لطلبة الجامعة » . ولقد نزلت

« كتيبة » جامعة الاسكندرية منذ صباح ٢٣ يوليو الى المدينة تشاركنا المسئولية والمصير .

أباظة والاعسر

أترك الحوار هنا قليلا مع الثائر القديم البكباشي أحمد عاطف نصار ، لأستمع الى زميليه الثائرين القديمين « شريف أباظة ، وعبد الحليم الاعسر » ...

وشريف أباظة هو اسم الشهرة ، أما اسمه الحقيقى فعبد الله أباظة من مواليد عام ١٩٢٣ ، ومنذ تخرجه من الكلية الحربية عام ١٩٤٦ ، تميز بنشاطه المكثف بين زملائه الضباط هواة القراءة والمعارف والاهتمامات الوطنية والعسكرية .

قال لى ثائر الاشارة « عبد الله » أو شريف أباظة :

ـ التقيت لأول مرة بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر خلال الدراسة بالكلية الحربية ، كان يدرس لنا علوم المشاة والاسلحة الصغيرة والشئون الادارية ، ومعه السيد زكريا محيى الدين ، والصديق الكبير عاطف نصار ، وأكثر الطلبة كالمعلمين لهم اهتمامات سياسية ووطنية وأدبية .

أذكر اننى ومعى زميلين من الضباط الاحرار بعد ذلك ، كنا نلتقى أسبوعيا ليلخص الواحد منا كتابا فى التاريخ الوطنى عليه أن يقرأه خلال الاسبوع ، ثم يعرض الملخص أمام زميليه ، كانت هذه رياضتنا ومتعتنا ولهو شبابنا ...

وفى بداية عام ١٩٤٧ ، رأيت ضابط الفرسان سعد عبد الحفيظ «وكيل وزارة الثقافة حاليا» وكان يحصل على فرقة اشارة وتعارفنا سريعا ثم قادنى للانضمام الى

مجموعة من أصدقائه الضباط عرفت بعد ذلك انها مجموعة الاميرآلاى عبد الواحد سبل ، أحد القادة الشرفاء الذين وقفوا فى وجه فساد قيادة الجيش المصرى ، وبين هذه المجموعة عرفت السيد رشاد مهنا كأب روحى لها ، وأبو الفضل الجيزاوى ، وحمدى واصف ، وجمال منصور ، مدير مكتب الاتصال المصرى فى دمشق حاليا ، والمرحوم مصطفى كمال صدقى ، ومصطفى نصير ، وعبد الفتاح أبو الفضل ـ الذى كنا نلتقى كثيرا فى بيته بدرب الجماميز خلف قصر عابدين.

وتعددت لقاءاتنا .. كل أسبوع فى بيت احد ضباط هذه المجموعة ، وتحدثنا كثيرا عن الضابط انورالسادات ونضاله المستمر ضد الانجليز والملك ، وكنت أشعر بالفخر لأننى أنتسب لسلاح هذا الضابط الاسمر سلاح الاشارة .

وفجأة قبض البوليس السياسى على عدد كبير من هؤلاء الضباط ، وأحيل عبد الواحد سبل الىالمعاش، وكان رشاد مهنا على رأس المقبوض عليهم ... وتوقف نشاطنا كما توقفت لقاءاتنا ...

ونقلت الى الاسكندرية لأعمل ضابطا للاشارة فى المدفعية الساحلية والتقى مرة ثانية بأستاذى فى الكلية الحربية أحمد عاطف نصار ، ولنبدأ معا مشوارا طويلا لم ينته حتى اليوم ـ فى الوقت نفسه تقاربت فكريا مع المرحوم سعد حسن توفيق أحد قادة الاشارة ومن طليعة الضباط الاحرار ، وأخذنا نتساءل : ما هو الدور الوطنى الذى يجب أن نقوم به كضباط فى الجيش المصرى ؟ خاصة بعد القبض على ضباط عبد الواحد سبل ؟

وجاءت جولة ١٩٤٨ - الاولى - وتطوعت للقتال فى فلسطين تحت قيادة المرحوم أحمد عبد العزيز ، والسيد كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، وقائدى المرحوم سعد حسن توفيق .

كان معنا من رفاق السلاح الشهيد سالم عبد السلام، وقد سرنى حين علمت ان ولدين له شاركا فى حرب رمضان المجيدة ، والمرحوم أنور الصيحى ، والزملاء عبد المنعم عبد الرءوف ، ومعروف الحضرى ، ومحمد أحمد حسن ، والطبيب محمد حسين غراب ، والمرحوم مصطفى كمال صدقى ، وخالد فوزى ، ومتطوعين من السودان ، وليبيا ، ومصر ..

وأصبت بطلقة هاون فى ذراعى وعينى عند بيت لحم وعدت الى القاهرة مع بداية عام ١٩٤٩ ، لألتقى مرة أخرى بالمرحوم سعد حسن توفيق ، وبالصديق عاطف نصار ، وبالصديق عبد الحليم الاعسر، ومحمد الوردانى من المشاة ، وعبد الرءوف نافع ، وابراهيم بغدادى من المشاة أيضا ، وكانا يمثلان الجيش لدى القوات البحرية والمرحوم صلاح حنفى من الاشارة ، وخالد فوزى من المدفعية ، وأخذت لقاءاتنا طابع السرية وأسلوب التنظيم السرى ، كما توسعنا فى تكوين الخلايا بحذر ودرجة يقظة عالية وتكتم شديد ، تحت قيادة البكباشى عاطف نصار ، الذى كان ينقل لنا رسائل المرحوم جمال عبد الناصر أو لجنة القيادة ، كما كان الصديق خالد فوزى حلقة صلة دائمة بيننا وبين زملائنا فى العاصمة .

وذات يوم كنت أستقل القطار فى طريقى للقاهرة خلال عام ١٩٥٠ ، واذا بى التقى وجها لوجه بالبكباشى جمال عبد الناصر ، ولم اكن رأيته منذ عام ١٩٤٦ ،

بالكلية الحربية ، وسعدت برؤيته ، وجعل يحدثنى فى ود وبلا كلفة وفجأة سألنى وهو ينظر فى عينى :

ــ هل سمعت كضابط اشارة عن ضابط الاشارة القديم أنور السادات ؟

وسحب نفسا عميقا من دخان سيجارته ثم أطلقه ، حتى اننى لم أتبين ملامح وجهه عندما ألقى سؤاله ، وأجبته صادقا وبكل حسن النية المتوفرة لدى أبناء الشرقية :

ــ نعم أعرفه ، وأعتقد أن أكثر ضباط الاشارة يعرفونه ، ومن لم يره سمع بقصته مع البعثة العسكرية الانجليزية فى الجيش ، ولقد رأيته أخيرا فى ادارة السلاح « أقصد سلاحنا الاشارة » بعد أن عاد الى الجيش منذ أيام وهنأته من قلبى ، وسعدت بعودته ليس تعاطفا كضباط اشارة كما هو معروف عنا ، بل لماضيه ، فهو أول ضابط نسمع عن وطنيته وتضحيته حين كنا طلابا بالكلية الحربية قبل عام ١٩٤٧ ، ثم وهو يقف أمام القضاء ويقول صيحته الوطنية المدوية الشهيرة عام ١٩٤٨ : « اننى أفضل الموت شنقا على أن أقف واسمع النائب العام يشيد بقوات الاحتلال » .

ولمعت عينا الرئيس الراحل حين استطردت فى الحديث قائلا له :

ــ « يا افندم أنا كان نفسى أكاشفه بتنظيمنا وأعرض عليه الانضمام الينا ، عندما رأيته أخيرا بالاشارة » .

ولم يعلق عبد الناصر بشىء ، انما أدار دفة الحديث وبدأ يسألنى عن نشاطنا بالاسكندرية .

وجعلت أروى له كيف ألتحمنا بالمدنيين فى المدينة من أجل تكوين رأى عام شعبى يساند الثورة ويؤيدها عندما نتحرك فى ساعة الصفر ...

لقد لعب نادي أبناء الشرقية الذى ساهم فى تأسيسه والد الضابط الثائر شريف آباظة عام ١٩٤٥ ، دورا كبيرا فى تجميع حلقات الحوار والفكر والفنون بين العسكريين وبين أبناء المدينة وأعضاء النادى فى الفترة ما بين ١٩٥٠ حتى ١٩٥٢ .

كانوا يوجهون الدعوات الى قادة النقابات المهنية وأساتذة الجامعة والطلاب وقادة العمال ، وكبار وصغار الضباط للندوات والمحاضرات ومشاهدة المسرحيات ، الوطنية التى يكتبها شريف اباظة ويقوم بتمثيلها الجنود من هواة المسرح ، وآخر هذه المسرحيات مسرحية « روح الشباب » من تأليف ابن عمه الاديب ثروت أباظة « وقد أعترض البوليس السياسى على أدائها بمسرح أبناء الشرقية حين تكرر العرض ، فأوقفوه مجاملة لمشاعر قوات الاحتلال البريطانى ، وبتعليمات صريحة من الداخلية ، لم نعترض عليها حتى لا نثير الانتباه الى حقيقة نشاطنا . »

وفى هذه اللقاءات انضم الى نشاطهم الوطنى كل من الدكاترة المرحوم رشوان فهمى ، ومحيى الخردالى ، والمرحوم حسن أبو السعود ... وكانوا عونا لهم فى الاسكندرية .

ويذهب شريف أباظة مستقلا سيارة المرحوم ابراهيم دسوقى أباظة باشا والد قريبه وزميله الاديب ثروت أباظة الى القاهرة لينقل المنشورات بعد أن يطبعها

الضباط الاحرار الى الاسكندرية ، وفى فيللا يملكها المرحوم الشاعر عزيز أباظة كمصيف يقوم شريف وزملاؤه باعادة طبع المنشور من أجل الحصول على كمية أكبر ، ثم توزيعها على كل رجالات الاسكندرية ، مدنيين وعسكريين .

يعود محدثى للقاء القطار خلال عام ١٩٥١ ، مستطردا :

— رويت كل هذا للبكباشى جمال عبد الناصر باستفاضة ورأيته يسمعنى سعيدا ... لم أكن أعلم أنه قائد الضباط الاحرار ، بل أحد الاعضاء البارزين فى قيادة التنظيم السرى .

ومرت عدة أشهر كنا نلتقى خلالها بالرئيس الراحل فى مقهى التريانون بالاسكندرية ، وقمنا بواجبنا فى العمل الفدائى كما روى لك الزميل الكبير أحمد عاطف نصار، ثم وقع حريق القاهرة ، وفوجئنا بوصول منشور من قيادة تنظيم الضباط الاحرار فى العاصمة ، منشور جديد مطلوب طبعه وتوزيعه بشكل سريع ، وكانت كلماته تؤكد أن القوات المسلحة هى قوات الشعب المصرى ولن تقف فى مواجهة الشعب على الاطلاق ، ولن تفتح النيران ضد الجماهير المصرية ، حين نزلت وحدات القوات المسلحة الى شوارع القاهرة بعد حريق المدينة تنفيذا للأوامر ، فكل رجالها يعوون دورهم وهو حماية العاصمة وأمن البلاد من العابثين وان القوات المسلحة تؤكد وتعلن أنها تدخر كل طاقاتها من أجل العدو الحقيقى للوطن .

كان منشورا ذكيا ايجابيا فى توقيته ، قمنا بتوزيعه فى أنحاء الاسكندرية وخاصة المناطق الشعبية ... ثم

توقف نشاطنا قليلا ، وما لبث أن عاد مرة أخرى عبر انتخابات نادى الضباط بالاسكندرية ، فى الوقت الذى أجريت فيه انتخابات مماثلة بنادى ضباط العاصمة... وقد نجح فى هذه الانتخابات عاطف نصار ، والمرحوم صلاح حنفى — وردت السراى الملكية علينا بحل هذا المجلس وارسال لجنة جديدة تقوم بواجبات مجلس النادى المنحل ، فعقدنا اجتماعا سريا عاصفا ، سافر عاطف نصار بعده مباشرة الى القاهرة وعاد الينا صباح ٢٠ يوليو ١٩٥٢ ، بعد أن التقى بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ليقول اننا سنتحرك خلال الايام القليلة القادمة ، وعلينا أن نكون معا حتى يصل لنا التبليغ بساعة الصفر ، وأن نأخذ حذرنا من المفاجآت أو النشاط المضاد .

وفوجئت بقرار نقلى الى مركز تدريب الاشارة بالقاهرة فتمارضت لتأجيل النقل ، وفى اليوم التالى ، ٢١ يوليو ، اتصل الرئيس الراحل بالبكباشى عاطف نصار ليقول له سيصلك موعد التحرك خلال اليوم أو غدا ، أستعدوا .

وأخذنا استعداداتنا بأقصى درجات الثبات والسيطرة وظللنا ننتظر الرسول الذى تبين لنا فيما بعد انه الضابط بالانوار الكاشفة فى قوات الدفاع الجوى بالاسكندرية اليوزباشى أحمد حمروش ، الذى لم يصل لنا على الاطلاق حتى فوجئنا ببيان الرئيس السادات صباح ٢٣ يوليو .

قلت له ، لضابط الاشارة المتقاعد العميد شريف أباظة :

ـ لقد حدث تجاهل عن عمد لدور الاشارة فى ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولما استطعنا النشر عنها عام ١٩٧٢ ، لم ننشر الا دور الاشارة فى القاهرة وسيناء ، وحان الوقت لتروى لى دور ضباط الاشارة بالاسكندرية ليس مجاملة للرئيس السادات كضابط اشارة قديم ، ولكن اكبارا واعزازا لضباط الاشارة أو «حواس الجيوش الخمس» كما يصفها القادة العسكريون العالميون .

ـ هو دور مختصر ولكنه حساس للغاية ، بعد البيان مباشرة ، تحركت بصفتى أقدم ضابط اشارة موجود ، فالمرحوم صلاح حنفى كان فى مهمة بمرسى مطروح ، وتجاوب معى ضباط صغار فى الرتب ، ملازم أول السيد المهدى ، وملازم أول كمال العزب وكيل وزارة الصناعة حاليا ، وملازم أول ابراهيم فايز ، أحد قادة حرب اكتوبر المجيدة بعد ذلك ... تجاوبوا معى وتحركوا دون أن يكون احدهم فى الخلايا السرية ، أو التنظيم ، واندفعوا بكل طاقاتهم وامكانياتهم بعد أن استمعوا الى البيان .

قام « السيد المهدى » بالسيطرة على شبكة تليفونات ثكنات مصطفى باشا للتبليغ عن أى مكالمة أو اشارة ضد الثورة ، وقام «كمال العزب» معى بالسيطرة على قيادة الاشارة بكوم الدكة ، وهذه القيادة كانت القوات البريطانية تستخدمها أيام احتلال الاسكندرية حتى قرب نهاية ١٩٤٦ ، كمركز قيادى على مستوى قواتها المنتشرة فى الشرق الاوسط ، وتركت العزب يسيطر على المركز بعد أن اتخذنا منه قيادة لسلاحنا ، وتحركت مع « ابراهيم فايز » الى منطقة رأس التين لقطع الكابل البحرى الذى يصل القصر الملكى بالاسكندرية

وقد اشترك معنـا « البكباشى أمين حلمى الثـانى » وكان من ضباط الدفاع الجوى ، ثم عدنا الى مركز القيادة بكوم الدكة لنحكم سيطرتنا على جميع التحاويل العسكرية اللاسلكية والسلكية عبر الاسكندرية بأكملها ..

محطة لاسلكى الملك !

وفى كوم الدكة توجد أعلى طابية فى الاسكندرية منذ عهد محمد على الكبير ، وتستخدم كمركز مراقبة لمداخل المدينة من ناحية الميناء ، خلال الحرب العالمية الثانية بواسطة القوات الانجليزية ... وفى قلب المركز ربوة عالية أقام الملك السابق فاروق فوقها محطة لاسلكية لقيادة وتحريك القطع البحرية الملكية ، وقبل الثورة تعبنا من تكرار طلب اصلاح عنابر الجنود بالمركز ... حتى أقام الملك هذه المحطة فوق ربوته ، فقاموا بطلاء وتجديد العنابر ... هذه المحطة أجرى أحرار الاشارة منها أول اتصال بمجلس قيادة الثورة بالقاهرة فى اليوم الاول للثورة ، ومنها تلقت الباخرة المحروسة وهى تغادر الاسكندرية حاملة فاروق مطرودا من البلاد، تلقت أول تعليماتها البحرية أو توجيهاتها ... من هذه المحطة بواسطة قيادة الضباط الاحرار فى المدينة والقوات البحرية .

فى اليوم الاول للثورة وجدنا كضباط اشارة تعاونا كاملا من مهندسى مصلحة التليفونات ، ومن مهندسى الطرق ، وأكثرهم من الاصدقاء القدامى فى لقاءات الفكر والحوار وسهرات الفنون المسرحية أعوام ١٩٥٠ و١٩٥١ و١٩٥٢ ، ولا أنسى صديقا قديما من مهندسى مصر ممن اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية والجولة

الاولى بفلسطين ، البكباشي مهندس محمد أحمد الفزال، الذى ترك الخدمة العسكرية بعد اصابته فى معركة ضد اليهود ، فاستأذنت قائدى البكباشي عاطف نصار فى أن ينضم لنا الفزال بصفته المدنية لأنه يعد الخبير الاول العالم بكل لاسلكى وسلكى المدينة ، وجاء المهندس محمد الفزال وأعطانا جهده وخبرته وكل امكانياته ... واستطعنا السيطرة الكاملة ...

يحضرنى فى هذه المناسبة الملازم أول عبد القادر الزيادى ـ عميد فيما بعد ـ الذى قام بمبادرة منه وأحضر كروكى للشبكة التليفونية فى المدينة والقصور الملكية ، وقدمها لنا ، لأنه سمع صوت البكباشي السادات فى الراديو وكان قد خدم معه عامى ١٩٤٠ و ١٩٤١ .

وعرفنا ان الملك يملك خطا مباشرا مع القاهرة ليس ضمن خطوط الاسكندرية ، وعن طريق هذا الخط اتصل بالسفير الامريكى فى العاصمة .

لقد فوجئنا بشباب جامعة الاسكندرية وأساتذتها يلتفون حولنا منذ اليوم الاول للثورة ، يطلبون القيام بأى عمل فدائى ، فطلبنا اليهم حماية المرافق العامة والسفارات الاجنبية وبيوت العبادة كلها ... ومن هنا نعرف لماذا كان أول تأييد للثورة ، وفى أول يوم لها ، بل وقبل أن ينتصف النهار صادرا من جامعة الاسكندرية .

ولكنه لم يفعل .. !

واستمعت الى السيد عبد الحليم الاعسر ، وهو زميل دفعة الفريق أول محمد الجمسى القائد العام للقوات المسلحة ، والفريق محمد على فهمى رئيس أركان قواتنا ،

ومن أبناء البحيرة التى أعطت عددا كبيرا من الضباط الاحرار ، وضابط مدفعية مضادة للطائرات ، واشترك فى الحرب العالمية الثانية ، وظل بالخدمه العسكرية الى أن أحيل للمعاش برتبة بكباشى فى مايو ١٩٥٦ ، ثم انضم الى جيش التحرير الوطنى بالاسكندرية تحت قيادة البكباشى عاطف نصار ، فور تأميم قناة السويس .

قلت له :

متى رأيت الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لأول مرة ؟

— فى نهاية عام ١٩٤٩ أو بداية عام ١٩٥٠

— أين ؟

— فى بيت صديقى اليوزباشى وقتئذ أحمد حمروش وكان ضابطا بالانوار الكاشفة هنا بالاسكندرية ، حيث كنت أخدم أنا الآخر ، وبدأت علاقتى به منذ ذلك اليوم على مستوى تنظيم الضباط الاحرار .

عدت أقول : كثيرون يعرفون علاقة الصداقة الطويلة الممتدة التى تربط بينك وبين الكاتب السياسى أحمد حمروش حتى اليوم ، وأريد منك شهادة التاريخ بشأن تبليغ الضباط الاحرار فى الاسكندرية بساعة التحرك أو ساعة الصفر ، بواسطة أحمد حمروش ، ذلك الذى لم يصل ولم يره أحد كما ذكر البعض فى القاهرة أو الاسكندرية ، حتى صباح ٢٤ يوليو ، وقيل ٢٦ أو ٢٧ يوليو ...

هل تعتقد أن الرئيس الراحل أعطى حمروشا هذه المهمة ، أم إنه نسى أو تناسى عن عمد ؟

— أعتقد ان الرئيس جمال عبد الناصر كلف حمروشا

بالسفر الى الاسكندرية لابلاغنا بساعة الصفر ، ولكن حمروشا لم يفعل ..

لماذا ؟

ـ لا أعرف !

هل سألته بحكم صداقتكما تبريرا لما حدث ؟

وقال الثائر القديم عبد الحليم الاعسر :

ـ نعم سألته بالطبع ، ولم أتلق منه حتى اليوم جوابا معقولا !

***

فى جلسة اخرى ، سألت الثوار الثلاثة ، عاطف نصار ، وعبد الحليم الاعسر ، وشريف أباظة :

هل تستطيعون تحديد أسماء الضباط الاحرار الذين انضموا للتنظيم قبل الثورة ، وخرجوا صباح الثورة معكم ... هنا فى الاسكندرية ؟

وقال الاصدقاء الثلاثة لى :

ـ أكتب عندك هذه القائمة غير ثلاثتنا بالطبع ...

١ ـ بكباشى مدفعية محمد الشافعى عبد الهادى .

٢ ـ بكباشى مشاة عبد الرءوف نافع .

٣ ـ بكباشى مدفعية صلاح قنصوه «سفير بعدذلك» .

٤ ـ بكباشى طيار عبده سليم .

٥ ـ رائد مشاة عباس محمد عوض الله « مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا حاليا » . !

٦ ـ رائد مشاة أحمد نافع .

٧ ـ رائد مدفعية على فرج .

٨ ـ رائد محمود غراب ـ أنوار كاشفة .

٩ ـ رائد مشاة ابراهيم بغدادى .

١٠ ـ المرحوم ـ نقيب اشارة ـ صلاح حنفى .

١١ ـ نقيب مدفعية محمد أمين فوزى .

١٢ ـ نقيب مدفعية محمد على الوردانى .

١٣ ـ نقيب مدفعية مجدى خليفة .

١٤ ـ نقيب مدفعية مدحت مرسى .

١٥ ـ نقيب طيار كمال عزت .

١٦ ـ نقيب احمد حمروش وحتى ليلة ٢٣ يوليو ، كان واحدا معنا ، ثم أسقطناه من القائمة لدوره غير المفهوم ، ولذلك لم تذكر الوثيقة الرسمية التىأصدرها الرئيس السادات بأسماء أحرار مصر والاسكندرية اسمه على الاطلاق .

وقال الثائر القديم أحمد عاطف نصار :

ـ للتاريخ ، وكما كتبت للرئيس السادات ، من الضرورة أن نذكر ضباطا آخرين لم يكونوا منظمين قبل الثورة ولكنهم تعاونوا معنا بايمان واخلاص منذ اعلانها ، وقد لمس الرئيسالساداتأعمال هذه المجموعة من الضباط حين حضر الى الاسكندرية يوم ٢٥ يوليو، وكنت الى جواره منذ حضوره ورافقته فى مقابلته للمرحوم على ماهر باشا لتوجيه الانذار الى الملك ، وأثنى الرئيس السادات على جهد الضباط الاحرار بالاسكندرية وغير الاحرار الذين شاركونا المهمة ، مثل مدير المخابرات الحربية الملكية ، والسكرتيرالعسكرى

لقائد المنطقة الشمالية العسكرية ، والمهندس بكباشى متقاعد محمد الغزال الذى عمل معنا بصفته المدنية ، وثمة ضابط بالقوات البحرية التقيت به مصادفة وأنا فى طريقى للسيطرة مع رجالى على البوابة البحرية بميناء الاسكندرية الحربى فتعاون معنا بثورية كاملة ... انه النقيب بحرى أحمد السيوفى .

كما ان الأمر اشتمل على مفارقات مثيرة ، فقد فوجئت مساء يوم ٢٣ يوليو بالزميل « الصاغ محمود غراب » بعد أن أقام بدوره معنا ، يخبرنى انه سينفصل منذ هذه اللحظة عن تنظيمنا ، مقتنعا بأنه شارك بواجبه كضابط ، ولما سألته تفسيرا لهذا الموقف أخبرنى بأنه عضو فى تنظيم الاخوان المسلمين ، فأيدته على الفور .

وزميل آخر من المدفعية الساحلية وكان منتدبا بالبحرية ، فوجئنا باسمه بين الضباط الاحرار، وكان يضحك ساخرا معنا من هذه المفاجأة ، قائلا لنا : هل أعترض ؟ هل أطلب رفع اسمى ؟ !

المشاة فى البحرية

كان من الطبيعى بعد ذلك أن أبحث عن دور الضباط الاحرار فى قواتنا البحرية كأعضاء فى تنظيم أحرار الاسكندرية .

لقد ثار سؤال فى بداية الثورة وبعد تشكيل واعلان مجلس قيادتها ... لماذا لا تمثل البحرية بضابط بين أعضاء القيادة ؟

وسؤال آخر : ما هو دور ضباط المشاة الاحرار بين القوات البحرية ، وهم الضباط الذين الحقوا أو انضموا

لسلاح البحرية قبل الثورة مثل عبد الرءوف نافع ، وابراهيم بغدادى ؟

وعبد الرءوف نافع عرفته دور الصحف المصرية قائدا اداريا ممتازا فى نهاية الخمسينات حتى منتصف الستينات ، ثم تقاعد تماما عام ١٩٦٤ عن العمل لعلاقة الصداقة التى كانت تربطه بعبد اللطيف بغدادى !

كان عبد الرءوف نافع منتدبا من ادارة المشاة الى القوات البحرية فى بدء انشائها وتدعيمها وتحويلها الى سلاح مستقل فى نهاية الاربعينات ، وفى تلك المرحلة انضم الى تنظيم الضباط الاحرار بالاسكندرية ، وكان برتبة « بكباشى » مقدم الآن ، واصبح منذ ذلك الوقت مسئولا امام قيادة التنظيم فى القاهرة عن النشاط السرى بين ضباط القوات البحرية وقد التحم فكرا وتعاونا مع زميله البكباشى عاطف نصار ضابط المدفعية الساحلية وقائد التنظيم بالمدينة ، وعملا معا متقاربين مع بقية أعضاء التشكيل من صغار الرتب فى المدفعية أو البحرية أو المشاة أو الاشارة فى انحاء الاسكندرية والصحراء الغربية — فضلا على الطيران فى قاعدة الدخيلة .

وعبد الرءوف نافع من أبناء الدقهلية ، وقد ارتبط بصلة صداقة وزمالة ودراسة بالسيد عبد اللطيف بغدادى عضو مجلس قيادة الثورة كما ذكرت ، خلال المرحلة الثانوية بالمنصورة ، حتى التقيا بالمدرسة الحربية التى ضمت كلاهما فى فترة واحدة مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وقائد الجناح المرحوم جمال سالم ، زميل دفعة عبد الرءوف نافع ، وهى تسبق دفعة جمال عبد الناصر مباشرة ، وقد التحق بالكلية قبل

تخرج هؤلاء الضباط ، الطالبان المرحومان عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، وكونوا شلة واحدة ...

قال لى اليكباشى عبد الرءوف نافع :

ـ لقد قضيت عاما بكلية التجارة قبل قبولى بالمدرسة الحربية ، ثم جاء الطالب جمال عبد الناصر وتزاملنا ..

كنت أراه منطويا يميل الى العزلة ، وكثيرا ماحاولت دفعه الى الالتحام بشلتنا ، وشعرت دائما بأنه يهتم بى ويحمل لى اعزازاً وودا ، فتقاربنا .

ثم تخرجت دفعتى قبل دفعته ، وجاءت لقاءاتنا بعد ذلك عبر المصادفة وحدها .

فى منتصف الاربعينات أو قبلها لا اذكر الآن ، التقيت به فى الكتيبة الثالثة مشاة بأبى زعبل ، وتسلمت منه رئاسة أركان حرب الكتيبة حيث نقل هو الى كتيبة اخرى ، بعدها نقلت الى ادارة الصيانة ، ونقل اليها أيضا بعدى المرحوم صلاح سالم ، وكنت صديقا لشقيقه الاكبر جمال سالم ونتزاور عائليا ، وفى بداية عام ١٩٤٩ ، نقلت الى الكتيبة السابعة مشاة بالاسكندرية ، وكان قائدها فى ذلك الوقت المرحوم بكباشى على على عامر ـ الفريق أول فيما بعد ـ وقد نقلت الكتيبة الى رفح ، ثم عادت لتتمركز فى الاسكندرية والتقى من جديد بالبكباشى جمال عبد الناصر فى بداية عام ١٩٥٠ .

كان يعمل مدرسا بمدرسة الشئون الادارية للجيش بالقاهرة ، وقد جاء على رأس بعثة من ضباط أو طلبة المدرسة لزيارة رسمية ميدانية لكتيبتنا ، واقاموا فى نادى الضباط بمنطقة السلسلة حيث كنت أقيم أيضا ، وفوجئت به ينفرد بى ويدور حديث متشعب بيننا

حول الحركة الوطنية فى المدينة التى ضمت عددا ليس بقليل من أساتذة الجامعة « جامعة الاسكندرية » وطلبتها ، وقد التحم بهم عدد آخر من الضباط زملائنا أصحاب الفكر الوطنى الناضج ، وهى حركة كان لها قدرها من النشاط وحجمها الذى شعرت به قيادة تنظيم الضباط الاحرار بالقاهرة ، وفىمقدمتهم البكباشى جمال عبد الناصر .

وقبل أن تنتهى جلستنا فاتحنى فى أمر انضمامى للتنظيم ، فوافقت على الفور .

سؤال اعتراضى : هل كنت تعرف مسبقا بوجود هذا التشكيلالسرى فى الجيش بالقاهرة أوالاسكندرية؟

ـ كنت أعرف من خلال صداقتى لعبد اللطيف بغدادى ، والمرحومين جمال ، وصلاح سالم ، وعبد الحكيم عامر ، ان هناك نشاطا تحت الارض يقوم به بعض الضباط تذمرا من الاوضاع السائدة وقتها .

قلت له : قيل ان الرئيس الراحل والمرحومين عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، عملوا بواسطة مكتب شئون الضباط بالقيادة ، وباستغلال صلة القرابة التى تربط بين المرحوم حيدر باشا القائد العام ، والصاغ عبد الحكيم عامر ، عملوا على نقلك الى القوات البحرية بعد انضمامك لخلايا الضباط الاحرار كىتكون ممثلا للتنظيم السرى فيها انت واليوزباشى ابراهيم بغدادى محافظ القاهرة السابق ... ما صحة هذه المعلومات ؟

ـ هذه المعلومات ليست صحيحة ، لقد نقلت الى القوات البحرية عام ١٩٥١ بترشيح من ضباط البحرية أنفسهم ، نتيجة علاقات صداقة ربطتني بهم خلال

خدمتى بالاسـكندرية ، وكانت البحرية قد خططت لمشروعات تطوير طموحه وقتها من بينها انشـاء قوات مشاة للبحرية .

ولقد اغتبط الرئيس عبد الناصر لهذا القرار، وعملت من جانبى على تكوين رأى عام بين ضـباط البحرية مؤيدا لأفكارنا كما حرصت على ايجاد صلة صـداقة وترابط متصل ودائم بينى وبين عدد ليس بقليل من ضباط البحرية كنت أضع عينى عليهم منذ انضممت للبحرية ، وكانوا خير الرجال صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، أداء وأسهاما فى ارساء وتثبيت الثورة .

لـكن ... لم تفاتح احدا من ضباط البحرية بشكل مباشر لـكى ينضم للضباط الاحرار ، قبل الثورة ؟

ـ لا ، بشكل مباشر .. لم يحدث .

الم يطلب منك الرئيس الراحل القيام بهذه المهمة ، حتى يكون للتنظيم السرى قاعدة فى القوات البحرية ؟

ـ لم يطلب هذا ، كان مكتفيا بايجاد علاقات صداقة قوية بيننا كضباط جيش، وبين بعض ضباط البحرية ، فضلا على اعتقاده بأن البحرية سـلاح الملك ، ومن الصعب تجنيد أحدا من ضـباطها ، لأن تشكيلنا سينكشف بالضرورة .

من المعروف ان شقيقك ضابط المشاة الرائد احمد نافع ، كان من بين الضباط الاحرار بالاسكندرية ، هل قمت بتجنيده ؟

لا ، جاء أحمد عام ١٩٥١ بين ضباط اللواء الأول مشاة ليتمركز فى ثكنات مصطفى باشا بالاسكندرية ،

وكان معه المرحوم عبد القادر مهنا « مدافع ماكينة » من الضباط الاحرار أيضا ، وهما صديقان ، وأعتقد ان المرحوم عبد القادر هو الذى جند شقيقى أحمد .

هل كان ثمة تعاون بينك وبين المقدم عاطف نصار، قائد تنظيم الضباط الاحرار بالاسكندرية ؟

ــ هذا شيء طبيعي ولقد اخترنا « عاطف » قائدا للتنظيم بالاسكندرية لأنه أقدم رتبة ، وأكبر سنا ، ومحبوبا من جميع الضباط ، وأذكر اننى طرحت ضرورة اجماعنا على هذا الاختيار صباح يوم الثورة ، بشكل رسمى .

بالنسبة لدور اليوزباشي أحمد حمروش ورسالة جمال عبد الناصر التى حملها لكم بموعد التحرك وعدم وصوله الاسكندرية... تردد انه لم يظهر فى الاسكندرية الا صباح يوم ٢٤ يوليو ، وقيل صباح ٢٦ أو ٢٧ يوليو ١٩٥٢ ، هل تذكر متى رأيته ؟

ــ ظهر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بمكتب قائد المدفعية المضادة للطائرات بالاسكندرية ، ولم يذكر لنا شيء عن هذه الرسالة ، كما لم نعلم بها الا بعد الثورة بفترة ، ومن خلال حديث ولقاء مع الرئيس الراحل .

متى تركت القوات البحرية ؟

ــ تركتها الى رفح ثم العريش بعد الثورة مباشرة ، للاسهام فى عملية تامين كتائب القوات المتمركزة فى سيناء ، ثم عدت الى البحرية مرة أخرى فى سبتمبر ١٩٥٢ ، لأعمل مديرا لمكتب قائد القوات البحرية ، المرحوم الفريق أول سليمان عزت ، وقد وقع عليه الاختيار لتولى هذا المنصب فى نفس الشهر ، سبتمبر

١٩٥٢ ، وظللت هناك حتى منتصف عام ١٩٥٤ حيث نقلت الى رئاسة مجلس الوزراء .

لقد قيل ان المرحوم الفريق أول سليمان عزت حاول معاونة الملك فاروق والاتصال به عن طريق لنش بحرى أراد قيادته صباح اليوم الاول للثورة ، فقام بعض أحرار المدفعية الساحلية بمنعه ... ما صحة هذا الكلام ؟..

ـ أعتقد ان هذا لم يحدث ..

نعود الى المشاة فى البحرية ... ما هو دور السيد ابراهيم بغدادى محافظ القاهرة السابق فى القوات البحرية ؟

ـ لقد نقل معى عام ١٩٥١ ، الى القوات البحرية وكان ضابطا نشطا كثير الاتصالات .

هل نقل الى القوات البحرية عن طريق الرئيس الراحل لدور ما يقوم به فى الاسكندرية ؟

ـ لا.. نقل الى القوات البحرية عن طريق «والده» فقد كان موظفا كبيرا فى السراى الملكية ، وفى امكان الاخ ابراهيم بغدادى أن يروى لك بنفسه تفاصيل تلك المرحلة ، فثمة علاقات كانت تربطه بالرئيس الراحل لم نكن نعرف عنها شيئا .

بغدادى يتكلم ..

وذهبت الى لقاء السيد ابراهيم بغدادى ضابط المشاة ، ومحافظ القاهرة سابقا ، وأحد كبار رجال ادارة المخابرات العامة حتى منتصف الستينات حيث نقل بعدها للحكم المحلى محافظا لكفر الشيخ ثم القاهرة .

من مواليد ١٩٢٥ بالقاهرة ، أبوه المرحوم مصطفى

بغدادى كان يشغل وظيفة مدير مكتب كبير الياوران الملكى ، ثم مديرا لهيئة البريد بعد الثورة ، تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤٥ ، وكان أول دفعته وعمل ضابطا بسلاح المشاة .

روى لى الرجل وهو طريح الفراش اثر حادث تصادم فى نهاية يناير ١٩٧٧ ، مستعيدا أحداث الماضى ...

ـ التقيت بالرئيس الراحل عام ١٩٤٣ ، كان يدرس لنا مادة الاسلحة الصغيرة والاشارة بالكلية الحربية ، وأحسست به يعاملنى بعطف خاص ، وقد أعجبت به كضابط معلم ، وتوطدت علاقتى به حتى انه طلب منى أن أزوره فى بيته يوم تخرجت فى الكلية الحربية ومعى زميلى الطالب لواء فيما بعد فتحى بيومى محمد ، فقد كان معجبا به أيضا ، وشدد على أن نظل على اتصال مستمر به باعتبارنا من تلاميذه الاوائل .

والتحقت بالكتيبة الاولى مشاة فى منشية البكرى ثم رحلت مع زملائى لاستلام قشلاقات مصطفى باشا بالاسكندرية من القوات الانجليزية عام ١٩٤٦ ، ثم التحقت بسلاح المهندسين عام ١٩٤٧ ، ولم تنقطع صلتى بالرئيس الراحل وكنت أزوره كثيرا بالمنزل رقم ٢١ ، شارع الجاولى المتفرع من أحمد سعيد حاليا بالقاهرة منطقة العباسية .

وفى مارس ١٩٤٨ ، رحلت مع كتيبتى الاصلية الاولى مشاة الى العريش ، ثم الى الفالوجا ابتداء من ١٤ مايو بقيادة المرحوم العميد السيد طه أو الضبع الاسود كما لقبوه بعد ذلك ، وفى الفالوجا كان الاتصال مع الرئيس الراحل فى الكتيبة السادسة مشاة بعراق المنشية قطاع الفالوجا ، متصلا ووثيقا ...

وعدنا من الجولة الاولى فى فلسطين لتقوم القيادة القديمة بتوجيه من الملك بتوزيعنا على مناطق متفرقة متباعدة لاحساسها بالسخط المكبوت فى صدور الضباط والجنود ، وكان نصيب كتيبة الرئيس الراحل « ك ٦ مشاة » منطقة القرش فى شرق سيناء ، ونصيب كتيبتى الاولى مشاة منطقة منقباد فى أسيوط .

وفى منقباد قمت مع بعض الزملاء الثوار بطباعة منشور ثورى على ماكينة طباعة أحضرناها من فلسطين ، وكان المنشور بعنوان « ثورة الجيش » ووزعناه على ضباط وركاب القطار القادم من أسوان فى طريقه الى العاصمة ...

ومرت الايام ، وازداد حماسي للعمل الثورى ، وشعر أبى بما أقوم به ، فاستغل منصبه كمدير مكتب كبير الياوران الملكى وعمل على نقلى للقوات البحرية بالاسكندرية ، حتى أكون بعيدا عن جو ومناخ التآمر على الملك فى القاهرة ، بهدف حمايتى من التورط فى مثل هذا النشاط !

سؤال : ألم يكن لعبد الناصر اى صلة بهذا النقل ؟

ـ لا ، ولكنى استخدمت موقعى الجديد وبتوجيه من الرئيس الراحل فى تجنيد بعض ضباط البحرية وهم الاسماء التى ظهرت فى كشف الضباط الاحرار الذى أصدره الرئيس السادات ، فضلا على ضباط بحرية آخرين لم يرد ذكرهم .

تردد انك كنت تقوم بمهمة ضابط المخابرات الخاص لتنظيم الضباط الاحرار فى مدينة الاسكندرية لحساب الرئيس الراحل قبل الثورة ..

ـ والى ما بعد الثورة بفترة ليست قصيرة أيضا .

عدت أسأل : قيل ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر زاركم بالاسكندرية قبل الثورة بأسبوع تقريبا واجتمع بكم فى « التريانون » وأخبركم بأنه سيرسل لكم بموعد التحرك مع اليوزباشى احمد حمروش .. هل حدث هذا ؟

ـ حدث هذا فعلا ، ولكن حمروش لم يظهر فى الاسكندرية الا صباح يوم ٢٤ يوليو ، وليس ٢٣ يوليو أو ٢٥ يوليو .

ولقد كنا كضباط ثوار بالاسكندرية مثال الثبات والمقدرة والتعاون المتألق بين ضباط المدفعية الساحلية والبحرية والمشاة والاشارة ، وأساتذة وطلبة جامعة الاسكندرية ، خلال الايام التاريخية الاربعة التى انتهت بخروج فاروق وبداية مرحلة جديدة فى تاريخ مصر ...

وما بعد يوليو ... ؟

وتمضى الايام ... ويأتى فجر ٢٣ يوليو الخالد على مدى التاريخ ، وينجح ثوار يوليو فى تطبيق خطتهم بالقاهرة والاسكندرية الى جانب سيناء ، رغم المفاجأة التى واجهها أحرار الاسكندرية حين علموا بالثورة بعد أن قامت فى القاهرة عن طريق الراديو، وسماعهم للبيان « رقم ١ » بصوت الرئيس أنور السادات ، فتحركوا على الفور ..

ويأتى يوما ٢٥ و ٢٦ يوليو، أخطر أيام الثورة حسما ومصيرا ، ويسافر اللواء محمد نجيب والرئيس أنور السادات بطائرة حربية أقلعت من مطار هليوبوليس..

ويقول الرئيس السادات فى ذكرياته التى أذيعت يوم ٢٥ ديسمبر من العام الماضى ١٩٧٦ « هذا المطار أقاموه الانجليز منذ زمن بعيد ، مكانه الآن أو فوق أرضه منزل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر » ..

وطار الرجلان الى الاسكندرية... وقد تردد كما ذكرت من قبل ان هذه الطائرة كانت معدة بواسطة بعض قادة الثورة للنجاة بها فى حالة فشل الثورة لا قدر الله ، وهذا تخطيط يدل على الاقتدار والسيطرة واعتماد الثورة على قاعدة بشرية عسكرية عريضة داخل كل أسلحة الجيش قبل قيامها ونجاحها .

ودارت العجلة كما هو معروف ونشر كثيرا من قبل عما حدث يومى ٢٥ و ٢٦ يوليو ، وجاء الاسكندرية بعض ثوار القاهرة مثل البكباشى المرحوم يوسف صديق وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين وعبد المنعم أمين أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد ذلك ، وأحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ مشاة ، وأنضم اليهم البكباشى عبد المنعم عبد الرءوف الذى كان قد استقال قبل عدة أشهر من عضوية الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار بناء على رغبة الاغلبية من الاعضاء ، ثم التقى بالرئيس الراحل قبل الثورة بيوم واحد ، ولم يرد عبد الناصر أن يحول بين عبد المنعم عبد الرءوف كضابط وليس كعضو فى جماعة الاخوان المسلمين وبين الاسهام فى ثورة يوليو ، فوافق على أن يسافر الى الاسكندرية مع قوات المشاة والمدفعية لتدعيم القوات فى الاسكندرية وحصار قصور الملك وضرب أى تهديدات مضادة مصرية أو أجنبية ..

جاء هؤلاء الثوار الى الاسكندرية ، وكان فى استقبالهم

البكباشي أحمد عاطف نصار قائد تنظيم الضباط الاحرار بالمدينة وزملائه أعضاء التنظيم فى المنطقة العسكرية الشمالية الذين ذكرت أسماءهم فى الصفحات السابقة ... واستمرت السيطرة الثورية تنمو ساعة بعد أخرى حتى غادر الملك فاروق البلاد ، وبدأت فترة جديدة من التاريخ ..

***

وفى هذه الصفحات أعود الى البكباشي أحمد عاطف نصار ، ليحدثنى عن مرحلة ما بعد ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، وبداية عصر الثورة ، وعما حدث على مستوى الاسكندرية وأحداثها تلك التى لم يكتب لها ان تنشر حتى الآن ، وهى فترة تبدأ بالنسبة للثائر القديم عاطف نصار ، بخروج الملك فاروق وتنتهى عند ابريل ١٩٥٧ ، حيث قبضوا عليه ، ويصدر الحكم بالاعدام ثم السجن المؤبد ، حتى يسأل عنه كما قلت فى بداية هذا الفصل الزعيم الهندى جواهر لال نهرو ، فيفرج عنه بعد ثلاثة أشهر ويعود للاسكندرية ويعمل بالمحاماة الى اليوم ...

قلت له : لماذا بقيت بالاسكندرية بعد يوليو ١٩٥٢، ولما لم تعد للقاهرة للاشتراك مع القادة من زملائك والاسهام فى احداث الثورة وتطوراتها ؟ !

وبصراحته المعروفة عنه أجابنى الرجل :

ـ لم يكن فى الذهن أبدا اننا سنتولى الحكم لنحكم الى الابد،كنا نعرف جميعا كثوار اننا لن نقم الا بالتمهيد لاقامة حكم شرعى دستورى فى البلاد ، ثم نعود الى ثكناتنا ... كان هذا فى يقين كل من خرج الى الثورة ، ولذلك فضلت البقاء فى الاسكندرية ...

وللحقيقة والتاريخ فقد عرض على كل من اللواء محمد

نجيب ، والرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، أن أنتقل للعمل معهم فى القيادة بالقاهرة ، ولـكنى فضلت مخلصا البقاء فى الاسكندرية لاستمرار دورى فى حماية وتأمين الثورة من خلال سيادة الامن فى المدينة ، بدلا من أن يعهد بهذه المهمة الى ضابط آخر ربما من القاهرة ليس له خبـرتى والتحامى بجماهير وقوات الاسـكندرية ، واقتنع الرجلان برأيى وبقيت .

سـألته : ألم يدر بذهنك انهم ربما يقومون بتكوين مجلس قيادة فى القاهرة قد لا يضمك ؟

ـ بصراحة ... لا ، كان لنـا نقاؤنا كثوار جـدد

كنا نعمل ٢٠ ساعة فى اليوم وأحيانا أكثر والفرحة تملأ المدينة ، ولقـاءات مستمرة بكل الهيئات والافرع العسكرية ، ولـكنى فوجئت قبـل منتصف اغسطس ١٩٥٢ بتكوين مجلس قيادة الثورة ، واسمى ليس بين أعضائه ، وقد توقفت قليلا عند تشكيل المجلس، لكنى لم أغضب ، لعلمى اننى المسئول عن الاسكندرية .

ولـكن ... ما عرفنـاه كصحفيين كنا نتردد على مجلس قيادة الثورة تلك الايام ، ان الرئيس الراحـل وبتأييد من اللواء محمد نجيب وبقيـة أعضـاء مجلس القيادة فى القاهرة ، أرسل عدداً من الضبـاط برتبـة بكباشى وأحيانا صاغ للعمـل فى الاسكندرية والسيطرة عليها بجانبك .. ما تعليقك ؟

ـ حدث هذا فعلا ، لم يرسلهم لابعادى أو عزلى ، ولـكنهم جاءوا وتعاونوا معى ، فقد تضخم حجم العمل العسكرى بالمدينة كما تعددت المسئوليات ..

قيل أيضا انه حين ألقى القبض على ثائر المدفعية القديم السيد رشاد مهنا الوصى على العرش وبعض ضباط المدفعية والفرسان فى يناير ١٩٥٣ ، كان لك موقفا مؤيدا لهؤلاء ، ممن جعل القيادة فى القاهرة تعيد حساباتها بالنسبة لك ببطء وعلى مهل ... ما رأيك ؟

ــ صحيح كنت متعاطفا مع الاخ الكبير رشاد مهنا ومعه بقية زملائى فى المدفعية أو الفرسان ، ولكنى لم أكن مؤيدا ، وفرق بين التعاطف والتأييد ، فالتأييد بالنسبة لى وفى موقعى يعنى التحرك عسكريا للدفاع عنهم ، وهذا لم يحدث ، أما التعاطف فقد نبع من الصدمة ، اذ لم يكن فى تصور أحد منا ان الثورة ستقبض على بعض أبنائها الضباط وتلقى بهم الى سجن الاجانب أو السجن الحربى بملابسهم العسكرية ، فضلا على ان بعضنا كان يردد ، ليس هناك انقلاب أو تمرد ... كل ما فى الأمران هؤلاء الضباط رفضوا أن يتحولوا الى ضباط لا حول لهم ولا قوة ولا رأى ، وهم قاعدة أو طليعة الثورة ، فتقرر القبض عليهم لارهاب الباقى !

ويهمنى أن أقول ان حكاية تعاطفى مع رشاد مهنا وزملائه لم يفاتحنى فيها أحد ، ولم يشر اليها أحد كبير أو صغير الا فى عام ١٩٥٥ ، وحديث يدور بينى وبين الرئيس الراحل بعد عودته من باندونج ، وكنت قد استقبلته فى الهند !

متى ذهبت للعمل فى الهند ؟

ــ بعد أزمة اللواء محمد نجيب مع أعضاء مجلس قيادة الثورة فى فبراير ١٩٥٤ ، كان موقفى واضحا ،

فقد اعلنت عن تأييدى لفكرة عودة الجيش الى الثكنات ، وفى هذه المرة أيدت بالمشاعر والعواطف فقط ، علانية وليس فى الكتمان فهذه طبيعتى ، وآلتقيت بالرئيس الراحل وقال لى انه يريدنى أن أعمل ملحقا عسكريا بسفارة مصر فى الهند ، لأن الانجليز رفضوا أن يمدونا بالسلاح ، وامريكا فعلت نفس الشيء ، وواجبى أن أحصل سريعا على أى كمية سلاح من الهند ، وربما أنجح فى هذا العمل الحيوى بالنسبة لثورتنا ، فرحبت على الفور ..

لحظة ، ألم تتخيل ان هذه المهمة تهدف الى إبعادك عن البلاد ، بعد موقفك من « رشاد مهنا وضباط المدفعية » عام ١٩٥٣ ، ثم موقفك من « محمد نجيب عام ١٩٥٤ ؟ » .

ــ بصراحة لا ــ لم يكن لدى سوء ظن بالرفاق القدامى وعبد الناصر كان أحدهم ، فضلا على صدق روابته الخاصة بضرورة تسليح جيشنا ، وموقف لندن وأمريكا

وقال لى الثائر القديم عاطف نصار مستطردا فى حديثه :

ــ لقد اقتنعت بأن مهمتى الجديدة كملحق عسكرى فى الهند هى مهمة وطنية ، وان جيشنا فى حاجة الى السلاح ، فقبلت التكليف وسافرت على الفور ..

وفى الهند وجدت مناخا طيبا ، فعملت على توطيد علاقاتى بالسفراء العرب والاوربيين ، فضلا على المسئولين الهنود ، كما حرصت على لقاء جميع الزعماء الافريقيين الذين كانوا يزورون الهند وبلادهم لم تستقل بعد ، واقمت صداقات مع جميع القيادات العسكرية الهندية

حتى تلك التى كان يسيطر عليها كبار الضباط الانجليز، واستطعت ايجاد قناة تصل بين الضباط المصريين فى القاهرة وبعض المعاهد العسكرية العليا فى الهند ، رغم العقبات التى وضعها فى طريقى عدد من القادة الانجليز، وزللتها بواسطة علاقاتى الطيبة بالهنود ، كما أقمت علاقة صداقة بكل من سفيرى الصين ، والاتحاد السوفييتى فى نيودلهى ، وحضرت حفلات استقبال كثيرة حضرها الرئيس نهرو ووجدته يولينى اهتماما وعطفا خاصا ، كل هذه العوامل كانت مقدمة طيبة سهلت لى لقاء عمل مع الرئيس نهرو الذى ارتبطت به عن طريق التفاهم والتعاطف والحب ، وقال لى الرجل الكبير ذات مرة :

ـ « اننى معجب ليس بنشاطك العسكرى الدبلوماسى الواسع الذى أسمع عنه بل بنشاطك بين جماهير الهند نفسها . »

وعلى الفور أرسلت لنا الهند كميات ليست قليلة من المدفعيات والاسلحة الخفيفة ، ولم يعلن عن ذلك حتى اليوم ..

صفقة السلاح الروسية !

ويستطرد العقيد أحمد عاطف نصار فى حديث الذكريات فيقول :

ـ بعد وصول الاسلحة الهندية الى مصر تلقيت دعوة من السفير السوفييتى للعشاء على مائدته ، وكان معى السيد عبد الرحمن حمدى المستشار التجارى بسفارتنا ، وهو شقيق فنان السينما عماد حمدى ،

ووجدتها فرصة للحديث عن أمريكا وانجلترا ومصر ، وروسيا ، وامكانيات قيام تعاون بين الاتحاد السوفييتى ومصر ، دون قيود أو شروط كالتى تطالب بها أمريكا أو انجلترا ، ما دامت القاهرة وموسكو تعلنان معا انهما ضد المصالح الاستعمارية ، واستمع السفير السوفييتى لى جيدا ، خاصة حين تحدثت عن علاقة مصر بحركة التحرر الافريقى النامية ، وضرورة تأييد روسيا لهذه الحركة المناهضة للاستعمار ...

ومرت عدة أسابيع ، وعاد السفير السوفييتى فى الهند يقول لى :

ـ « اننى كتبت بكل ما دار بيننا الى موسكو وهى تسألنى الآن ما هو السبيل لتحقيق التعاون الذى أشرت اليه بيننا وبينكم ؟ » .

وشرحت له أفكارى وتصورى ، ووضعنا خطة عمل ، ومضى شهر بعد ذلك ، وجاء الرجل مرة ثالثة واستمعت الى حديثه :

ـ « لقد نسقنا العمل ليكون قائما بينك وبين سفير الصين فى الهند ، حتى لا نظهر فى الصورة فنؤلب علينا أمريكا قبل أن نفعل شيئا ايجابيا ، كما أن تعاوننا مع حركة التحرر الافريقى وتأييدها سيكون عن طريق القاهرة ، وبكين رحبت بالخطة . »

وكتبت بكل ما دار الى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وتنقلت بين نيودلهى والقاهرة ، واجتمعت بالسفير الصينى فى الهند عدة مرات حسب الخطة ، وطلبنا من القاهرة موافاتنا باحتياجاتها من السلاح ،

وعلم الرئيس نهرو بكل خطواتنا وباركها ، ولكن القاهرة لم ترد بغير ضرورة الانتظار قليلا ، وقد انتظرت طويلا، حتى ان السفير الصينى فى الهند قال لى ذات لقاء :

ـ هل تعلم شيئا ، ان السيد شواين لاى بعث يسألنى ماذا عن القاهرة ؟ ! لماذا هذا الصمت من جانبها وما تبريره ؟ !

وأرسلت بكل هذه الانباء الى الرئيس الراحل ، والموقف كما هو ، وكأننى أراسل المجهول !

وذهب عبد الناصر الى باندونج حيث اشترك فى المؤتمر التاريخى عام ١٩٥٥ ، وعاد من باندونج الى الهند فوجد الشعب الهندى فى استقباله والزينات تملأ الشوارع التى سيمر بها ، وعدد من الصحفيين الهنود ذوى الشهرة العالمية يطلبون لقائه ، وكانت أول مرة يخرج فيها عبد الناصر من مصر ، ويجد هذا الاستقبال الجماهيرى الرائع فى انتظاره ... بعدها وقع أمران لم اعرهما اهتماما أو انتباها فى أول الأمر ، حين انفردنا بالرئيس نهرو ، سأل عبد الناصر فى حسن نية وانفعال بما رآه ولقيه :

ـ « ما هذا الاستقبال الجماهيرى الضخم ... هل الشعب الهندى يعرفنى الى هذا الحد ؟ » .

وقال « نهرو » فى خبث وهو يشير نحوى :

ـ « اسأل ملحقك العسكرى، ان له جيوبا واتصالات فى شوارع وأحياء الهند لا تعرفها الحكومة الهندية ! »

ونظر جمال عبد الناصر لى نظرة لم أستطع تفسيرها تلك اللحظة ... نظرة امتنان ممزوجة بالدهشة والغيظ والرفض لما يسمعه ، وكان رحمه الله يملك هذه النظرة!

الأمر الثانى وقع وكنا نغادر أحد المساجد الهندية بعد تأدية الصلاة ، واذا بالجماهير من مسلمى الهند تتقدم منا وتحوط عنقى بعقود الورد ... تفعل هذا معى فقط دون الرئيس الراحل ، وعبثا حاولت أن أصحح لهم أمام الزحام المتدفق علينا ..

وحين انفردنا ، الرئيس عبد الناصر وأنا ، قال لى حانقا :

ـ « هم فاكرين انك انت رئيس مصر والا ايه ؟ ! »

وقلت له بصراحتى البشعة :

ـ « وكيف سيعرفونك وانت رئيس حديث ولم تخرج من مصر قبل اليوم ، وتزور الهند لأول مرة ، لقد اختلط عليهم الامر ، سوء فهم ، ولأنهم يعرفوننى أكثر ، كرجل يعمل فى الهند وضعوا عقود الورد حول عنقى بحسن نية طبعا .. »

وترك تعليقى كما تبينت بعد ذلك أثرا سيئا لدى الزعيم الراحل الذى حدثته حديث الزميل للزميل أو الصديق القديم للصديق ، بلا كلفة ناسيا انه أصبح الآن رئيسا لمصر ، ليس عن عمد ، بل هو نسيجى البشرى الذى لم أستطع أن أستبدله بنسيج آخر !

وفاتحنى الرئيس جمال عبد الناصر « معاتبا » فى قصص مختلفة ، قال انها بلغته ، حول وقوفى الى جانب الصديق القديم رشاد مهنا فى يناير ١٩٥٣ ، ولأول مرة يدور مثل هذا الحديث بيننا ، كما ناقشنى فى تأييدى للواء محمد نجيب ، ولم أكذب بطبيعة الحال فصارحته بكل ما وقع منى ..

وتشعب الحديث فتحدثنا عن السلاح والهند والصين والاتحاد السوفييتي ، ورويت له تفاصيل قصة التحاق دفعة من ضباط القوات البحرية المصرية بكلية الاركان البحرية الهندية بعد أن اعتذر قائدها الانجليزى رسميا عن قبول الدفعة لعدم وجود أماكن ، ثم اضطر لقبولها حين قدمت له كشفا بالاماكن الشاغرة فى الكلية ، الى جانب تدخل القادة الهنود من أصدقائى ..

وقال عبد الناصر لى :

ـ « أما عن مسألة السلاح فقد تحدثت فيها مع الرئيس الصينى شواين لاى فى باندونج واتفقنا على التفاصيل ، وكل الخطوات القادمة ، وستعود معى ياعاطف الى القاهرة ، لكى نضع وندرس احتياجات قواتنا من السلاح ، وسيكون اتصالك بى مباشرة حتى لايكون هناك تعطيل أو ابطاء ... »

وعدت معه الى أرض الوطن ..

وحاولت أن أنفذ توصيته لى ، بأن يكون اتصالى به مباشرة ، ولكننى لم أستطع رؤيته أو لقائه ، حجبته عناصر مراكز القوى وهى فى بداية تكوينها ، وبقيت فى القاهرة أربعة أسابيع بلا عمل ، ففضلت السفر الى الاسكندرية مؤثرا الابتعاد عن دائرة نفوذ « البرامكة الجدد » الذين التفوا حوله ، وأخذوا ينشرون دائرة سيطرتهم تدريجيا ..

وفى الاسكندرية فوجئت بالرئيس الراحل يطلبنى تليفونيا فى بيتى ، ولم أكن موجودا ، وحين عدت واخبرونى بالمكالمة ، قلت لابد أنه حصل على احتياجاتنا من السلاح ، وانه سيكلفنى بالسفر فورا الى الهند ،

وعندما تحدثت معه ، استمعت الى مفاجأة جـديدة لم تكن فى حسابى قط ..

المعاش والعمل السياسى !

قال لى عبر التليفون :

ــ ياعاطف أنا فكرت فيك وشايف انى محتاجك للعمل السياسى بجانبى ، وعشان كده حتحال للمعاش !

وسألته عن موضوع السلاح فأجاب :

ــ انس هـذه الحكاية ، لأننى اتصلت بالسوفييت مباشرة ..

كانت مفاجأة بالنسبة لى ، لم أشعر بها الا بعد نهاية المكالمة ... ثم وجدت انه من الانسب أن أنسى الموضوع بأكمله ، السلاح والمعاش ، خاصة وان زوجتى أصيبت بمرض واضطررت الى مرافقتها للعلاج فى سويسرا ثم عدت الى الاسكندرية ..

والتقيت بالرئيس الراحل وفهمت منه انه رشحنى لكى أكون مساعداً له فى قيادة الاتحاد القومى مسئولا عن الوجه البحرى ... ولم أعترض وبقيت أنتظر دون نتائج ..

وقام عبد الناصر بتأميم القناة ، ووقفت بكل حواسى وامكانياتى الشخصية بجانبه ، وعهد لى بتكوين جيش التحرير الشعبى وقيادته مع زملائى القدامى من الضباط الاحرار وغيرهم ، فقد وضح فى ذهن عبد الناصر وكلنا أيدنا هذا التحليل ان انجلترا وفرنسا لن تقفا بالصمت أمام تأميم القناة ، وان اسرائيل ستستغل هذا الوضع لحسابها ، وشرعنا فى وضع خطة عسكرية للحيلولة بين

اي قوات معتدية ومحاصرة الاسكندرية او غزوها من الصحراء الغربيةعلىأساسان القوات المعتدية قد تهبط بالمظلات فوق الساحل الشمالى الغربى ، ثم تصل الى الدلتا فالقاهرة .. الى جانب خطط أخرى وضعت لدى عبد الناصر حول تأمين مدن منطقة القناة الثلاث ، وهى بعيدة عن دائرة اختصاصى أو مهمتى ..

وأخذت انا وزملائى فى الاسكندرية نخطط لواجباتنا تخطيطا عمليا ، بدأنا أولا بفحص امكانيات المدينـة ، ووضعنا فى حسابنا اننا قد نحارب حربا شعبية وربما تستمر ستة أشهر ، لـكى نحول بين القوات المعتدية والوصول الى الدلتا او حصار الاسكندرية كما قلت ، ووضعنا أيضا فى حسابنـا اننا سنحارب فى الصحراء الغربية الشمالية ، ففكرنا فى تسليح العرب والبدو من سكان الصحراء وشرح الاحتمالات لهم ، ثم تسـليح شباب الاسكندرية جنود جيش التحرير الشعبى ..

كانت الخطة شاملة لتوفير كل ما يخطر على البال..

مواد تموينية ـ وقود ـ خبز ـ أدوية ـ ملابس ـ اغطية ـ ذخيرة ـ سلاح ـ تدريب مستمر ـ قياذات فرعية للأحياء ـ نشاط وطنى ناضـج أظهره جميـع الضباط الاحرار وغيرالاحرار ـ ضباط القيادة الشمالية العسكرية أظهروا تعاطفهم وتعاونهم معنا بكل امكانياتهم، وأخذت اجتماعاتنا تنعقد يوميا كى نتابع تطبيق خطتنا على الواقع ... ولـكنى فوجئت بما لم أكن أتوقعـه هذه المرة أيضا !

فوجئت بعراقيل فى طريقنـا تفتعلها هيئة التحرير بقيادة المرحوم الليثى عبد الناصر ، وعراقيل أخرى من

قيادات الحرس الوطنى بقيادة الزميل القديم عبدالفتاح فؤاد ، وعقبات توضع أمام أى التحام أو تعـاون بين جيش التحرير الشعبى وقوات الحرس الوطنى ، وكان هذا التعاون ضروريا ما دامت القيادات لم تتوحد وما دامت القاهرة تصر على أن يعمل جيش التحرير منفصلا عن الحرس الوطنى !

واستمرت العراقيل والعقبات التى يضعونها فى طريقنا وأمام نشاطنا تزداد يوما بعد يوم ، وبلغنى ان السيـد عبد الفتاح فؤاد ، قائد الحرس الوطنى فى القاهرة ، طلب الى صديقه المرحوم عبد الحكيم عامر ، ابعـادى عن الاسكندرية ، كما بلغنى ان هناك من أخبر الرئيس الراحل وعبد الحكيم أيضا ، بأننى وزملائى نعمل على اقامة دولة فى الاسكندرية داخل الدولة !

وجاءنى اللواء عثمان نصار موفدا من القيادة حيث كان يعمل فى القاهرة بجانب عبد الفتاح فؤاد ، وفهمت من حديثه ان « البرامكة » الذين التفوا حول القيادة السياسية فى مصر قد نجحوا فى تسميم وافسـاد كل الاوضاع حولى !

ولم تتوقف المفـاجآت ، جاء صـلاح نصر سرا الى الاسكندرية ولم ألتق به ... ثم أرسلوا لنا اللواء احمد سالم ليقوم أو يتولى منصبا جديدا وهو قيادة عليـا للمدينة !

وأخذ اللواء أحمد سالم يعمـل كقائد مطلوب منـه تجميد كل نشاطنا وجديتنا فى العمـل ، وقام بالفعـل بتحركات مضادة لجيش التحرير الشعبى ، وكأنه جيش عدو ، وسمعت ان المرحوم عبد الحكيم عامر ألح على

الرئيس الراحل كي يصدر أمرا بابعادى أو اعتقالى ، بل سمعت أيضا انهم أبلغوا عبد الناصر بأننى كنت أعمل على طبع نقد خاص للاسكندرية ... تدعيما للمعلومات السابقة التى أبلغوها له وهى اقامة دولة داخل الدولة، لكي يوغلوا صدره ضدى !

ليست كلها مختلقة .. !

قلت للسيد عاطف نصار:

سؤال اعتراضى هنا ... أتسمح به ؟

ـ تفضل ...

لقد سمعنا فى القاهرة تلك الايام أن مجلس قيادة جيش التحرير الشعبى بقيادتك قد ناقش هذه المسألة ، مسألة قيامكم بطبع أوراق نقد خاصة للاسكندرية ... هل حدث ان ناقشتم هذا الموضوع فعلا ، أم ان القصة كلها مختلقة ؟

وأجابنى الرجل بصراحته المعروفة عنه :

ـ ليست كلها مختلقة ، ولكنها أبلغت للرئيس الراحل بأسلوب استفزازى بعيد عن الحقيقة ... لقد طرح أحد الاعضاء هذا الموضوع بالفعل فى حالة لا قدر الله حصار الاسكندرية ، حتى نستطيع السيطرة على امن المدينة ، بل ان أحدنا طرح توفير أدوات التجميل اللازمة لسيدات الاسكندرية حرصا على رفع معنوياتهن فى حالة الحصار ..

كنا نضع أمام عيوننا كل الاحتمالات ، بل اسوأ الاحتمالات، وسبل مواجهتها بالعقل والمنطق والامكانيات دون أن تصبح الاسكندرية عبئا على القاهرة أو دمنهور

أو طنطا مثلا ، ومن هنا طرح كل قائد تصوره وأفكاره. ... وفرق شديد بين أن نطرح أفكارنا المتشائمة والمتفائلة ، وبين أن نعمل فى تنفيدها سرا أو علانية ، هذا هو الموضوع ، وقد أبلغوه بالاسلوب المنحرف عن عمد ، حين وجدوا جماهير الاسكندرية قد التفت حول قيادة جيش التحرير الشعبى ، وان تحركاتنا كلها جدية ، ليس هدفها ارضاء القيادة فى مصر تقربا وتزلفا ، بل ارضاء ضميرنا الوطنى فى الدرجة الاولى !

لقد بلغت هذه الجدية اننا أعددنا كتائب متطوعين من الفدائيين استعدادا للسفر الى منطقة القناة ، والقتال هناك ، بجانب فدائى بور سعيد والاسماعيلية والسويس ، احساسا منا بأن منطقة القناة معرضة للغزو أيضا مثل الاسكندرية ، وان واجب شعب الاسكندرية أن يستعد للقتال هنا أو هناك ..

وامام العقبات والاشواك والاحجار الضخمة التى وضعوها فى طريقنا أو بناء على المعلومات التى تصل الينا عن زيارات سرية يقوم بها بعض المسئولين قادمين من القاهرة لجمع معلومات وتحريات عن نشاطنا ، ويعلم الله وحده ماذا يكتبون أو كتبوا فى تقاريرهم ، سافرت الى القاهرة لأضع نهاية لهذا النشاط المعادى المضاد لنا

وفى القاهرة لم أستطع خلال ثلاث محاولات لقاء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وتأكد لى أنه يتهرب من لقائى عن طريق سكرتيريته ، فالتقيت بكمال الدين حسين وكان قائدا لقوات الجيش الشعبى فى منطقة القناة ، واستمع لى ، وفى الحقيقة كنت غاضبا ، فأعلنت رفضى لهذا الاسلوب الذى أعامل به ، ورفعت صوتى عاليا :

ـ « هذا فساد ، واذا لم تتدخل القيادة العليا للبلاد للقضاء على هذا الفساد ، فأنا كفيل بالقضاء عليه . »

وكانت الطامة الكبرى ! !

فسروا كلامى الغاضب ، بأننى أهدد ، واننى أدبر انقلابا ، فطلب منى كمال الدين حسين ناصحا أن أقدم استقالتى فرفضت ، فاذا به يقول :

ـ انا أيضا سأقدم استقالتى .

تركته وعدت الى الاسكندرية ورويت لزميلى وصديقى عبد الحليم الاعسر ما دار فى القاهرة ووجدته يؤيد الاستقالة ، كما أخبرنى انه استقال قبلى من قيادة جيش التحرير الشعبى ، ولا أعرف لماذا قبلت كتابة استقالتى ...

هل كان يأسا من زوال هذه الاوضاع ، أم رفضا للتعاون مع هؤلاء الناس ؟ ! لا أعرف ...

واعتكفت فى بيتى بالاسكندرية ...

متى قدمت استقالتك ؟

ـ فى سبتمبر ١٩٥٦ ..

وهل تلقيت ردا بقبولها أو رفضها ؟ ..

ـ كما هى العادة ، لم أتلق شيئا ، صمت كامل من جانبهم ومن جانبى ...

ومرت أيام قليلة ، وذات عصر استيقظت من نومى ظهرا على أصوات مظاهرة تمر أمام بيتى ، فتحت النافذة فوجدت ما يقرب من ٢٠ شابا يهتفون ضد الرئيس

الراحل ، واذا بجزار يتصدى لهم بشومة فيهربون أمامه ذعرا وخوفا ... أدركت على الفور انها ليست مظاهرة حقيقية ، بل هي مدبرة وان هؤلاء المتظاهرين مجموعة من المأجورين !

وأمسكت بالتليفون وتحدثت مع زميلي ضابط الاشارة المرحوم صلاح حنفى فى قيادة الجيش الشعبى وطلبت منه ابلاغ الشرطة وضرورة القبض عليهم ، على هؤلاء المأجورين وحصارهم قبل وصولهم مستشفى الشاطبى، وبالفعل قبض البوليس على أكثرهم ، وحرروا لهم محضرا ، كما وجدوا معهم أموالا كثيرة ، وثبت أن أغلبيتهم من العاطلين بلا حرفة أو مورد رزق واضح ، ثم أودعوهم حجز قسم الشرطة تمهيدا لارسالهم الى المباحث العامة التى لم تهتم اطلاقا بما حدث !

وفجأة ، فجأة مرة أخرى ، حيث تكررت المفاجآت بالنسبة لي ، صدرت تعليمات تليفونية من قيادة المنطقة الشمالية العسكرية بالافراج فورا عن هؤلاء المتظاهرين والغاء المحضر .. ثم سمعت العجب مساء ذلك اليوم ، وأنا اتساءل لماذا أفرجوا عن هؤلاء المخربين ؟ ومن الذى يقف وراءهم ، وما هى أهدافه ؟

سمعت أننى مدبر هذه المظاهرة التى هتفت بسقوط جمال عبد الناصر ، واننى الذى أقف وراءهم وأمولهم بالمال ، واننى أهدف الى تعبئة شعب الاسكندرية ضد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر !!

وبعد أيام قليلة فى بداية أكتوبر ١٩٥٦ ، تلقيت خطابا من القاهرة باقالتى وليس بقبول استقالتى !

لقاء مع عبد الحكيم عامر

وقبل العدوان الثلاثي بفترة بسيطة ، قبل ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ، بثلاثة أيام على ما اذكر ، توجهت الى القاهرة ، وسعيت لمقابلة عبد الحكيم عامر .

كنت قبل سفرى للقاهرة قد استمعت طويلا للاذاعات العالمية ، وأخذت أحلل الموقف واضع استنتاجاتي فوق الورق ، واقتنعت بأن انجلترا ستدبر عدوانا علينا وأن اسرائيل لن تقف موقفا سلبيا ، فأردت أن أضع تصوراتى هذه أمام عبد الحكيم عامر .

وظن المرحوم عبد الحكيم عامر اننى أسعى للعودة الى عملى من خلال هذا اللقاء ، ولما تأكد له انه أخطأ تقدير موقفى وفهمي وباعثى للقائه ناقشنى فى كل ما حدث .. بداية بقولى امام كمال حسين اننى كفيل بالقضاء على هذه الاوضاع الفاسدة ، وكيف فسروا هذا الكلام ، بالمظاهرة المفتعلة التى نسبوا تدبيرها لى فى الاسكندرية !

وتكلمت طويلا أمام عبد الحكيم عامر ، ليس دفاعا عن نفسى بل توضيحا للأمور ورأى فى تفسيراتهم المعوجة ورؤيتهم المنحرفة ، وفى النهاية قلت له :

ـ اننى أريدكم القيام بعمل جاد دفاعا عن ثورتنا ، ان الانجليز لن يتركونا ، وعن نفسى فسأقاتل بمسدسى وسط الشارع وجماهير الشارع ، وأؤكد لك أننى لا أريد العودة الى قيادتى السابقة ، كما سيفسرون لك زيارتي بعد انصرافى ومغادرتى مكتبك .

وقال لى عبد الحكيم عامر مطيبا خاطرى :

ـ « اطمئن كل الدلائل تؤكد ان الانجليز لن يعتدوا علينا ، والملحق العسكرى المصرى فى لندن أرسل لنا يؤكد هو الآخر هذه المعلومات » .

وعدت الى الاسكندرية ، ووقع العدوان الثلاثى ، وجمعت الفدائيين الذين نظمناهم للقتال فى منطقة القناة بقيادة أحد الفـــدائيين الانتحاريين المعروفين بماضيهم الفدائى وهو « أحمد المصرى » وطلبت منهم التحرك الى بور ســـعيد ، ولـكن بعض قـادة الرئيس الراحــل وعبد الحكيم عامر منعوهم من الدخول عند مدخل رأس البر ، وهــددوهم بالقبض عليهم أن لم يعـــودوا الى الاسكندرية !

وتوالت أحداث هذه الايام التاريخية كما هو معروف وكما نشر وأذيع من قبل ، وعدت الى دراسة الحقوق مرة أخرى بعد أن توقفت عام ١٩٥٣، وكنت قبل الثورة التحقت بالجامعة عام ١٩٥١ ، ثم ترددت على القاهرة ، فى بداية ١٩٥٧ عـــدة مـــرات ، زرت خـــلالها زميلى العقيـــد حســـن عبد المجيد صـــيام ، وكان يســكن فى شـــقة مجـاورة لشـــقة الكاتب الصحفى الاستاذ عبد الحميد الاسلامبولى والســكرتير الصحفى السابق للدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرية فى عهد الوفد ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ ، وكان الاسلامبولى يعمل وقتهـــا ، فى فبراير أو مارس عام ١٩٥٧ ، بهيئـــة الاستعلامات يعاونه « قدرى » ضابط سابق من ضباط المدرعات وواحـــد ممن حوكموا عام ١٩٥٤ مع نقيب الفرسان أحمـد المصرى ، ويشغل الآن منصب وكيل احدى الوزارات وهو شاهد الاثبات الوحيد فى «قضيتنا» التى وصفها بعض رجال ومستشارى الرئيس الراحل بأنها قنبلة ١٩٥٧ ، وللأسف وبعد أن صنعوا منها قنبلة من الحجم الكبير وقدموها للشعب المصرى على أنهـــا مؤامرة العصر ، ظهر أنهـــا قنبلة جوفاء فارغة ، وهم

أصحاب ألقنبلة ومخترعوها الذين أكدوا بعد ذلك فراغ هذه القنبلة وزيفها !

لقد كانت هذه القضية ، قضية التآمر على قلب نظام الحكم تضم وزيرين سابقين من أشهر وأبرز وزراء الوفد وهما الدكتور محمد صلاح الدين ، والاستاذ عبد الفتاح حسن عضو مجلس الشعب الآن ، ثم الاستاذ عبد الحميد الاسلامبولي الكاتب الصحفى وزميله الكاتب الصحفى القديم الاستاذ محمد السوادى ، والاستاذ محمد السقا أحد سكرتيرى المغفور له مصطفى النحاس باشا ، وتضم أيضا « ثمانية » من العسكريين على رأسهم العقيد عاطف نصار ، وأثارت هذه القضية ألتى نظرها الفريق أول الدجوى ضجة كبرى أمام الرأى العام المصرى والعالمى ، واستغرق نظرها ٢٤ جلسة ما بين منتصف اغسطس ومنتصف سبتمبر ١٩٥٧ .

وبعد صدور الاحكام فى أكتوبر ١٩٥٧ وكانت تقضى باعدام المتهم الاول الثائر القديم عاطف نصار ثم السجن المؤبد له ولابرز المتهمين فيها ، أرسل أحد الصحفيين الاجانب برقية صحفية من القاهرة ولم يكن قد مضى على صدور الاحكام أكثر من ٩١ يوما ، وكانت هذه البرقية هى القنبلة الحقيقية فى قضية المؤامرة ، كانت البرقية تروى تدخل الرئيس الهندى الراحل جواهر لال نهرو من أجل الضابط السجين عاطف نصار ، وقبول ألرئيس الراحل عبد الناصر باستبدال عقوبة الاعدام أو السجن المؤبد الى الافراج الفورى ، وقبل مضى عام ، كان جميع المتهمين قد عادوا الى بيوتهم .

ونزل الستار بذلك ، ستار الصمت الكثيف على قضية الضباط الاحرار فى مدينة الاسكندرية ، حتى آن لها أن تنشر فى عيد الثورة آلخامس والعشرين .

فهرس

صفحة

كتاب الهلال القادم :

أحاديث منتصف الليل

للدكتور حسين مؤنس

يصدر ٥ أغسطس سنة ١٩٧٧

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ـ ص ٠ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشـــم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7. Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.



هذا الكتاب

« ثوار يوليو ـ الوجه الآخر » ـ أقرب الى البحث التحقيقى فى ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وخلفياتها التى لم يقدر لها أن تنشر حتى اليوم ـ وهى خلفيات الحمل بالثورة ، وكيف عاشت جنينا بين مجاميع الشباب الثائر من ضباط أسلحة الجيش المصرى بداية بالاربعينات ، حتى خرجت الثورة وليدة خضراء الى الوجود لتغير مجرى التاريخ فى الوطن العربى وأفريقيا ...

● ولقد قام المؤلف « حمدى لطفى » بدراسته هذه التى استغرقت ربع قرن من الزمن ليضيف بعض الحقائق التى لم تنشر من قبل عن جذور الثورة وعوامل تكوينها ثم نجاحها ...

● ولقد عاصر « حمدى لطفى » ثورة يوليو منذ يومها الاول ، وبدأ فى اعداد كتابه هذا مع بداية ١٩٧٢ ، ليصدر فى عيد الثورة الخامس والعشرين ـ يوليو ١٩٧٧ .

● ولكن ... هل هذه هى قصة الثورة كلها ، أم أن هناك ... أخرى لم يرفع عنها الستار بعد !؟

● وسيبقى السؤال معلقا ... حتى يجيب عنه التار

٢٥ قرش